بسم الله الرحمن الرحيم

وزارة التعليم العالي

جامعة أم القــرى

كلية الدعوة وأصول الدين

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم (رباعي) : ناصر بن حمدان بن عوده الجهني كلية : الدعوة وأصول الدين قسم : العقيدة

الأطروحة مقدمة لنيل درجة : الماجستير في تخصص : العقيدة

عنوان الأطروحة : ((المسائل العقدية التي حكى فيها شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع في أبواب النبوات، القدر، اليوم الآخر، الإمامة والصحابة، الفرق)) .

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد :

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه _ والتي تمت مناقشتها بتاريخ / / ١٤هـ _ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ،وحيث قد تم عمل اللازم ؛ فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه ...

والله الموفق ...

أعضاء اللجنة

المشرف	المناقش الداخلي	المناقش الخارجي (الداخلي)
الاسم : د. [illegible]	الاسم : د. [illegible]	الاسم : د. [illegible]
التوقيع : [illegible]	التوقيع : [illegible]	التوقيع : [illegible]

يعتمد

رئيس قسم

الاسم :

التوقيع :

- يوضع هذا النموذج أمام الصفحة المقابلة لصفحة عنوان الأطروحة في كل نسخة من الرسالة .

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم العقيدة
الدراسات العليا





المسائل العقدية

التي حكى فيها شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع

في أبواب :

(النبوات ، القدر ، اليوم الآخر ، الإمامة والخلافة ، الفرق)

[[عرض و دراسة]]

رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير للطالب

ناصر بن حمدان الجهني

إشراف فضيلة الشيخ الدكتور

عبدالله بن عمر الدميجي

عام ١٤٢١هـ

ملخص الدراسة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد .

فإن الرسالة بعنوان **المسائل العقدية التي حكى فيها شيخ الإسلام ابن تيميه الإجماع في أبواب : (النبوات ، القدر ، اليوم الأخر ، الإمامة والخلافة ، الفرق)**

وقد عنيت الدراسة :

- بتتبع المسائل التفصيلية التي حكى فيها شيخ الإسلام الإجماع عند سلف الأمة وذلك في الأبواب الخاصة في الرسالة .
- وتتبع كتب السلف المتقدمة والتي عنيت بذكر معتقد سلف الأمة وأئمتها وذلك لتأكيد ما نقله شيخ الإسلام من إجماع والنظر فيما إذا كان هناك نقلٌ يخالفه، والرد على من يشكك في نقل شيخ الإسلام لإجماع السلف .
- وقد كانت الرسالة مكونة من مقدمة وتمهيد عن الإجماع والمراد به عند ابن تيميه وحكم مخالفته ، ويتبع ذلك خمسة أبواب : الأول في النبوات ثم القدر ثم اليوم الآخر وبعد ذلك باب في مسائل الإمامة والخلافة وأخيراً الفرق ، ثم الخاتمة وتضمنت أهم النتائج ومن أبرزها
- عدم الاستقلال في فهم النصوص دون الرجوع إلى فهم سلف الأمة وأئمتها ومعرفة اعتقادهم.
- شدة إنكار السلف على من يخالف الإجماع وأنه يعد من أهل الزيغ والضلال .
- إن المسائل التي نقل شيخ الإسلام فيها الإجماع في الأبواب المذكورة في عنوان الرسالة تعد من المسائل المجمع عليها إجماعاً قطعياً .
- وختم البحث بستة فهارس عامة .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

الباحث	المشرف على الرسالة	عميد كلية الدعوة وأصول الدين
ناصر بن حمدان بن عوده الجهني	**د / عبد الله بن عمر الدميجي**	**د / عبد الله بن عمر الدميجي**

ملخص الدراسة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد .

فإن الرسالة بعنوان **المسائل العقدية التي حكى فيها شيخ الإسلام ابن تيميه الإجماع في أبواب : (النبوات ، القدر ، اليوم الأخر ، الإمامة والخلافة ، الفرق)**

وأهدافها عديدة منها :

- تتبع المسائل التفصيلية التي حكى فيها شيخ الإسلام الإجماع عند سلف الأمة وذلك في الأبواب الخاصة في الرسالة .
- تتبع كتب السلف المتقدمة والتي عنيت بذكر معتقد سلف الأمة وأئمتها وذلك لتأكيد ما نقله شيخ الإسلام من إجماع ، والرد على من يشكك في نقل شيخ الإسلام لإجماع السلف .

وغير ذلك من الأهداف الكثيرة .

ومن نتائج الرسالة العديدة :

- أهمية العودة إلى الأصول والمصادر التي يعتمدها سلف الأمة وأئمتها في الاستدلال والتلقي وتجنب ما ابتدعه أهل الأهواء والبدع من تقديم العقل على النقل واتباع الهوى .
- عدم الاستقلال في فهم النصوص دون الرجوع إلى فهم سلف الأمة وأئمتها ومعرفة اعتقادهم .
- شدة إنكار السلف على من يخالف الإجماع وأنه يعد من أهل الزيغ والضلال .
- إن المسائل التي نقل شيخ الإسلام فيها الإجماع في الأبواب المذكورة في عنوان الرسالة تعد من المسائل المجمع عليها إجماعاً قطعياً .
- كل ما قرره شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية يكون مجمعاً عليه .
- إن الكفر يكون بالاعتقاد والقول والفعل ، وإن تارك العمل بالكلية يكون كافراً كفراً مخرجاً من الملة .

وقد أشير إلى الفرق المخالفة لاعتقاد السلف في جُل المسائل المذكورة في الرسالة .

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات .

الباحث	المشرف على الرسالة وعميد كلية الدعوة وأصول الدين
ناصر بن حمدان بن عوده الجهني	**د / عبد الله بن عمر الدميجي**

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة :

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يُضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلاَ تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُسلِمُون ﴾[١].
﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُم الَّذِي خَلَقَكُم مِن نَفسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنهَا زَوجَهَا وَبَثَّ مِنهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرحَامَ إِنَّ اللهَ كَانَ عَلَيكُم رَقِيبًا ﴾[٢].
﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَقُولُوا قَولاً سَدِيداً ۝ يُصلِح لَكُم أَعمَالَكُم وَيَغفِر لَكُم ذُنُوبَكُم وَمَن يُطِعِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَد فَازَ فَوزاً عَظِيماً ﴾[٣].

أما بعد ..

فإن الله ﷻ شرَّف هذه الأمة بدين الإسلام ، فأكمله لهم ، وأتم عليهم به النعمة، ورضيه لهم ديناً ، قال تعالى : **﴿ اليَومَ أَكمَلتُ لَكُم دِينَكُم وَأَتمَمتُ عَلَيكُم نِعمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسلاَمَ دِيناً ﴾**[٤] ، قال ابن عباسٍ رضي الله عنهما : ((أخبر الله نبيَّهُ ﷺ والمؤمنين أنه قد أكمل لهم الإيمان ، فلا يحتاجون إلى زيادةٍ أبداً ، وقد أتمه الله عز ذكره فلا ينقصهُ أبداً ، وقد رضيه الله فلا يسخطه أبداً))[٥].

---

(١) سورة آل عمران ، آية : (١٠٢).
(٢) سورة النساء ، آية : (١).
(٣) سورة الأحزاب : آيتي : (٧٠ ، ٧١).
(٤) سورة المائدة : آية : (٣).
(٥) ((تفسير الطبري)) : (٤١٩/٤).

ومن تمام نعمة الله تعالى على هذه الأمة أن تكفَّل ﷻ بحفظ هذا الدين من تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، فأنزل الذكر ووعد بحفظه.

قال تعالى ﴿إِنَّا نَحنُ نَزَّلنَا الذِّكرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[١] وقال جل ذكره ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ۞ لا يَأتِيهِ البَاطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلا مِن خَلفِهِ تَنزِيلٌ مِن حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾[٢] قال ابن جرير الطبري : ((لا يستطيع ذو باطلٍ بكيده تغييره بكيده ، وتبديل شيءٍ من معانيه عما هو به ، وذلك هو الإتيان من بين يديه ، ولا إلحاق ما ليس منه فيه ، وذلك إتيانه من خلفه)) [٣].

وهذا من خصائص هذه الأمة.. أما الأمم السابقة فقد وكل الله تعالى حفظ كتبها إلى أنفسهم ، فأصابتها أيدي التحريف والتبديل ، وتلاعبت بها الأهواء ، قال تعالى : ﴿فَوَيلٌ لِلَّذِينَ يَكتُبُونَ الكِتَابَ بِأَيدِيهِم ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِن عِندِ اللهِ لِيَشتَرُوا بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً فَوَيلٌ لَهُم مِمَّا كَتَبَت أَيدِيهِم وَوَيلٌ لَهُم مِمَّا يَكسِبُونَ﴾[٤] ، واستمر التحريف ، حتى بعث الله نبينا ﷺ فبيَّن لهم كثيراً مما كانوا يخفون من الكتاب ﴿يَا أَهلَ الكِتَابِ قَد جَاءَكُم رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُم كَثِيراً مِمَّا كُنتُم تُخفُونَ مِنَ الكِتَابِ﴾[٥]، ولو أنهم حافظوا عليها وأقاموا شرائعها ؛ لنالهم من الخير في الدنيا والآخرة الشيء العظيم ﴿وَلَو أَنَّ أَهلَ الكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوا لَكَفَّرنَا عَنهُم سَيِّئَاتِهِم وَلأَدخَلنَاهُم جَنَّاتِ النَّعِيمِ ۞ وَلَو أَنَّهُم أَقَامُوا التَّورَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيهِم مِن رَبِّهِم لأَكَلُوا مِن فَوقِهِم وَمِن تَحتِ أَرجُلِهِم﴾[٦].

---

(١) سورة الحجر ، آية : (٩).

(٢) سورة فصلت ، آية : (٤١ ، ٤٢).

(٣) ((تفسير الطبري)) : (١١٧/١١).

(٤) سورة البقرة ، آية : (٧٩).

(٥) سورة المائدة ، آية : (١٥).

(٦) سورة المائدة ، آيتي : (٦٥ ، ٦٦).

ومن أسباب الحفظ التي قدَّرها الله جل ذكرُه تحقيقاً لوعده أن شرَّف هذه الأمة فتميزت عن غيرها من سائر الأمم بعلم الإسناد ؛ فقيض الله لكتابه أئمةً حفاظاً قراء حفظوه في الصدور كما حفظوه في السطور ، وبلغوه من بعدهم جيلاً بعد جيل ، فيقرأ الناس كتاب الله -كما أُنزلَ- في كل عصرٍ وحين ، ولو زيد فيه أو نقص منه لعرفه الأعداد الكثيرة من الصبية الصغار فضلاً عن القراء الكبار.

وهكذا سنة رسول الله ﷺ -أقواله وأفعاله ومواقفه وسننه وأيامه ولياليه- ، فقد قيَّض الله لها أئمةً حفاظاً محدثين ضبطوها في الصدور كما ضبطوها في السطور ، ورووها بالأسانيد المتصلة إلى النبي ﷺ .

فأصبح ما يتفقون عليه حقاً لا شك فيه ولا ريب.

يقول شيخ الإسلام : ((وإجماعهم -أي أهل الحديث- معصومٌ من الخطأ ، كما أن إجماع الفقهاء على الأحكام معصومٌ من الخطأ ، ولو أجمع الفقهاء على حكمٍ كان إجماعهم حجة ، وإن كان مستندَ أحدِهم خبرٌ واحدٌ أو قياس أو عموم ، فكذلك أهل العلم بالحديث إذا أجمعوا على صحة خبر أفاد العلم ، وإن كان الواحد منهم يجوز عليه الخطأ ، لكن إجماعهم معصومٌ عن الخطأ))[1].

ونقلُ الإجماعِ في مسألةٍ ينقله جمعٌ عن جمعٍ في كل طبقةٍ من طبقات أهل العلم ؛ يعد من أقوى الأسانيد ، يقول ابن عبد البر : ((أصول العلم : الكتاب والسنة ، وتنقسم السنة قسمين : أحدهما إجماع تنقله الكافة عن الكافة ، فهذا من الحجج القاطعة للأعذار إذا لم يوجد هناك خلاف ، ومن رد إجماعهم فقد رد نصاً من نصوص الله يجب استتابته عليه وإراقة دمه إن لم يتب لخروجه عما أجمع عليه المسلمون وسلوكه غير سبيل جميعهم))[2].

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (١٨/٤٩) ، وانظر : ((منهاج السنة النبوية)) : (٥/١٦٦ ، ٨/٤١٩).

(٢) ((جامع بيان العلم وفضله)) : ص (٣٢٦).

فالإسنادُ ونقلُ الإجماعِ فخرٌ وكرامةٌ لهذه الأمة.. وكلاهما سبيلُ اليقينِ والرسوخِ والثباتِ لعلماء الأمة.

وقد قيض الله ﷻ لهذه الأمة علماء في كل عصر وحين ، يتتبعون ما أجمع عليه أئمة الدين وسلف هذه الأمة من القرون المفضلة. فتتبعوا أقوالهم في المعتقد فجمعوها ودونوها فتناقلت الأجيال هذه العقيدة المستمدة من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وإجماع الأمة على ذلك.

يقول الإمام اللالكائي : ((ثم إنه لم يزل في كل عصر من الأعصار إمام من سلف أو عالم من خلف قائمٌ لله بحقه ، وناصح لدينه فيها يصرف همته الى جمع ((اعتقاد أهل الحديث)) على سنن كتاب الله ورسوله وآثار صحابته ، ويجتهد في تصنيفه ويتعب نفسه في تهذيبه ، رغبةً منه في إحياء سنته وتجديد شريعته وتطرية ذكرهما على أسماع المتمسكين بهما من أهل ملته أو لزجر غالٍ في بدعته، أومستغرقٍ يدعو إلى ضلالته ، أو مفتتن بجهالته لقلة بصيرته))[1].

واقتفاءً لعمل هؤلاء ، واتباعاً لسيرهم قام شيخ الإسلام ابن تيمية -العَلَم الذي عرفه كلُّ عالمٍ سُنِّيٍ عاصَرَه أو جاءَ بعده ؛ فدان له في علمه ، وأقرَّ له في فضله- ؛ فنَقَلَ إجماع أهل السنة في المعتقد ، ولكن هذا النقل كان مبثوثاً في سائر مؤلفاته ، وفي ثنايا كلامه ، وأطراف بحثه. وقد نقل اتفاق سلف هذه الأمة في اعتقادها.. نَقلَ من استقرأ موارد الإجماع ، وسبر مواطن الخلاف والاتفاق.

يقول رحمه الله : ((استقرأنا موارد الإجماع فوجدناها كلها منصوصة))[2].

ويقول رحمه الله في تقرير معتقد السلف في الصفات : ((والله يعلم أني قد بالغت في البحث عن مذاهب السلف فما علمت أحداً منهم خالف في ذلك)) [3].

---

(١) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : (١/٢٧).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) : (١٩/١٩٦).

(٣) المصدر نفسه : (٣٣/١٧٧).

ويقول رحمه الله ناقداً طريقة بعض أهل العلم في نقله للإجماع : ((وذلك أن غاية كثيرٍ من العلماء أن يعلم قول أهل العلم الذين أدركهم في بلاده وأقوال جماعات غيرهم ، كما تجد كثيراً من المتقدمين لا يعلم إلا قول المدنيين والكوفيين ، وكثيراً من المتأخرين لا يعلم إلا قول اثنين أو ثلاثة من الأئمة المتبوعين ، وما خرج عن ذلك فإنه عنده يخالف الإجماع ؛ لأنه لا يعلم به قائلاً وما زال يقرع سمعه خلافه ..))(١).

ومن أجل هذا الاستقراء العظيم ، وهذه المبالغة في البحث كان لنقل شيخ الإسلام الإجماعَ أهميته ومكانتهُ عند أهل العلم ، وهو أحد الأسباب التي دعتني لأتتبع نقله لاتفاق أهل السنة في سائر مؤلفاته.

وفي المقابل هناك من يشكك في نقل شيخ الإسلام للإجماع ويزعم أن ما ذكره خلاف ما عليه الرعيل الأول(٢) ؛ فرداً على مثل هذا الافتراء رأيت أن أتتبع كتب السلف ممن قبل شيخ الإسلام والذين عُنوا بجمع معتقد أهل الحديث وألَّفوا الكتب الكثيرة في ذلك ، والذين نقلوا الإجماع قبل شيخ الإسلام ومنهم نقل شيخ الإسلام ما قرره من اعتقاد أهل السنة وسلف هذه الأمة.

وثمة سببٌ ثالثٌ أن نقلَ الإجماع في المعتقد وتتبعَ ذلك عند الناقلين له من الأئمة والحُفَّاظ له أهميته العظمى ، وضرورته القصوى ، وذلك أن الميزان الصحيح ، والمنهج القويم ، هو اتباع ما كان عليه سلفنا الصالح في العبادات والسلوك والعقائد ، ومن خالف ذلك فهو من الهالكين الخاسرين ، قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَى وَيَتَّبِع غَيرَ سَبِيلِ الْمُؤمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَت مَصِيراً** ﴾(٣).

---

(١) المصدر السابق : (٢٠/٢٤٨).

(٢) انظر : ما قاله د.عبدالستار أحمد نصار في رسالته : ((المدرسة السلفية وموقف رجالها من المنطق وعلم الكلام ، عرض ونقد)) ، وانظر : رد د.علي بن محمد الفقيهي عليه في مقدمة كتاب ((الإيمان)) لابن منده.

(٣) سورة النساء ، آية : (١١٥).

وسببٌ رابعٌ خاص بالباحث وهو قراءة كتب ذلك البحر العالم الكبير والناقد البصير وقراءة كتب السلف في البحث عمن وافقه أو خالفه في دعوى الإجماع ومستند ذلك الإجماع قراءةً متأنيةً لما في ذلك من الفوائد الكثيرة والعلوم الوفيرة.

وأخيراً.. مشاركةً في تلك الجهود العديدة التي يقوم بها الدعاة إلى إعادة هذه الأمة إلى مجدها وعزها ، إيماناً منهم بأنه لن يستقيم لهذه الأمة أمرها ويصلح حالها إلا بما أصلح أولها ، وأنه لا قوة ولا عزة إلا بالرجوع إلى الأصول والمصادر والينابيع الصافية من كتاب الله تعالى وسنة رسول الله ﷺ على فهم سلف هذه الأمة.

والناظر في حال هذه الأمة ، وما هي عليه من تفرُّقٍ واختلافٍ ، مع ما عليه الرعيل الأول من جمعٍ وائتلافٍ ، ليتبين له عمق هذا المنهج وقوة أثره في صلاح الأفراد والمجتمعات.

وقد أطلقت على البحث العنوان التالي :

«المسائل العقدية التي حكى فيها شيخ الإسلام ابن تيمية الإجماع في أبواب : النبوات ، القدر ، اليوم الآخر ، الإمامة والخلافة ، الفرق »[1].

وقد اتبعت في بحثي المنهج التالي :

١)- ذكر عنوان لكل مسألةٍ حكى فيها شيخ الإسلام الإجماع مع إيضاح التعاريف وبعض المسائل المتعلقة في الموضوع في بداية كل باب.

٢)- صياغة المسألة التي حكى فيها شيخ الإسلام الإجماع صياغةً علمية مع إيضاح ما يحتاج إلى بيانٍ فيها.

---

(١) وأما بقية أبواب العقيدة فقد قام الأخ خالد بن مسعود الجعيد -وفقه الله- في دراسة المسائل التي حكى شيخ الإسلام فيها الإجماع في أبواب التوحيد (الربوبية والألوهية الأسماء والصفات) ، والأخ علي بن جابر العلياني -وفقه الله- في أبواب الإيمان بالله وملائكته وكتبه.

٣)- ذكر نص كلام شيخ الإسلام ابن تيمية في المسألة ، ولابد أن يكون صريحاً في نقل الإجماع ونفي الخلاف وذلك يكون في العبارات التالية وما تصرَّف منها :

- الإجماع - الاتفاق - من غير خلاف

ولم أذكر ما كان خلاف هذه الألفاظ لعدم صراحته في نقل الاتفاق. إلا ما كان معزوّاً إلى العقيدة الواسطية فإني لا أشترط فيه هذه الألفاظ ، وذلك لأن الإجماع متحقق بمجرد أن تسند المسألة إلى متن العقيدة الواسطية ويدل على ذلك أمران :

أ- ما ذكره شيخ الإسلام في مواضع كثيرة عند مناظرته على العقيدة الواسطية من أن كل ما فيها مجمع عليه وقد اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها :

* فقال -رحمه الله- [عندما اعتُرض عليه بأنك كتبت عقيدة الإمام أحمد] فقال : ((ما جمعت إلا عقيدة السلف الصالح جميعهم ليس للإمام أحمد اختصاصٌ بهذا))[1].

* وقال -رحمه الله- : ((أصول الدين لا تحتمل التفرق والاختلاف ، وأنا أقول ما يوجب الجماعة بين المسلمين ، وهو متفق عليه بين السلف ، فإن وافق الجماعة[2] فالحمد لله ، وإلا فمن خالفني بعد ذلك كشفت له الأسرار وهتكت الأستار ، وبينت المذاهب الفاسدة التي أفسدت الملل والدول))[3].

* وقال -رحمه الله- : ((وكان مقصودي تقرير ما ذكرته على قول جميع الطوائف وأن أبين اتفاق السلف ومن تبعهم على ما ذكرت))[4].

---

(١) ((العقود الدرية)) : (٢١٩) ، ((مجموع الفتاوى)) : (١٦٩/٣).

(٢) أي اللذين يناظرهم.

(٣) ((العقود الدرية)) : (٢٣٣) ؛ ((مجموع الفتاوى)) : (١٨٢/٣).

(٤) ((مجموع الفتاوى)) : (١٨٨/٣).

* وقال -رحمه الله- : ((الذي أقوله هو الموافق لضرورة العقل والفطرة ، وأنه الموافق للكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة ، وأن المخالف لذلك هو المخالف لصريح المعقول ، وصحيح المنقول[١]))[٢].

وغير ذلك من النصوص الصريحة على نقل الإجماع من عبارات شيخ الإسلام في مناظرته للعقيدة الواسطية.

ب- تحدي شيخ الإسلام وإمهاله لكل من خالفه في شيءٍ منها ثلاث سنين على أن يجد شيئاً منها يُخالف ما عليه القرون الثلاثة المفضلة :

* فقال -رحمه الله- : ((قد أمهلت كل من خالفني في شيءٍ منها ثلاث سنين ، فإن جاء بحرفٍ واحدٍ عن القرون الثلاثة التي أثنى عليها النبي ﷺ حيث قال : ((خير القرون قرني الذي بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم ، ثم الذين يلونهم)) يخالف ما ذكرته فأنا أرجع عن ذلك ، وعليَّ أن آتي بنقول جميع الطوائف من القرون الثلاثة توافق ما ذكرته من الحنفية والمالكية والشافعية والحنبلية والأشعرية والصوفية ، وأهل الحديث وغيرهم[٣]))[٤].

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٢٤٦/٣).

(٢) ومن أقواله -رحمه الله- في هذه العقيدة :

قوله : ((وأنا تحريت في هذه العقيدة اتباع الكتاب والسنة)) ((مجموع الفتاوى)) : (١٦٥/٣).

وقوله : ((هذا اعتقاد سلف الأمة وأئمة الحديث)) : ((مجموع الفتاوى)) : (١٨٩/٣).

وقوله : ((فهذا الاعتقاد : هو المأثور عن النبي ﷺ ، وأصحابه ﷺ ، وهم ومن اتبعهم الفرقة الناجية)) ((مجموع الفتاوى)) : (١٧٩/٣). بل يجزم -رحمه الله- بأن ما فيها هو معتقد رسول الله ﷺ :

فيقول : ((هذا اعتقاد رسول الله ﷺ)) ((مجموع الفتاوى)) : (١٨٩/٣).

ويقول : ((هذه عقيدة محمد ﷺ)) ((مجموع الفتاوى)) : (١٦٩/٣).

(٣) ((العقود الدرية)) : (ص٢١٩) ؛ ((مجموع الفتاوى)) : (١٦٩/٣).

(٤) قال -رحمه الله- : ((ولم يستطع المنازعون مع طول تفتيشهم كتب البلد وخزائنه أن يخرجوا ما يناقض ذلك عن أحدٍ من أئمة الإسلام وسلفه)) ((مجموع الفتاوى)) : (٢١٧/٣).

لهذين السببين وغيرهما يعدُّ ما قرَّره شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية مجمعٌ عليه؛ بل لو قال قائل : إن أقوى ما يحكيه شيخ الإسلام من الإجماع هو ما ضمَّنه وحرَّره في العقيدة الواسطية لكان غيرَ بعيدٍ عن الصواب !.

٤)- ذكر مستند الإجماع في المسألة من الكتاب أو السنة أو من أحدهما ، وذلك أنه لا إجماع إلا بمستند من كلام الله أو كلام رسوله ﷺ ، والتعليق على الأدلة بما يناسب وجه الاستدلال منها.

٥)- تتبع من نَقَل الإجماع من أهل العلم ممن سبق شيخ الإسلام ، وذكرُ أقوالهم في ذلك مرتبةً ترتيباً زمنياً ، والاكتفاء بنقل بعض نصوصهم والإشارة إلى ما بقي منها في مصادرها.

٦)- بيان المخالف للإجماع من أهل العلم إن وُجِد ، وهل يعتبر خلافه أو لا يعتبر ؟
أما من السلف الصالح فلم أجد مخالفاً منهم في جميع ما نقله شيخ الإسلام من إجماع.. باستثناء مسألة المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما وقد بيَّنت في موضعها استقرار منهج أهل السنة والجماعة على أفضلية عثمان على علي رضي الله عن جميع صحابة رسول الله ﷺ .. وهؤلاء هم الذين يعتبر خلافهم في الإجماع.
وأما من كان من أهل البدع ومن لا اعتداد ولا اعتبار لخلافهم في نقل الإجماع وصحته ، فقد بينت على وجه الإيجاز والاختصار المخالف منهم في جل المسائل التي ينقل شيخ الإسلام فيها الإجماع وذلك في الحاشية.

٧)- عزو الآيات القرآنية إلى سورها وبيان أرقامها.

٨)- عزو الأحاديث والآثار الواردة مع تخريجها من مصادرها.

٩)- ترجمة الأعلام غير المشهورة الواردة أسماؤهم خلال البحث.

١٠)- وضع الفهارس العامة :

* فهرس الآيات.

* فهرس الأحاديث.

* فهرس الآثار.

* فهرس الأعلام المترجم لهم.

* فهرس الموضوعات.

وأما عن خطة البحث فتتضمن ما يأتي :

* **مقدمة :**

وفيها بينت أهمية الموضوع وأسباب اختياري له ، ومنهجي في البحث.

* **وتمهيداً :** وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : دراسة عن الإجماع ، وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الإجماع.

المطلب الثاني : أقسام الإجماع والمراد بالإجماع عند ابن تيمية.

المطلب الثالث : مكانة الإجماع وأهميته.

المطلب الرابع : الأدلة على حجية الإجماع.

المطلب الخامس : حكم مخالف الإجماع.

المبحث الثاني : تميز السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) عن سائر أهل البدع والأهواء.

المبحث الثالث : ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية.

وخمسة أبواب :

* الباب الأول : النبوات ، وفيه ثلاثة فصول :

– **الفصل الأول** : المسائل المتعلقة بجميع الأنبياء ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : فضل الأنبياء ومكانتهم ، وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول : فضل الأنبياء على سائر البشر.

المطلب الثاني : عدم تعذيب الأنبياء وحصول الثواب لهم قطعاً.

المطلب الثالث : ليس من المخلوقين من أمره حتم على الإطلاق إلا الرسل.

المبحث الثاني : عصمة الأنبياء ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : عصمة الأنبياء فيما يبلغونه عن الله.

المطلب الثاني : جواز المرض والجوع والنسيان على الأنبياء.

المبحث الثالث : حماية جناب الأنبياء وشرائعهم ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : زندقة من زعم أنه أعلم من الرسل بالحقائق.

المطلب الثاني :كفر من أقر بنبوة بعض الأنبياء دون بعض.

– **الفصل الثاني** : المسائل المتعلقة بنبينا محمد ﷺ ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : ما قبل البعثة :

وفيه مطلب واحد : كفر من قال إن النبي ﷺ كان نبياً قبل أن يوحى إليه.

المبحث الثاني : ما بعد البعثة ، وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول : الإقرار بنبوة محمد ﷺ .

المطلب الثاني : مكانة النبي ﷺ وفضله على سائر البشر.

المطلب الثالث : وجوب تحكيم الرسول ﷺ في كل ما شجر بين الناس.

المطلب الرابع : بعثة الرسول ﷺ إلى الثقلين.

المبحث الثالث : حماية جناب النبي ﷺ وشريعته، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول : كفر وقتل من سب النبي ﷺ.

المطلب الثاني : كفر من بلغته رسالة النبي ﷺ ولم يؤمن به.

المطلب الثالث : كفر من سوّغ اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ.

– **الفصل الثالث** : ما يتعلق بعيسى عليه السلام ، وفيه مبحث واحد :

رفعه إلى السماء.

*** الباب الثاني : القـــدر ، وفيه أربعة فصول :**

– **الفصل الأول** : الإيمان بالقدر ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : الإيمان بالقدر خيره وشره.

المبحث الثاني : إن الله على كل شيءٍ قدير.

– **الفصل الثاني** : مراتب الإيمان بالقدر ، وهي أربع مراتب :

المرتبة الأولى : العلم.

المرتبة الثانية : الكتابة ، وهي نوعان :

النوع الأول : كتابة أزلية.

النوع الثاني : كتابة عمرية.

المرتبة الثالثة : المشيئة.

المرتبة الرابعة : الخلق ، وفيه مطلبان :

المطلب الأول : خلق أفعال العباد.

المطلب الثاني : قدرة العباد ومشيئتهم على أفعالهم.

- **الفصل الثالث** : مسائل متنوعة متعلقة بالقدر ، وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول : تنزيه الله عن الظلم.

المبحث الثاني : الهدى والضلال بيد الله تعالى وحده.

المبحث الثالث : إثبات الأسباب.

المبحث الرابع : بطلان الاحتجاج بالقدر على المعاصي.

*** الباب الثالث : اليوم الآخر ، وفيه خمسة فصول :**

- **الفصل الأول** : البعث والنشور ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : وجوب الإيمان بمعاد الأبدان.

المبحث الثاني : وجوب الإيمان باليوم الآخر.

المبحث الثالث : كفر من ينكر إعادة الخلق.

- **الفصل الثاني** : القبر وأحواله ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : فتنة القبر.

المبحث الثاني : عذاب القبر ونعيمه.

- **الفصل الثالث** : الشفاعة ، وهي أنواع :

النوع الأول : الشفاعة العظمى.

النوع الثاني : الشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة.

النوع الثالث : الشفاعة للمؤمنين يوم القيامة بزيادة الثواب ورفعة الدرجات.

النوع الرابع : الشفاعة لمن استحق النار ألا يدخلها.

النوع الخامس : الشفاعة لمن دخل النار أن يخرج منها.

– **الفصل الرابع** : مسائل متنوعة متعلقة باليوم الآخر :

المسألة الأولى : بعث الناس حفاة عراةً غرلاً.

المسألة الثانية : دنو الشمس ولجوم العرق.

المسألة الثالثة : الميزان.

المسألة الرابعة : نشر الصحف.

المسألة الخامسة : الحساب.

المسألة السادسة : الحوض.

المسألة السابعة : الصراط.

المسألة الثامنة : القنطرة.

– **الفصل الخامس** : أبدية الجنة والنار ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : عدم فناء الجنة.

المبحث الثاني : عدم فناء النار.

*** الباب الرابع : الإمامة والخلافة ، وفيه فصلان :**

– **الفصل الأول** : الإمامة ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : إقامة الحج والجهاد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً.

المبحث الثاني : لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق.

المبحث الثالث : المرأة لا تكون إماماً.

– **الفصل الثاني** : الخلافة ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : منزلة الخلفاء الراشدين الأربعة.

المبحث الثاني : خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة.

*** الباب الخامس : الفرق ، وفيه ثلاثة فصول :**

– **الفصل الأول** : عدم تكفير جميع الفرق (الثنتين والسبعين) المشار إليها في الحديث.

– **الفصل الثاني** : أحكام قتال بعض الفرق ، وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : قتال الخوارج وضلالهم.

المبحث الثاني : قتال وكفر من امتنع عن التزام الفريضة وإن أقرَّ بوجوبها.

المبحث الثالث : ليس كل قتال بين طائفتين من المؤمنين يوجب التبديع والتفسيق.

– **الفصل الثالث** : أحكام بعض الفرق ، وفيه مبحثان :

المبحث الأول : فرقة مخالفة و لم يحكم بكفرها ، وهي مرجئة الفقهاء.

المبحث الثاني : فرقة مخالفة ويحكم بكفرها وهي النصيرية.

وختاماً.. فإني أحمد الله الذي بنعمته تتم الصالحات أن وفقني لمثل هذا الموضوع، الذي من لازِمِهِ قراءةُ كتبِ شيخ الإسلام والأئمة من قبله ، ونظراً لضيق الوقت ، وهو من أشد الصعوبات التي واجهتني ، فإن قراءة بعضها كانت قراءةً سريعة للبحث عن المسائل المتعلقة في الرسالة ، ولكن بفضل الله ثم بتوجيهات المشرف الدكتور عميد كلية الدعوة وأصول الدين / **عبدالله بن عمر الدميجي** وصبرِه وتحملِه أعباءَ البحثِ والباحث ، فإني تجاوزت كثيراً من العوائق والصعوبات ، فالشكر له بعد شكر الله ، وأسأل الله العظيم الكريم أن يجعل كل ما يقدِّم من جهدٍ وعملٍ ودعوةٍ وصبرٍ في ميزان حسناته.

كما أشكر عمادة الدراسات العليا ، وكلية الدعوة وأصول الدين في جامعة أم القرى على ما يقدمونه من خدماتٍ وتسهيلاتٍ في سبيل نشر العلم وبثه ، وأخص بالشكر قسم العقيدة على ما يبذله القائمون عليه من جهدٍ عظيمٍ في تيسير سبل العلم ونشره.

والشكر موصول لكلٍّ من ساعدني في تذليل الصعاب ، وأرشدني إلى ما فيه الصواب ، أو قدَّم لي النصح أو التوجيه أو العتاب ، فلهم مني جزيل الشكر والتقدير ، وأخص منهم الأخ والشيخ الفاضل / أحمد بن حميد الجهني الذي ما يزال نصحه وتوجيهه له الأثر البالغ في نفسي.

والله الهادي إلى سواء السبيل ،،،

الباحث

ناصر بن حمدان بن عوده الجهني

١٤٢١/٦/٢٦هـ

التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

دراسة عن الإجماع

المبحث الثاني :

تميُّز السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) عن سائر أهل البدع

المبحث الثالث :

ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية

المبحث الأول :

دراسة عن الإجماع :

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول : تعريف الإجماع.

المطلب الثاني : أقسام الإجماع والمراد بالإجماع عند ابن تيمية.

المطلب الثالث : مكانة الإجماع وأهميته.

المطلب الرابع : الأدلة على حجية الإجماع.

المطلب الخامس : حكم مخالف الإجماع.

المطلب الأول
تعريف الإجماع لغةً واصطلاحاً

تعريف الإجماع لغةً :

الإجماع في اللغة يأتي بمعنى العزم والاتفاق[١] ، فمن الأول قوله تعالى : ﴿فَأَجۡمِعُوٓاْ أَمۡرَكُمۡ﴾[٢] ، ومن الثاني قوله ﷺ : ((لا تجتمع أمتي على ضلالة))[٣].

وأصل مادة "جمع" تدل على التضام والتأليف.

قال ابن فارس[٤] : ((الجيم والميم والعين أصلٌ واحدٌ يدل على تضام الشيء))[٥].

وقال في "القاموس المحيط" : ((الجمع : تأليف المتفرق))[٦].

فمادة "جمع" فيها انضمام الخواطر بعضها مع بعض حتى تـأتلف فتعزم على نية واحدة ، وفيها انضمام الآراء بعضها مع بعض حتى تـأتلف فتتفق على رأيٍ واحدٍ ، فكلا معنيي الإجماع اللغوي يدل على الجمع ، فالعزم فيه انضمام الخواطر وجمعها ، والاتفاق فيه انضمام الآراء وجمعها[٧].

---

(١) ((القاموس المحيط)) : (ص٩١٧).

(٢) سورة يونس ، آية : (٧١).

(٣) رواه الإمام أحمد في ((المسند)) ، مسند ابن عمر : (١٤٥/٥) ؛ والحاكم في ((المستدرك)) ، كتاب العلم : (١١٥/١) ؛ وأخرجه ابن أبي عاصم من حديث كعب بن عاصم الأشعري رضي الله عنه بلفظ : قال النبي ﷺ : ((إن الله تعالى قد أجار أمتي من أن تجتمع على ضلالة)) ؛ وقال الألباني –رحمه الله– : ((الحديث بمجموع هذه الطرق حسن)) ، ((الأحاديث الصحيحة)) : (٣١٩/١) برقم (١٣٣١) ، ((وظلال الجنة)) : (٤١/١).

(٤) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازي اللغوي من أئمة اللغة والأدب ، من مؤلفاته جامع التأويل من التفسير ، ومعجم مقاييس اللغة ، مات سنة خمس وتسعين وثلاثمائة ، ((السير)) : (١٠٣/١٧).

(٥) ((معجم مقاييس اللغة)) : (٤٧٩/١).

(٦) ((القاموس المحيط)) : ص (٩١٧).

(٧) ((لسان العرب)) : (٥٧/٨ ، ٥٨).

تعريف الإجماع اصطلاحاً :

اختلف الأصوليون في تعريف الإجماع اختلافاً كبيراً ؛ نظراً لاختلافهم في ضوابطه ومعناه ، ونختار من هذه التعريفات تعريف ابن قدامة المقدسي[1] في روضة الناظر.

فقال -رحمه الله- : ((الإِجمَاعُ : هو اتفاق علماء العصر من أمة محمد ﷺ على أمرٍ من أمور الدين))[2].

شرح التعريف :

(اتفاق) : أي اشتراك في الرأي سواء دل عليه القول أو الفعل أو السكوت عنه مع قول البعض أو فعلهم[3].

(علماء) : أي العلماء المجتهدون فلا عبرة بغيرهم من العوام[4] ، ولا عبرة باتفاق البعض ، بل لابد من اتفاق الجميع ، ولا ينعقد الإجماع مع اختلاف القلة وهو قول الجمهور[5].

قال ابن قدامة : ((ولا ينعقد الإجماع بقول الأكثرين من أهل العصر... وذلك أن العصمة إنما تثبت للأمة بكليتها))[6].

---

(١) أبو عمر محمد بن أحمد بن محمد بن قدامة بن مقدام بن نصر المقدسي الجَمَّاعيلي الحنبلي ، الزاهد الإمام العالم الفقيه المحدث ، شيخ الإسلام ، ولد سنة ثمان وعشرين وخمس مائة ، وتوفي سنة سبع وست مائة ، ((السير)) : (٢٢/٥).

(٢) ((روضة الناظر)) : (٣٣١/١) ، و انظر في ذلك ((المستصفى)) (٢٩٤/٢) و ((الأحكام للآمدي)) (١٩٥/١) و ((شرح الكوكب المنير)) : (٢١١/٢).

(٣) يقسم أهل الأصول الإجماع إلى قسمين : الإجماع الصريح : وهو المدلول عليه بالقول أو الفعل أو قول البعض وفعل الآخرين. الإجماع السكوتي : وهو المدلول عليه بقول البعض وسكوت الآخرين أو فعل البعض وسكوت الآخرين. ((المدخل إلى مذهب أحمد بن حنبل)) : ص (٢٨١). ((مناقشة الاستدلال بالإجماع)) : ص (٢٨).

(٤) ((إرشاد الفحول)) : ص (٦٣ ، ٧٧).

(٥) ((الأحكام)) للآمدي : (٣٢٥/١) ؛ ((شرح الكوكب المنير)) : (٢٢٩/٢) ؛ ((إرشاد الفحول)) : ص (٧٨) ؛ ((المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل)) : ص (٢٨٠).

(٦) ((روضة الناظر)) : (٣٥٨/١ ، ٣٥٩).

وفرَّق شيخ الإسلام بين الإجماع في الإمامة والإجماع في الأحكام ، فقال -رحمه الله- : ((ولا ريب أن الإجماع المعتبر في الإمامة لا يضر فيه تخلف الواحد والاثنين والطائفة القليلة ، فإنه لو اعتبر ذلك لم يكد ينعقد إجماعٌ على إمامة... بخلاف الإجماع على الأحكام العامة كالإيجاب والتحريم والإباحة ، فإن هذا لو خالف فيه الواحد أو الاثنان ، فهل يعتد بخلافهما ؟ فيه قولان للعلماء ، وذُكِرَ عن أحمد في ذلك روايتان :

إحداهما : لا يعتد بخلاف الواحد والاثنين ، وهو قول طائفةٍ كمحمد بن جرير الطبري[1].

والثانية : يعتد بخلاف الواحد والاثنين في الأحكام وهو قول الأكثرين.

والفرق بينه وبين الإمامة أن الحكم أمرٌ عام يتناول هذا وهذا ، فإن القائل بوجوب الشيء يوجبه على نفسه وعلى غيره ، والقائل بتحريمه يحرِّمه على نفسه وعلى غيره ، فالمنازع فيه ليس متهماً[2].

(العصر) أي العصر الذي حدثت فيه المسألة ، فخرج بهذا القيد ما يتوهم من أن المراد بالعلماء جميع العلماء في جميع الأعصار وهذا باطل لأنه يؤدي إلى بطلان الإجماع وعدم ثبوته[3].

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري ، الإمام العالم ، المجتهد ، عالم العصر ، صاحب التصانيف البديعة ، وأكثر الترحل ، ولقي نبلاء الرجال ، وكان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصانيف ، ولد سنة أربع وعشرين ومائتين ، وتوفي سنة عشر وثلاثمائة ((السير)) : (٢٦٧/٤).

(٢) ((منهاج السنة)) : (٣٣٥/٨ ، ٣٣٦).. وقال بعض الأصوليين إن كان خلاف الواحد سائغاً لم ينعقد الإجماع ، وإن لم يكن سائغاً ينعقد الإجماع ((إرشاد الفحول)) : (ص٧٩) ، قال شيخ الإسلام : إذا ظهر خطأ الواحد المخالف للإجماع ، ثبت أن الإجماع كان صواباً ، وأن ذلك الواحد الذي عُرِف خطؤه بالنص شاذٌ لا يعتد به ، بخلاف الواحد الذي يظهر حجةً شرعيةً من الكتاب والسنة ، فإن هذا يسوغ خلافه ، وقد يكون الحق معه ويرجع إليه غيره ، كما كان الحق مع أبي بكر في تجهيز جيش أسامة وقتال مانعي الزكاة وغير ذلك حتى تبين صواب رأيه فيما بعد. ((منهاج السنة)) : (٣٣١/٨). وقال أيضاً رحمه الله : الواحد إذا خالف النص المعلوم كان خلافه شاذاً كخلاف سعيد بن المسيب في أن المطلقة ثلاثاً إذا نكحت زوجاً غيره أبيحت للأول بمجرد العقد ، فإن هذا لما جاءت السنة الصحيحة بخلافه لم يعتد به ((منهاج السنة)) : (٣٣٥/٨).

(٣) ((إرشاد الفحول)) : ص (٦٣).

وقيد (العصر) أيضاً يفيد أن الإجماع يتحقق في أي عصر ، سواء كان عصر الصحابة أم من العصور التي بعدهم ، وهذا ما عليه الجمهور(١).

ومال بعض المحققين إلى أن الإجماع المعلوم المتحقق هو ما كان عليه الصحابة رضي الله عنهم ، وذلك لقرب زمانهم من النبي ﷺ وسهولة معرفة أقوالهم.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((مذهب أهل السنة والجماعة... فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ، ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة ، فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجة ، ومتنازعون في إجماع من بعدهم))(٢).

وقال ابن حزم(٣) -رحمه الله- : ((إجماع الصحابة رضي الله عنهم هو الإجماع الذي من خرج عنه فقد شاقَّ الرسول من بعد ما تبيَّن له الهدى ، واتبع غير سبيل المؤمنين نعوذ بالله من ذلك))(٤).

وقال ابن عبدالبر(٥) -رحمه الله- : ((أما الإجماع فمأخوذٌ من قول الله ﴿وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.. وقول النبي ﷺ : ((لا تجتمع أمتي على ضلاله))(٦) وعندي أن

---

(١) ((المستصفى)) : (٢/٣٥٥) ؛ ((الأحكام)) للآمدي : (١/٢٣٠).

(٢) ((منهاج السنة)) : (٢/٦٠١).

(٣) أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب الأندلسي القرطبي ، البحر ذو الفنون والمعارف ، الفقيه الحافظ ، الأديب، الوزير الظاهري ، صاحب التصانيف ، رُزق ذكاءً مفرطاً ، وذهناً سيالاً ، وكتباً نفيسةً كثيرة. قال الذهبي : ((رأسٌ في علوم الإسلام ، متبحرٌ في النقل ، عديم النظير على يبسٍ فيه ، وفرط ظاهري في الفروع لا الأصول)) ولد سنة أربع وثمانين وثلاث مائة ، وتوفي سنة ست وخمسين وأربع مائة. ((السير)) : (١٨/١٨٤).

(٤) ((الدرة فيما يجب اعتقاده)) : ص (١٧٤) ، وقال بذلك أيضاً في كتابيه ((الإحكام في أصول الأحكام)) : (١/٥٥٥) و((المحلى)) : (١/٥٤) ولكنه في كتابه : ((مراتب الإجماع)) قال بقول الجمهور ففي معرض حديثه عن الإجماع قال -رحمه الله- : ((وقومٌ قالوا : إجماع كل عصرٍ إجماعٌ صحيح ، إذا لم يتقدم قبله في تلك المسألة خلاف ، وهذا هو الصحيح لإجماع الأمة عند التفصيل عليه واحتجاجهم به وترك ما أصلوه له)) ، ((مراتب الإجماع)) : ص (٢٧).

(٥) أبو عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر بن عاصم النَّمري الأندلسي القرطبي ، المالكي ، الإمام العلامة ، حافظ المغرب، شيخ الإسلام ، صاحب التصانيف الفائقة ، سارت بتصانيفه الركبان وخضع لعلمه علماء الزمان ، ولد سنة ثمان وستين وثلاث مائة ، وتوفي سنة ثلاث وستين وأربع مائة. ((السير)) : (١٨/١٥٣).

(٦) سبق تخريجه ص : (١٩).

إجماع الصحابة لا يجوز خلافهم ، والله أعلم ، لأنه لا يجوز على جميعهم جهل التأويل، وفي قول الله تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ دليلٌ على أن جماعتهم إذا اجتمعوا حجة على من خالفهم ، كما أن الرسول ﷺ حجةٌ على جميعهم))(١).

وقال ابن بدران(٢) -رحمه الله- : ((جعل الاصفهاني الخلاف في غير إجماع الصحابة ، وقال : الحق تعذر الإطلاع على الإجماع إلا إجماع الصحابة حيث كان المجمعون وهم العلماء منهم في قلة ، وأما الآن وبعد انتشار الإسلام وكثرة العلماء فلا مطمع للعلم به. قال : وهو اختيار أحمد مع قرب عهده من الصحابة وقوة حفظه وشدة اطلاعه على الأمور النقلية ، قال : والمصنف يعلم أنه لا خبر له من الإجماع إلا ما يجده مكتوباً في الكتب ، ومن البيِّن أنه لا يحصل الإطلاع عليه إلا بالسماع منهم أو بنقل أهل التواتر إلينا ولا سبيل إلى ذلك إلا في عصر الصحابة وأما من بعدهم فلا. قلت(٣) وإلى هذا ذهب المحقق الطوفي من أصحابنا ، فإنه قال بعد ما ذكر قريباً من هذا : ولعمري إنه لنعم المذهب فإن كثيراً من الحوادث تقع من أقاصي المغرب والمشرق ولا يعلم بوقوعها من بينهما من أهل مصر والشام والعراق وما ولاهما ، وكيف تصح دعوى الإجماع الكلي في مثل هذا ، وإنما تثبت هذه بإجماع جزئي وهو إجماع الإقليم الذي وقعت فيه أما إجماع الأمة قاطبة فيتعذر في مثلها إذ الإجماع عليها فرع العلم بها والتصديق مسبوقٌ بالتصور فمن لا يعلم محل الحكم كيف يتصور منه الحكم بنفي أو إثبات. -قال ابن بدران- : وهو الحق الذي ندين الله به))(٤).

---

(١) ((جامع بيان العلم)) : ص (٣١٤).

(٢) عبدالقادر بن أحمد بن مصطفى بن عبدالرحيم بن محمد بدران المعروف بابن بدران الشيخ العلامة.. من مؤلفاته : (المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، وشرح روضة الناظر لابن قدامة) توفي سنة ست وأربعين وثلاث مائة وألف. ((الأعلام)) للزركلي : (٣٧/٤) ، ((مقدمة المدخل)) : ص (٢٥).

(٣) الحديث ما زال لابن بدران.

(٤) ((نزهة الخاطر العاطر لابن بدران على روضة الناظر)) : (٣٢٣/١).

وقال الشوكاني[١] -رحمه الله- : ((إجماع الصحابة حجة بلا خلاف.. وقد ذهب إلى اختصاص حجية الإجماع بإجماع الصحابة داود الظاهري ، وهو ظاهر كلام ابن حبان في صحيحه ، وهذا هو المشهور عن الإمام أحمد بن حنبل فإنه قال في رواية أبي داود عنه : ((الإجماع أن يتبع ما جاء عن النبي ﷺ وعن أصحابه وهو في التابعين مخير))[٢] ، وقال أبو حنيفة إذا أجمعت الصحابة على شيء سلمنا ، وإذا أجمع التابعون زاحمناهم... قال ابن وهب : ذهب داود وأصحابنا إلى أن الإجماع إنما هو إجماع الصحابة فقط ، وهو قولٌ لا يجوز خلافه ، لأن الإجماع إنما يكون عن توقيف والصحابة هم الذين شهدوا التوقيف))[٣].

(أمة محمد) يخرج به اتفاق العلماء من الأمم السابقة[٤].

---

(١) محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني ثم الصنعاني ، العلامة القاضي الفقيه المفسر ، له مؤلفات عديدة من أشهرها : (فتح القدير ، ونيل الأوطار ، والبدر الطالع ، وإرشاد الفحول) وغير ذلك كثير ، ولد سنة ثلاث وسبعين ومائة وألف بهجرة شوكان ، وتوفي سنة خمسين ومائتين وألف. ((البدر الطالع)) : (٢/٢٠٤) ، ((الإعلام للزركلي)) : (٦/٢٩٨).

(٢) وقال عبدالله بن الإمام أحمد : سمعت أبي يقول : ((ما يدعي الرجل فيه الإجماع ، هذا الكذب ، من ادعى الإجماع فهو كذب، لعل الناس قد اختلفوا...)) ((مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبدالله)) : ص (٤٣٨).

قال شيخ الإسلام : ((الذي أنكره أحمد دعوى إجماع المخالفين بعد الصحابة أو بعدهم وبعد التابعين ، أو بعد القرون الثلاثة المحمودة ، ولا يكاد يوجد في كلامه احتجاج بإجماع بعد عصر التابعين ، أو بعد القرون الثلاثة ، مع أن صغار التابعين أدركوا القرن الثالث ، وكلامه في إجماع كل عصر إنما هو في التابعين ، ثم هذا منه نهي عن دعوى الإجماع العام النطقي ، وهو كالإجماع السكوتي ، أو إجماع الجمهور من غير علمٍ بالمخالف...)) : ((المسوَّدة)) : ص (٣١٦).

وقال ابن بدران : ((لا يتوهمن متوهمٌ أن الإمام أنكر الإجماع إنكاراً عقلياً ، وإنما أنكر العلم بالإجماع على حادثةٍ واحدةٍ انتشرت في جميع الأقطار ، وبلغت الأطراف الشاسعة ووقف عليها كل مجتهدٍ ، ثم أطبق الكل فيها على قولٍ واحدٍ ، وبلغت أقوالهم كلها مدَّعي الإجماع عليها ، وأنت خبيرٌ بأن العادة لا تساعد على هذا كما يعلمه كل منصفٍ تخلّى عن الجمود والتقليد، نعم يمكن أن يعلم هذا في عصر الصحابة دون ما بعدهم من العصور لقلة المجتهدين يومئذٍ ، وتوفر نقل المحدثين على نقل فتاواهم وآرائهم ، فلا تتهمنَّ أيها العاقل الإمام بإنكار الإجماع مطلقاً فتفتري عليه)) ((المدخل إلى مذهب الإمام أحمد)) : ص (٧٩ ، ٢٨٠).

وقال الشوكاني -رحمه الله- : ((قال البزدوي وجماعةٌ من الحنفية الإجماع مراتب ، فإجماع الصحابة مثل الكتاب والخبر المتواتر، وإجماع من بعدهم بمنزلة المشهور من الأحاديث والإجماع الذي سبق فيه الخلاف في العصر السابق بمنزلة خبر الواحد)) : ((إرشاد الفحول)) : ص (٧٠).

(٣) ((إرشاد الفحول)) : ص (٧٢).

(٤) ((إرشاد الفحول)) : ص (٦٣) ؛ ((نزهة الخاطر)) : (١/٣٢٢).

(على أمرٍ من أمور الدين) وهو احترازٌ عن الأمر الدنيوي كالمصلحة في إقامة متجر أو حرفةٍ ، وعن الأمر العقلي والحسابي ؛ وذلك أن الإجماع حجةٌ شرعية[١].

(١) ((نزهة الخاطر)) : (١/٣٢٢).

المطلب الثاني

أقسام الإجماع والمراد بالإجماع عند ابن تيمية

ينقسم الإجماع من حيث ثبوتُه إلى قسمين اثنين :

القسم الأول : الإجماع القطعي :

وهو ما تحققت فيه الشروط والضوابط من قيام الدليل وسلامته وقول الجميع.. أو مما هو معلوم بالاضطرار.

القسم الثاني : الإجماع الظني :

وهو ما لم تتحقق فيه الشروط والضوابط أو تخلّف أحدها أو بُني على استقراء فلم يوجد مخالف ، دون أن تحفّه القرائن من نص أهل العلم على الإجماع أو استدلالٍ ظاهرٍ وجلي بالنصوص..

قال ابن قدامة : ((الإجماع ينقسم إلى مقطوعٍ ومظنون ، فالمقطوع ما وُجِدَ فيه الاتفاق مع الشروط التي لا تختلف فيه مع وجودها ونقله أهل التواتر ، والمظنون ما اختلف فيه أحد القيدين بأن توجد معه الاختلاف فيه كالاتفاق في بعض العصر ، وإجماع التابعين على أحد قولي الصحابة ، أو يوجد القول من البعض والسكوت من الباقين ، أو توجد شروط لكن ينقله آحاد))[1].

قال شيخ الإسلام : ((الإجماعُ نوعان : قطعي فهذا لا سبيل إلى أن يعلم إجماع قطعي على خلاف النص ، وأما الظني فهو الإجماع الإقراري والاستقرائي بأن يستقرئ أقول العلماء فلا يجد في ذلك خلافاً ، أو يشتهر القول في القرآن ولا يعلم أحداً أنكره))[2].

---

(١) ((روضة الناظر)) : (٣٨٦/١).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) : (٢٦٧/١٩).

المراد بالإجماع عند ابن تيمية :

إذا عرفنا الفرق بين الإجماع القطعي والظني تبين لنا مراد ابن تيمية من الإجماع وذلك على النحو التالي :

أ)- تقييد الإجماع المعلوم القطعي بإجماع الصحابة :

فقال -رحمه الله- : ((الإجماع متفق عليه بين عامة المسلمين... لكن المعلوم منه هو ما كان عليه الصحابة ، وأما ما بعد ذلك فتعذر العلم به غالباً ، ولهذا اختلف أهل العلم فيما يذكر من الإجماعات الحادثة بعد الصحابة ، واختلف في مسائل منه كإجماع التابعين على أحد قولي الصحابة ، والإجماع الذي لم ينقرض عصر أهله حتى خالفهم بعضهم ، والإجماع السكوتي وغير ذلك))(١).

وقد تقدم نقلنا لقوله -رحمه الله- : ((مذهب أهل السنة والجماعة... فإنه مذهب الصحابة الذين تلقوه عن نبيهم ، ومن خالف ذلك كان مبتدعاً عند أهل السنة والجماعة ، فإنهم متفقون على أن إجماع الصحابة حجةٌ ، ومتنازعون في إجماع من بعدهم))(٢).

وقال -رحمه الله- : ((الإجماع الذي ينضبط : هو ما كان عليه السلف الصالح إذ بعدهم كثر الاختلاف وانتشرت الأمة))(٣).

وقوله -رحمه الله- : السلف الصالح يدخل فيهم دخولاً أولياً صحابة رسول الله ﷺ ، بدلالة النقلين السابقين(٤).

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٣٤١/١١).

(٢) ((منهاج السنة)) : (٦٠١/٢). وانظر : ص (٢٢).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) : (١٥٧/٣).

(٤) ولأن أيَّ إجماعٍ معلومٍ قطعيٍ لمن بعدهم يكون إجماعاً لهم وذلك لأن الفرقة الناجية كما وصفها النبي ﷺ : ((هي ما عليه أنا وأصحابي)). ولن يكون هناك معتقد من عقيدة الفرقة الناجية لم يكن عليه صحابة رسول الله ﷺ ..!! ولهذا يقول شيخ الإسلام : ((لم يجتمع قط أهل الحديث على خلاف قوله عليه الصلاة والسلام في كلمة واحدة ، والحق لا يخرج عنهم قط ، وكل ما اجتمعوا عليه فهو مما جاء به الرسول ، وكل من خالفهم... من أهل البدع ، فإنما يخالف رسول الله ﷺ)). ((منهاج السنة)) : (١٦٦/٥).

وكل المسائل التي ذُكِرت في هذا المبحث ونقل شيخ الإسلام فيها الإجماع فهي من الإجماع القطعي المعلوم.

ب)- تحريم مخالفة الإجماع القطعي المعلوم بل تكفير مخالفه دون الظني :

قال -رحمه الله- : ((الإجماع المعلوم يكفر مخالفه))(١).

وقال -رحمه الله- : ((إن السلف كان يشتد إنكارهم على من يخالف الإجماع ويعدونه من أهل الزيغ والضلال))(٢).

وقال في الظني : ((فهذا الإجماع وإن جاز الاحتجاج به فلا يجوز أن تدفع النصوص المعلومة به ، لأن هذا حجة ظنيِّة لا يجزم الإنسان بصحتها ، فإنه لا يجزم بانتفاء المخالف ، وحيث قطع بانتفاء المخالف فالإجماع قطعي ، وأما إذا كان يظن عدمه ولا يقطع به فهو حجة ظنية ، والظني لا يدفع به النص المعلوم ، لكن يحتج به ويقدم على ما هو دونه بالظن ، ويقدم عليه الظن الذي هو أقوى منه ، فمتى كان ظنه لدلالة النص أقوى من ظنه بثبوت الإجماع قدم دلالة النص ، ومتى كان ظنه للإجماع أقوى قدم هذا))(٣).

ج)- الإجماع القطعي لابد له من مستند ولا يمكن أن يكون خلاف النص :

قال -رحمه الله- : ((الإجماع نوعان : قطعي ، فهذا لا سبيل إلى أن يعلم إجماع قطعي على خلاف النص))(٤).

ويقول -رحمه الله- : ((استقرأنا موارد الإجماع فوجدناها كلها منصوصة وكثيرٌ من العلماء لم يعلم النص ، وقد وافق الجماعة))(٥).

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (١٩/٢٧٠).

(٢) ((منهاج السنة)) : (٨/٣٥٤).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) : (١٩/٢٦٧).

(٤) المصدر نفسه : (١٩/٢٦٧).

(٥) المصدر نفسه : (١٩/١٩٦).

د)- أهمية الإجماع في الاستدلال :

يرى شيخ الإسلام أهمية الإجماع في الاستدلال بل قال -رحمه الله- : ((إن الإجماع من أعظم الأدلة))(١) وذلك لأنه يقطع النزاع ويمنع الخلاف في فهم النصوص. وهذا الإجماع الذي يعنيه هو الإجماع القطعي المعلوم.. الذي تحقق فيه عدم المخالف.

وأما الإجماع الظني فلا يُجزم به ، بل قد يكون الصواب في مقابله كما قد نقلنا عنه -رحمه الله- في الصفحة السابقة أن الإجماع الظني ((لا يدفع به النص المعلوم لكن يحتج به ويقدم على ما هو دونه بالظن ويقدم على الظن الذي هو أقوى منه))(٢).

وقال -رحمه الله- : ((إذا نقل عالم الإجماع ونقل آخر النزاع : إما نقلاً سُمي قائله ، وإما نقلاً بخلاف مطلقاً ولم يُسم قائله ، فليس لقائل أن يقول نقلاً لخلافٍ لم يثبت ، فإنه مقابل بأن يقال ولا يثبت نقل الإجماع ، بل ناقل الإجماع نافٍ للخلاف وهذا مثبت له ، والمثبت مقدم على النافي ، وإذا قيل : يجوز في ناقل النزاع أن يكون قد غلط فيما أثبته من الخلاف : إما لضعف الإسناد : أو لعدم الدلالة ، قيل له : ونافي النزاع غلطه أجوز ، فإنه قد يكون في المسألة أقوالٌ لم تبلغه ، أو بلغته وظن ضعف إسنادها وكانت صحيحة عند غيره ، أو ظن عدم الدلالة وكانت دالة ، فكل ما يجوز على المثبت من الغلط يجوز على النافي مع زيادة عدم العلم بالخلاف ، وهذا يشترك فيه عامة الخلاف(٣) ، فإن عدم العلم ليس علماً بالعدم لا سيما في أقوال علماء أمة محمد ﷺ التي لا يحصيها إلا رب العالمين))(٤).

---

(١) ((بيان تلبيس الجهمية)) : (١٨٨/٢).

(٢) ((منهاج السنة)) : (٣٥٤/٨).

(٣) أي في سائر الأبواب ومسائل العلم.. وبهذا تعرف خطأ من يزعم أن شيخ الإسلام خالف الإجماع في مسألة كذا.. نعم خالف الإجماع الظني الذي ثبت عنده خلافه والنزاع فيه ، وأما الإجماع القطعي فقد تقدم نقلنا لكلامه -رحمه الله- في الصفحة السابقة : ((أن السلف كان يشتد إنكارهم على من يخالف الإجماع ويعدونه من أهل الزيغ والضلال)). ((منهاج السنة)) : (٣٥٤/٨). و ((الإجماع المعلوم يكفر مخالفه)) : ((مجموع الفتاوى)) : (٢٧٠/١٩).

(٤) ((مجموع الفتاوى)) : (٢٧١/١٩).

وبين -رحمه الله- خطأ أهل البدع في نقلهم للإجماع ؛ وذلك أن كثيراً منهم ينقل الإجماع بحسب ما يعتقد من لوازم أقوال أهل السنة فقال في تعليقه على نقل الإجماع من أحد المتكلمين عن استحالة حوادث لا أول لها ، فقال (المتكلم) : قد أطبق المِلِّيّون وأتباع الأنبياء كلهم على استحالة حوادث لا أول لها.

فقال شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((هذا القول يحكيه هذا وأمثاله من إجماع المسلمين... يحكونه بحسب ما يعتقدونه من لوازم كلامهم ، وكثيرٌ من الإجماعات التي يحكيها أهل الكلام هي من هذا الباب... أو يكونون لم يعرفوا من المسلمين إلا قولين أو ثلاثة ، فيحكون الإجماع على نفي ما سواها))[1].

وبهذا الاستدلال رُدت النصوص بدعوى مخالفة الإجماع ، ولهذا عاب شيخ الإسلام على أهل البدع قولهم إن المجتهد ينظر أولاً في الإجماع فإن وجده لم يلتفت إلى غيره.. أو أن الإجماع ولو لم يبلغنا مستنده ينسخ النص المخالف له.. وقرَّر -رحمه الله- أن الصواب طريقة السلف وهي تقديم الكتاب ثم السنة ثم الإجماع.. وأن الإجماع المعلوم القطعي لا يمكن أن يكون خلاف النص ، وأن الأمة لا يمكن أن تحفظ النص المنسوخ وتضيع النص المحكم الناسخ له..!!

فقال -رحمه الله- بعد أن ذكر الآثار عن الصحابة رضي الله عنهم في تقديم الكتاب ثم السنة ثم الإجماع قال : ((وهذه الآثار ثابتة عن عمر وابن مسعود وابن عباسٍ وهم من أشهر الصحابة بالفتيا والقضاء ، وهذا هو الصواب ، ولكن طائفة من المتأخرين قالوا : يبدأ المجتهد بأن ينظر أولاً في الإجماع فإن وجده لم يلتفت إلى غيره ، وإن وجد نصاً خالفه اعتقد أنه منسوخ بنص لم يبلغه ، وقال بعضهم : الإجماع نسخه، والصواب طريقة السلف ، وذلك لأن الإجماع إذا خالفه نص فلابد أن يكون مع الإجماع نص معروف به أن ذلك منسوخ ، فأما أن يكون النص المحكم قد ضيعته الأمة، وحفظت النص المنسوخ فهذا لا يوجد قط ، وهو نسبة الأمة إلى حفظ ما

---

(١) ((درء تعارض العقل والنقل)) : (٨/٩٥ ، ٩٦).

نهيت عن اتباعه وإضاعة ما أُمرت باتباعه ، وهي معصومة عن ذلك ، ومعرفة الإجماع قد تتعذر كثيراً أو غالباً ، فمن ذا الذي يحيط بأقوال المجتهدين ؟ بخلاف النصوص فإن معرفتها ممكنة متيسرة»[١].

هـ)- دقة وقوة ما ينقله شيخ الإسلام من إجماع :

كل إجماع ينقله شيخ الإسلام له أهميته وقيمته ، وذلك لكثرة اطلاعه ، وإتقان معرفته للأقوال والمذاهب ، وشدة تحريه في نقل الإجماع[٢].

ومن دقته في نقل الإجماع نجده يقول في الشفاعة : «اتفق المسلمون على أن نبينا شفيع يوم القيامة وأن الخلق يطلبون منه الشفاعة»[٣].

فعندما يطّلع ويقف القارئ على هذا الإجماع يتبادر إلى ذهنه أولئك المخالفون في الشفاعة من أهل (الوعيدية) الخوارج والمعتزلة ، فكيف ينقل شيخ الإسلام اتفاق المسلمين على ذلك ؟!.

يجيب شيخ الإسلام عنه بقوله -بعد نقله للإجماع السابق- : «لكن عند أهل السنة أنه يشفع في أهل الكبائر ، وأما عند الوعيدية فإنما يشفع في زيادة الثواب»[٤].

فأطلق -رحمه الله- كلمة «المسلمون» و «الشفاعة» ، فعموم المسلمين يؤمنون بمطلق الشفاعة.. وعند التفصيل لابد من البيان.. ولهذا يقول -رحمه الله- في مقامٍ آخر : «ومذهب سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة إثبات الشفاعة لأهل الكبائر»[٥].

فهنا قيّد الاتفاق بأهل السنة ، والشفاعة لأهل الكبائر.

---

(١) «مجموع الفتاوى» : (١٩/٢٠١ ، ٢٠٢).

(٢) ولهذا نجده -رحمه الله- في بعض الإجماعات التي لا يجزم بها يقول فيها : «السلف مجمعون أو كالمجمعين» «مجموع الفتاوى» : (٣٥/٢٧٧). ويقول : «فإن انقسام الفرقة إلى هذين النوعين متفق عليه بين المسلمين فيما أظن» «مجموع الفتاوى» : (٣٢/٣١٥). ويقول : «والترتيب هنا متفق عليه فيما أعلم» «مجموع الفتاوى» : (٢٢/٣٩٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» : (١/١٠٤).

(٤) المصدر نفسه : (١/١٠٤).

(٥) المصدر نفسه : (١/١١٦).

ومن دقته رحمه الله في نقل الإجماع أنه يعتد بمن نقل الإجماع في كل مسألة على أهل الفن فيها والملاصقين لها ، فإذا أجمع أهل الحديث على مسألةٍ حديثية فإجماعهم حقٌ وحجة ، وإذا أجمع الفقهاء على حكمٍ فإجماعهم حقٌ وحجة.. فيؤكد شيخ الإسلام ذلك بقوله -رحمه الله- : ((لو أجمع الفقهاء على حكمٍ كان إجماعهم حُجةً... فكذلك أهل العلم بالحديث إذا أجمعوا على صحة خبر أفاد العلم وإن كان الواحد منهم يجوز عليه الخطأ لكن إجماعهم معصومٌ عن الخطأ))(١).

وإن كان أحد العلماء ملاصقاً وقريباً من المسألة فيقدِّم قولَه على غيره فمثلاً في ذم علم الكلام والخوض فيه ؛ نجده ينقل كلام الغزالي -رحمه الله- في ذلك فيقول : ((قال أبو حامد : وقال أبو يوسف : من طلب العلم بالكلام تزندق... وقد اتفق أهل الحديث من السلف على هذا))(٢).

و)- طرق نقل شيخ الإسلام للإجماع :

بعد تتبع المسائل التي ينقل شيخ الإسلام الإجماع فيها تبيَّن أن طرق نقله واعتماده على إثبات الإجماع تدور على طريقين :

١)- المعلوم من دين الإسلام بالضرورة ، أو المعلوم بالاضطرار ، فينقل شيخ الإسلام الإجماع عليه ومن أمثلة ذلك :

قال -رحمه الله- : ((ومعلومٌ بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوغ اتباع غير دين الإسلام أو اتباع شريعةٍ غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر))(٣).

ويقول -رحمه الله- : ((نعلم باضطرار إجماع الأنبياء من أولهم إلى آخرهم على إثبات المعاد البدني))(٤).

---

(١) المصدر السابق : (١٨/٤٩).

(٢) ((درء تعارض العقل والنقل)) : (٧/١٥٨).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) : (٢٨/٥٢٤).

(٤) ((بيان تلبيس الجهمية)) : (١/٢٢٣).

٢)- تتبع أقوال الصحابة وسلف الأمة والناقلين للإجماع من أهل العلم ومن أمثلة ذلك :

قال -رحمه الله- : ((من المعلوم أن القرآن نطق بالعلو في مواضع كثيرة ، حتى قيل إنها ثلاثمائة موضع ، والسنن متواترة عن النبي ﷺ بمثل ذلك ، وكلام السلف المنقول عنهم بالتواتر يقتضي اتفاقهم على ذلك ، وأنه لم يكن فيهم من ينكره))[1].

ويقول -رحمه الله- ، -في قضية كفر من سب النبي ﷺ من المسلمين- فقال : ((وأما إجماع الصحابة رضي الله عنهم فلأن ذلك نُقِل عنهم في قضايا متعدِّدة ينتشر مثلها ويستفيض ، ولم ينكرها أحدٌ منهم ، فصارت إجماعاً ، واعلم أنه لا يمكن ادعاء إجماع الصحابة على مسألةٍ فرعيةٍ بأبلغ من هذا الطريق))[2].

وقال -رحمه الله- في مسألة (رؤية الله في الآخرة وأنه فوق العالم وأن القرآن غير مخلوق) قال : ((هذه الثلاثة مما اتفق عليها سلف الأمة وأئمتها ، وحكى إجماع أهل السنة عليها غير واحدٍ من الأئمة والعالمين بأقوال السلف ، مثل أحمد بن حنبل ، وعلي بن المديني ، وإسحاق بن إبراهيم ، وداود بن علي ، وعثمان بن سعيد الدارمي، ومحمد بن إسحاق بن خزيمة، وأمثال هؤلاء ، ومثل عبدالله بن سعيد بن كلاب وأبي العباس القلانسي ، وأبي الحسن الأشعري ، وأبي الحسن علي بن مهدي الطبري، ومثل أبي بكر الإسماعيلي ، وأبي نعيم الأصبهاني ، وابن عمر بن عبدالبر ، وأبي عمر الطلمنكي ، ويحيى بن عمار السجستاني ، وأبي إسماعيل الأنصاري ، وأبي القاسم التميمي ، ومن لا يحصى عدده إلا الله من أنواع أهل العلم))[3].

---

(١) ((منهاج السنة)) : (٢/٦٤٥).

(٢) ((الصارم المسلول على شاتم الرسول)) : (٢/٣٧٨).

(٣) ((درء تعارض العقل والنقل)) : (١/٢٤٥).

المطلب الثالث
مكانة الإجماع وأهميته

الحديث عن منزلة الإجماع ومكانته جزء من الحديث عن الجماعة وما ورد في فضلها ومكانتها ، وذلك أن الإجماع محقق للجماعة ووحدة الكلمة وعدم الفرقة.

قال الإمام الشافعي[١] -رحمه الله- : ((من قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم ومن خالف ما تقول به جماعة المسلمين فقد خالف جماعتهم التي أُمِرَ بلزومها، وإنما تكون الغفلة في الفرقة ، فأما الجماعة فلا يمكن فيها كافةً غفلةً عن معنى كتاب الله ولا سنة ولا قياس إن شاء الله))[٢].

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((والبدعة مقرونة بالفرقة ، كما أن السنة مقرونة بالجماعة ، فيقال : أهل السنة والجماعة ، كما يقال : أهل البدعة والفرقة))[٣].

وقد أمر الله ﷻ بالجماعة وحذّر من الفرقة والاختلاف.

قال تعالى : ﴿**وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللهِ جَمِيعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا وَاذكُرُوا نِعمَةَ اللهِ عَلَيكُم إِذ كُنتُم أَعدَاءً فَأَلَّفَ بَينَ قُلُوبِكُم فَأَصبَحتُم بِنِعمَتِهِ إِخوَاناً..**﴾[٤] ، وقال تعالى مخاطباً نبيَّه ﷺ ومبيناً له عظمة تأليف القلوب وجمع الكلمة ، وأن هذا فضلٌ ومنةٌ من الله وحده : ﴿**لَو أَنفَقتَ مَا فِي الأَرضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفتَ بَينَ قُلُوبِهِم وَلَكِنَّ اللهَ أَلَّفَ بَينَهُم إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيم**﴾[٥].

---

(١) أبو عبدالله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان القرشي الشافعي المكي الإمام ، فقيه الملة.. قال إسحاق بن راهويه : ((الشافعي إمام)) ، ولد سنة خمسين ومائة بغزّة ، وتوفي سنة أربع ومائتين ، ((السير)) : (٥/١٠).

(٢) ((الرسالة)) : ص (٤٧٥) رقم (١٣٢٠).

(٣) ((الاستقامة)) : (٤٢/١).

(٤) سورة آل عمران ، آية : (١٠٣).

(٥) سورة الأنفال ، آية : (٦٣).

وحذّر الله عباده المؤمنين من أن يكونوا كالذين تفرَّقوا واختلفوا ، فقال تعالى : ﴿وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾[١]. وقال تعالى : ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾[٢] قال ابن عباسٍ -رضي الله عنهما- : ((أمر الله تعالى المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة ، وأخبرهم أنه أهلك من كان قبلهم بالمراء والخصومات في دين الله))[٣].

وقال ابن جرير الطبري -رحمه الله- في قوله تعالى : ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً﴾ : ((يريد بذلك تعالى ذكره : تمسكوا بدين الله الذي أمركم به ، وعهده الذي عَهِدَهُ إليكم في كتابه إليكم من الألفة والاجتماع على كلمة الحق ، والتسليم لأمر الله))[٤]. وقال في قوله تعالى : ﴿وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ : ((ولا تتفرقوا عن دين الله وعهده الذي عهد إليكم في كتابه ، من الائتلاف والاجتماع على طاعته وطاعة رسوله ﷺ والانتهاء إلى أمره))[٥].

وقال ابن كثير[٦] -رحمه الله- في قول الله تعالى : ﴿وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾ : ((أمرهم بالجماعة ونهاهم عن التفرقة وقد وردت الأحاديث المتعددة بالنهي عن التفرق والأمر بالاجتماع والائتلاف))[٧].

---

(١) سورة آل عمران ، آية : (١٠٥).

(٢) سورة الشورى ، آية : (١٣).

(٣) ((الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية)) : (٢٧٦/١).

(٤) ((تفسير الطبري)): (٣٧٨/٣).

(٥) المصدر نفسه : (٣٧٩/٣).

(٦) أبو الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن كثير القيسي البصروي ، الإمام المحدث الفقيه المفسر ، له مصنفات عديدة ، قال الذهبي عنه : ((فقيه متفنن ، محدث متقن ، مفسر نقال)) ولد سنة سبعمائة أو بعدها بيسير ، وتوفي سنة أربع وسبعين وسبع مائة. ((الدرر الكامنة)) : (٢١٨/١).

(٧) ((تفسير ابن كثير)) : (٨٩/٢).

ومن هذه الأحاديث التي يبين النبي ﷺ فيها فضل وأهمية الجماعة ، وعقوبة من نبذ وشذّ ومات منعزلاً عن الجماعة -ميتة الجاهلية- ما جاء في صحيح مسلم من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((إن الله يرضى لكم ثلاثاً ويكره لكم ثلاثاً ، فيرضى لكم أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً وأن تعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا ، ويكره لكم قيل وقال ، وكثرة السؤال ، وإضاعة المال))[١].

وفي المسند وغيره من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه خطب في الجابية فقال : قال النبي ﷺ : ((عليكم بالجماعة ، وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة))[٢].

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات ، فميتته جاهلية))[٣].

وغير ذلك من الأحاديث الكثيرة التي تحذر من الفرقة وتأمر بالجماعة[٤] مما جعل هذا الوصف يكون رمزاً ومعلماً لسلفنا الصالح رضي الله عنهم فهم أهل السنة والجماعة.

---

(١) ((صحيح مسلم)) ، كتاب الأقضية ، باب النهي عن كثرة المسائل في غير حاجة : ح (١٧١٥) (٣/١٣٤٠).

(٢) ((مسند الإمام أحمد)) ، مسند عمر بن الخطاب : ح(١٧٨) (١/٢٦) ؛ و ((الحاكم في المستدرك)) ، كتاب العلم : (١/١١٤) وقال : هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الذهبي في تلخيصه ؛ وابن أبي عاصم في ((السنة)) : ح(٨٦) (١/٤٢)؛ وصححه الألباني كما في ((ظلال الجنة في تخريج السنة)) ؛ و ((الترمذي في سننه)) ، كتاب الفتن ، باب في لزوم الجماعة ، شرح المباركفوري ؛ ((تحفة الأحوذي)) : (٢٢٥٤) (٦/٢٨٣) ؛ وصححه أحمد شاكر ((الرسالة)) للشافعي : ص (٤٧٤) ح(١٣١٥).

(٣) ((صحيح البخاري)) كتاب الفتن ، باب ما جاء في قول الله تعالى : ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً﴾ : ح(٧٠٥٤) (٤/٣١٣) ؛ ((صحيح مسلم)) ، كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين : ح(١٨٤٩) (٣/١٤٧٧).

(٤) ذكر الإمام الشاطبي -رحمه الله- أقوال الناس في معنى الجماعة الواردة في هذه الأحاديث على خمسة أقوال : ١)- أنها السواد الأعظم من أهل الإسلام. ٢)- أنها جماعة أئمة العلماء المجتهدين. ٣)- أن الجماعة هي الصحابة على الخصوص. ٤)- أن الجماعة هي جماعة أهل الإسلام. ٥)- جماعة المسلمين إذا اجتمعوا على أمير. ((الاعتصام)) : (٢/٢٦٠-٢٦٤).

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((فإن السنة تتضمن النص ، والجماعة تتضمن الإجماع ، فأهل السنة والجماعة هم المتبعون للنص والإجماع))(١).

والآثار عن الصحابة رضي الله عنهم كثيرةٌ في تقرير ذلك ، فقد كتب عمر بن الخطاب ﷺ إلى شريح : ((اقضِ بما في كتاب الله ، فإن لم يكن في كتاب الله فبسنة رسول الله ﷺ ، فإن لم يكن في كتاب الله ولا في سنة رسول الله ﷺ فاقضِ بما قضى به الصالحون)) ، وفي روايةٍ : ((فبما اجتمع عليه الناس)) (٢).

وعن ابن مسعودٍ ﷺ قال : ((من عَرَضَ له منكم قضاءٌ بعد اليوم فليقضِ بما في كتاب الله ، فإن جاء أمرٌ ليس في كتاب الله فليقضِ بما قضى به نبيه ﷺ، فإن جاء أمرٌ ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ فليقضِ بما قضى به الصالحون، فإن جاء أمرٌ ليس في كتاب الله ولا قضى به نبيه ﷺ ولا قضى به الصالحون فليجتهد رأيه ، ولا يقول إني أخاف وإني أخاف فإن الحلال بيِّن والحرام بيِّن، وبين ذلك أمورٌ مشتبهات فدَع ما يريبك إلى ما لا يريبك))(٣).

وقال عمر بن عبدالعزيز(٤) -رحمه الله- : ((سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً الأخذ بها تصديقٌ لكتاب الله ﷻ واستكمالٌ لطاعته وقوةٌ على دين الله ﷻ ليس لأحدٍ تغييرها ولا تبديلها ولا النظر في رأي من خالفها فمن اقتدى بما سنوا

---

(١) ((منهاج السنة)) : (٤٦٦/٦).

(٢) ((مصنف ابن أبي شيبة)) ، كتاب البيوع والأقضية ، باب ما ينبغي للقاضي أن يبدأ به في قضائه : (٢٤٠/٧) ؛ ((سنن النسائي)) كتاب آداب القضاة ، باب الحكم باتفاق أهل العلم : (٢٣١/٨).

(٣) ((النسائي)) ، كتاب آداب القضاة ، باب الحكم باتفاق أهل العلم : (٢٣٠/٨) ، وقال أبو عبدالرحمن النسائي بعد تخريجه : هذا الحديث جَيِّدٌ جَيِّدٌ.

(٤) أبو حفص عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية القرشي الأموي الخليفة. قال الذهبي : ((الإمام الحافظ العلامة المجتهد الزاهد العابد السيد أمير المؤمنين حقاً)) ، ولي الخلافة بعد سليمان بن عبدالملك ، وله من الأبناء خمسة عشر ابناً ، منهم عبدالله ولي العراق ، وعبدالعزيز ولي الحرمين ، وتوفي سنة إحدى ومائة. ((السير)) : (١١٤/٥).

اهتدى ، ومن استبصر بها أبصر، ومن خالفها واتبع غير سبيل المؤمنين ولاه ا لله ما تولى وأصلاه جهنم وساءت مصيراً))[١].

وقال الإمام البربهاري[٢] -رحمه ا لله- : ((والأساس الذي تُبنى عليه الجماعة وهم أصحاب محمد ﷺ ورحمهم أجمعين ، وهم أهل السنة والجماعة فمن لم يأخذ عنهم فقد ضل وابتدع ، وكل بدعةٍ ضلالة ، والضلالة وأهلها في النار))[٣].

وهكذا درج الأئمة على بيان أهمية الجماعة ، وما عليه الرعيل الأول -فإن الإجماع يتحقق بهم ابتداءً- موضحين أهمية الإجماع وعصمة هذه الأمة أن تجتمع على خطأ ، ولقد أخبر الصادق المصدوق ﷺ أن ا لله لا يجمع هذه الأمة على الضلالة أبداً[٤].

قال ابن حزمٍ -رحمه ا لله- : ((الإجماع قاعدةٌ من قواعد الملة الحنيفية يرجع إليه ، ويفزع نحوه ، ويكفر من خالفه إذا قامت عليه الحجة بأنه إجماع))[٥].

ويقول شيخ الإسلام -رحمه ا لله- : ((الحجة الواجبة الاتباع للكتاب والسنة والإجماع ، فإن هذا حق لا باطل فيه ، وواجب الاتباع لا يجوز تركه بحالٍ ، عام الوجوب لا يجوز ترك شيءٍ مما دلّت عليه هذه الأصول ، وليس لأحدٍ الخروج عن شيءٍ مما دلت عليه))[٦].

وتظهر مكانة الإجماع وأهميته بالخصائص التالية :

---

(١) ((السنة)) لعبدا لله بن أحمد : (٧٦٦) (٣٥٧/١) وصحح إسناده الشيخ محمد بن سعيد القحطاني في تحقيق الكتاب ؛ و((الشريعة)) للآجري : (٤٠٧/١) ، و((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي : (١٠٦/١).

(٢) أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري ، الفقيه شيخ الحنابلة ، القدوة الإمام ، كان قوالاً بالحق ، داعيةً إلى الأثر ، لا يخاف في ا لله لومة لائم ، توفي سنة ثمان وعشرين وثلاث مائة. ((السير)) : (٩٠/١٥).

(٣) ((شرح السنة)) : ص (٦٧).

(٤) سبق تخريجه ص (١٩).

(٥) ((مراتب الإجماع)) : ص (٢٣).

(٦) ((مجموع الفتاوى)) : (٥/١٩).

١)- عصمة هذه الأمة أن تجتمع على ضلالة :

كما أخبر بذلك من لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يوحى ﷺ [١] ، وهذه الخصيصة من أعظم ما يبين لنا أهمية الإجماع ، وذلك أن الأمة لا يمكن أن تجتمع على خطأ وضلالة ، فكل ما أجمعوا عليه فهو حق لا شك فيه.

قال الإمام ابن قتيبة[٢] -رحمه الله- : ((ما أجمعوا عليه -أي السلف- هو العيان الذي لا يشك فيه))[٣].

ويقول شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((الكتاب والسنة والإجماع فمدلول الثلاثة واحد... وكل ما أجمع عليه المسلمون ، فإنه لا يكون إلا حقاً موافقاً لما في الكتاب والسنة))[٤].

وهذه العصمة من أبرز معالم حفظ الدين وثباته[٥] ؛ وذلك أن ما أجمعت الأمة عليه هو الحق الجازم الذي لا يختلف مع تغيّر الأزمان وتقلّب الأحوال ، وبهذا تتجلى معاني الرسوخ واليقين والثبات عند أهل العلم.

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((وأما هذه الأمة المرحومة ، وأصحاب هذه الأمة المعصومة فإن أهل العلم منهم والدين هم من أمرهم على يقين ، فظهر لهم الصدق من المين ، كما يظهر الصبح لذي عينين ، عصمهم الله أن يجمعوا على خطأٍ في دين الله معقول أو منقول)) [٦].

---

(١) سبق تخريجه ص (١٩).

(٢) أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، العلامة الكبير ، ذو الفنون ، صاحب التصانيف ، صنَّف وجَمَع وبعُد صيتُه ، وكان رأساً في علم اللسان العربي ، والأخبار وأيام الناس. توفي سنة ستٍ وسبعين ومائتين. ((السير)) : (١٣/٢٩٦).

(٣) ((الاختلاف في اللفظ)) : ص (٥٦).

(٤) ((مجموع الفتاوى)) : (٧/٤٠).

(٥) انظر : رسالة ((الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية)) د.عابد السفياني : ص (٥٦٧ ، ٥٦٨).

(٦) ((مجموع الفتاوى)) : (١/٩).

وبهذه المعاني الناتجة عن العصمة تتحقق وتظهر تلك الطائفة في كل عصرٍ وحينٍ، التي أخبر عنها النبي ﷺ بأنها لا تزال قائمةً بالحق لا يضرها من خالفها ، ظاهرة ثابتة على الحق حتى يأتيها أمر الله[١].

٢)- حجية ما أجمعوا عليه[٢] ووجوب اتباعه :

إذا كانت الأمة معصومةً عن الخطأ ، وما تقوله وتجمع عليه هو الحق ، فيلزم من ذلك أنَّ ما أجمعت عليه الأمة فهو حجة يحتج به ويجب اتباعه ، ولهذا كان الإجماع مصدراً من مصادر أهل السنة والجماعة في الاستدلال ، وأصلاً من أصولهم يميزون به بين الحق والباطل ، يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((الإجماع هو الأصل الثالث الذي يعتمد عليه في العلم والدين وهم [أي أهل السنة والجماعة] يَزِنُونَ بهذه الأصول الثلاثة جميع ما عليه الناس من أقوالٍ وأعمالٍ باطنة أو ظاهرة مما له تعلُّقٌ بالدين))[٣].

٣)- أن الإجماع لا يكون إلا بمستندٍ من الكتاب أو السنة :

وبهذا تظهر مكانة الإجماع وأهميته ؛ وذلك أنه يزيد المستند قوةً ، ويحدد المفهوم منه ، فيمنع بعد ذلك الاجتهاد في تأويله ويقطع النزاع فيه.

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((كل ما أجمع عليه المسلمون فإنه يكون منصوصاً عن الرسول ، فالمخالف لهم مخالف للرسول كما أن المخالف للرسول مخالف لله... فلا يوجد قط مسألةٌ مجمعٌ عليها إلا وفيها بيانٌ من

---

(١) ((صحيح البخاري)) كتاب الاعتصام بالسنة ، باب قول النبي ﷺ : ((لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق..)) : ح(٧٣١١) (٣٦٦/٤) ؛ ((صحيح مسلم)) كتاب الإمارة ، باب قوله ﷺ : ((لا تزال طائفةٌ من أمتي ظاهرين على الحق..)) : ح(١٩٢١) (١٥٢٣/٣).

(٢) الحديث عن حجية الإجماع وأدلة ذلك النقلية والعقلية أُفرِد له بحث مستقل ؛ انظر : ص (٤٨).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) : (١٥٧/٣).

الرسول ، ولكن قد يخفى ذلك على بعض الناس ويعلم الإجماع فيستدل به))[١].

وقال ابن حزم -رحمه الله- : ((لا يمكن البته أن يكون إجماع من علماء الأمة على غير نص من قرآن أو سنة عن رسول الله ﷺ))[٢].

ويقول الآمدي -رحمه الله- في كتابه ((الإحكام)) : ((اتفق الكل على أن الأمة لا تجتمع على الحكم إلا عن مأخذ ومستند يوجب اجتماعها ، خلافا لطائفة شاذة ، فإنهم قالوا بجواز انعقاد الإجماع عن توفيق لا توقيف ، بأن يوفقهم الله تعالى لاختيار الصواب من غير مستند))[٣].

ويقول الفتوحي[٤] -رحمه الله- في ((شرح الكوكب المنير)) : ((ولا إجماع عن غير دليل عند الأئمة الأربعة وغيرهم ، لأن الإجماع لا يكون إلا من المجتهدين ، والمجتهد لا يقول في الدين بغير دليل ، فإن القول بغير دليل خطأ ، وأيضاً فكان يقتضي إثبات شرعٍ مستأنفٍ بعد النبي ﷺ وهو باطلٌ))[٥].

٤)- أنه لا يجوز لأحدٍ مخالفة الإجماع :

وذلك أن إجماعهم معصومٌ عن الخطأ فهو حجةٌ ويستند على دليل ؛ لهذا كله فإن مخالفته تحرم ، وهي سمةٌ وصفةٌ لأهلِ البدع والزيغ والضلال ، وقد

---

(١) المصدر السابق : (١٩/١٩٤ ، ١٩٥).

(٢) ((الإحكام في أصول الأحكام)) : (١/٥٣٩).

(٣) ((الإحكام في أصول الأحكام)) : (١/٢٦١).

(٤) أبو البقاء محمد بن شهاب الدين أحمد بن عبدالعزيز بن علي الفتوحي المصري الحنبلي المشهور بابن النجار ، الفقيه الأصولي ، اللغوي ، العلامة ، ولد سنة ثمان وتسعين وثمانمائة ، وتوفي سنة اثنين وسبعين وتسعمائة ((الأعلام)) للزركلي : (٦/٦) ؛ ((مقدمة شرح الكوكب المنير)) : ص (٥).

(٥) ((شرح الكوكب المنير)) : (٢/٢٥٩) ؛ وانظر : ((المسوَّدة)) : ص (٣٣٠) ؛ ((إرشاد الفحول)) : (ص٧٩) ؛ ((المدخل إلى مذهب أحمد)) : ص (٢٨٣).

تقدم نقلنا لكلام شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((فإن السلف كان يشتد إنكارهم على من يخالف الإجماع ، ويعدونه من أهل الزيغ والضلال))(١).

وبهذا يتبين لك خطأ وضلال أولئك الذين لا يبالون بإجماع السلف ، ويتهاونون باعتقاد خلافه ، أو قبول الخلاف فيه !!

قال الإمام اللالكائي(٢) -رحمه الله- في بيان منهجه في كتابه العظيم ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : ((أَستَدِلُّ على صحة مذهب أهل السنة ؛ بما ورد في كتاب الله تعالى فيها، وبما روي عن رسول الله ﷺ فإن وجدت فيهما جميعاً ذكرتهما ، وإن وجدت في أحدهما دون الآخر ذكرته ، وإن لم أجد فيها إلا عن الصحابة الذين أمر الله ورسوله أن يُقتدى بهم ويُهتدى بأقوالهم ويُستضاء بأنوارهم لمشاهدتهم الوحي والتنزيل ومعرفتهم معاني التأويل احتججت بها ، فإن لم يكن فيها أثرٌ عن صحابي فعن التابعين لهم بإحسان ؛ الذين في قولهم الشفاء والهُدى ، والتدين بقولهم القربة إلى الله والزلفى ، فإذا رأيناهم قد أجمعوا على شيءٍ عوَّلنا عليه ، ومن أنكروا قوله أو ردوا عليه بدعته أو كفروه حكمنا به واعتقدناه ، ولم يزل من لدن رسول الله ﷺ إلى يومنا هذا قومٌ يحفظون هذه الطريقة ويتدينون بها ، وإنما هلك من حاد عن هذه الطريقة لجهله طرق الاتباع))(٣).

وقال الإمام البربهاري -رحمه الله- : ((فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصةً فلا تعجلن، ولا تدخلنَّ في شيءٍ منه حتى تسأل وتنظر: هل تكلم به أصحاب رسول الله ﷺ أو أحدٌ من العلماء؛ فإن وجدت

---

(١) ((منهاج السنة)) : (٣٥٤/٨). وانظر ص (٢٨).

(٢) أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور العبدي الشافعي اللالكائي ، الإمام الحافظ صاحب كتاب (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة) توفي سنة ثمان عشرة وأربع مائة. ((السير)) : (٤١٩/١٧).

(٣) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : (٢٩/١).

فيه أثراً عنهم فتمسك به ، ولا تجاوزه لشيء ، ولا تختر عليه شيئاً فتسقط في النار))[١].

فلا يمكن أن يبتدع المرء فهماً وتأويلاً للنص لم يقل به أحدٌ من الأئمة وأهل العلم المتقدمين ، فكيف إذا فهم ما يخالف إجماعهم واتفاقهم على تأويل النص..!! فلا سبيل إلا سبيلهم ، ولا نهج إلا اتباعهم.. فنقف حيث وقفوا ، ونكف عما كفوا.

قال الإمام الأوزاعي[٢] -رحمه الله- : ((اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكُفَّ عما كفُّوا ، واسلك سبيل سلفك الصالح فإنه يسعك ما وسعهم))[٣].

وقال الإمام أبو محمد البربهاري -رحمه الله- : ((من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأويله من غير حجة من السنة والجماعة ، فقد قال على الله ما لا يعلم، ومن قال على الله ما لا يعلم ، فهو من المتكلفين))[٤].

ويقول شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((وما أحسن ما جاء عن "عبدالعزيز بن عبدالله بن سلمة" أنه قال : عليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة ، فإن السنة إنما جعلت ليستن بها ويقتصر عليها ، وإنما سنها من قد علم ما في خلافها من الزلل والخطأ والحمق والتعمق ؛ فارض لنفسك بما رضوا به لأنفسهم. فإنهم عن علم وقفوا ، وببصرٍ نافذٍ كفوا ، ولهم كانوا على كشفها أقوى ، وبتفصيلها لو كان فيها أحرى ، وإنهم لَهُمُ السابقون ، وقد بلغهم عن نبيهم ما يجري من الاختلاف بعد القرون الثلاثة ، فلئن كان الهُدى ما أنتم عليه

---

(١) ((شرح السنة)) : ص (٦٩).

(٢) أبو عمرو عبدالرحمن بن عمرو بن يحمد الأوزاعي الإمام الفقيه ، قال الإمام مالك : ((الأوزاعي إمام يقتدى به)) مات سنة سبع وخمسين ومائة. ((السير)) : (١٠٧/٧).

(٣) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : (١٧٤/١).

(٤) ((شرح السنة)) : ص (١٠٥).

لقد سبقتموهم إليه ، ولئن قلتم حدثٌ حَدَث بعدهم فما أحدثه إلا من اتبع غير سبيلهم ، ورغب بنفسه عنهم ، واختار ما نحته فكره على ما تلقوه عن نبيهم ، وتلقاه عنهم من تبعهم بإحسان ، ولقد وصفوا منه ما يكفي ، وتكلموا منه بما يشفي ، فمن دونهم مقصِّر ، ومن فوقهم مفرط، لقد قصر دونهم أناس فجفوا، وطمح آخرون فغلوا ، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هُدىً مستقيم))[1].

وما ضل من ضل من الفرق والطوائف إلا بسبب استقلالهم في فهم النصوص ، ومخالفتهم لأئمة السنة والهُدى ، واتباعهم لآرائهم والهوى ، فكل فرقةٍ وطائفةٍ تستدل على معتقدها بالكتاب والسنة ؛ ولكن على ما تراه من تأويلها..!!

والكتاب والسنة منهما يُستمد المعتقد والدين ، ولكن على فهم صحابة رسول الله ﷺ وسلفنا الصالح.

قال الإمام أحمد[2] -رحمه الله- : ((أصول السنة عندنا التمسك بما كان عليه أصحاب رسول الله ﷺ والاقتداء بهم))[3].

وقد أشار النبي ﷺ لخروج فرقةٍ تستقل في فهمها في تأويل القرآن وأخبر أن علياً رضي الله عنه يقوم بقتالها. فعن أبي سعيدٍ الخدري رضي الله عنه قال : خرج رسول الله ﷺ من بعض حجر نسائه فانقطع شسع نعله فأخذها عليٌّ رضي الله عنه وتخلَّف يصلحها ، فقام رسول الله ﷺ ينتظر وقمنا معه فقال : ((إن منكم لمن يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلتُ على تنزيله)) قال : فاستشرفها القوم ، وفيهم أبو بكر وعمر

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٤/ ٧ ، ٨).

(٢) أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الذهلي الشيباني المروزي ثم البغدادي ، علم على رأسه نار ، إمام من أئمة الدين ، بل إمام أهل السنة والجماعة ، قال الذهبي : ((هو الإمام حقاً ، وشيخ الإسلام صدقاً ، قال ابن قتيبة : إذا رأيت رجلاً يحب أحمد ، فاعلم أنه صاحب سنة ، أحمد إمام الدنيا)). وقال إسحاق بن راهويه : ((أحمد حجة بين الله وبين خلقه)) ، ولد سنة أربع وستين ومائة ، وتوفي سنة إحدى وأربعين ومائتين. ((السير)) : (١١/١٧٧).

(٣) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : (١/١٧٦).

رضي الله عنهما ، فقال رسول الله ﷺ : ((لا ، ولكنه صاحبُ النعل)) قال : فانطلقنا إليه نبشره ، فلمَّا يرفع بها رأسه ، كأنه شيءٌ قد كان سمعه))(١).

ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه قال : ((إن جبريل أتاني آنفاً فقال يا محمد إنا لله وإنا إليه راجعون إن أمتك مفتونةٌ بعدك بقليلٍ غير كثير ، قلت : يا جبريل أفتنة ضلال أم فتنة كفر ، قال : كلٌّ سيكون ، قلت : كيف يضلون أو يكفرون وأنا مخلِّفٌ بين أظهرهم كتاب الله، قال : بكتاب الله يضلون، يتأوله كل قومٍ على ما يهوون فيضلون به))(٢).

وقد قاتل علي رضي الله عنه الخوارج على تأويل القرآن ، فهم أهل عبادةٍ وقيام ليلٍ وقراءة قرآن ؛ ولكنهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية ، ولقد أمر النبي ﷺ بقتالهم ، وثبت ضلالُهم بالنص والإجماع(٣) ، ومع ذلك يبنون معتقدهم على نصوصٍ من كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ؛ ولكن بحسب ما يفهمون ويُأَوِّلون..!!

قال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه : ((أيها الناس : إنكم ستحدِثُون ويحدث لكم، فإذا رأيتم محدثةً فعليكم بالأمر الأول))(٤).

ورضي الله عن ابن عباسٍ وسائر صحابة رسول الله ﷺ فقد ((قدم رجلٌ على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فجعل عمر يسأله عن الناس ، فقال : يا أمير المؤمنين قد قرأ القرآن منهم كذا وكذا. قال ابن عباسٍ فقلت : والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا في القرآن هذه المسارعة ، قال فزجرني عمر رضي الله عنه ثم قال : مه ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في ((المسند)) : ح (١٠٨٦٥) (٤١٦/٣) ؛ والحاكم في ((المستدرك)) كتاب معرفة الصحابة ، باب ذكر إسلام أمير المؤمنين علي رضي الله تعالى عنه (١٢٢/٣) وقال : حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه ؛ والآجري في ((الشريعة)) باب ذكر جوامع فضائل علي رضي الله عنه ، وحسَّن إسناده الشيخ عبدالله الدميجي في تحقيقه للكتاب : ح(١٥٩١) (٢٠٩٧/٤).

(٢) ((الشرح والإبانة)) لابن بطة العكبري : ص (١١٧) (٣٨).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) : (٢٨٢/٣).

(٤) ((سنن الدارمي)) المقدمة باب الفتيا وما فيه من الشدة : ح (١٧٢) (٦٥/١).

منهم- : ((.. لا يخاصم أحداً ولا يناظره ، ولا يتعلم الجدل ، فإن الكلام في القدر والرؤية والقرآن وغيرها من السنن ؛ مكروه منهي عنه ولا يكون صاحبه -إن أصاب بكلامه السنة- من أهل السنة حتى يدع الجدل ويسلم))[١].

وقال الإمام أبو محمد الحسن البربهاري : ((والكلام والخصومة والجدال والمراء محدث ، يقدح الشك في القلب ، وإن أصاب صاحبه الحق والسنة))[٢].

وقال شيخ الإسلام : ((وشعار هذه الفرق [أي المخالفة لأهل السنة] مفارقة الكتاب والسنة والإجماع ، فمن قال بالكتاب والسنة والإجماع كان من أهل السنة والجماعة))[٣].

فلن يكون الرجل من أهل السنة ولو وافق السنة حتى يدع الجدل ويُسلم للنصوص ويتبع سبيل المؤمنين ، فمن كان كذلك فهو من أهل السنة ولو أخطأ ، ومن خالف وغيَّر وبدَّل فقد ضل وأخطأ ، ولو وافق أهل السنة في النتيجة[٤].

وهكذا من تحدَّث بجهلٍ بدون علمٍ فإنه ضل الطريق ، وارتكب إثماً ولو وافق الصواب بقوله.

يقول الإمام الشافعي -رحمه الله- : ((من تكلّف ما جَهِل وما لم تثبته معرفتُه كانت موافقته للصواب -إن وافقه من حيث لا يعرفه- غير محمودةٍ والله أعلم ، وكان بخطئه غير معذورٍ ، إذا ما نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الخطأ والصواب فيه))[٥].

---

(١) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : (١/١٧٧).

(٢) ((شرح السنة)) : ص (٧١).

(٣) ((مجموع الفتاوي)) : (٣/٣٤٦).

(٤) انظر : ((شرح العقيدة الطحاوية)) لابن أبي العز الحنفي : ص (١٩٦). ومقدمة ((رفع الأستار)) للألباني : ص (٥٠) و((منهج الأشاعرة في العقيدة)) للدكتور سفر الحوالي : ص (١٦).

(٥) ((الرسالة)) : ص (٥٣) مسألة (١٧٨).

فانطلقت إلى منزلي مكتئباً حزيناً ، فبينا أنا كذلك إذ أتاني رجلٌ فقال : أجب أمير المؤمنين ، فخرجت فإذا هو بالباب ينتظرني ، فأخذ بيدي فخلا بي فقال : ما الذي كرهت مما قال الرجل آنفاً ؟ فقلت : يا أميرَ المؤمنين متى يتسارعوا هذه المسارعة يحتقوا [١]، ومتى يحتقوا يختصموا ، ومتى يختصموا يختلفوا، ومتى يختلفوا يقتتلوا. قال : لله أبوك إن كنت لأكتمها الناس حتى جئت بها))[٢].

فلابد من اتباع منهج سلفنا الصالح ، واعتقاد أن الحق لا يحيد عنهم وإنما هلك من حاد عنهم واتبع غير سبيلهم[٣].

ومن سنن الجادة التي رسمها لنا سلفنا الصالح أن المرء إن حاد عن طرق الاتباع ونهج نهجاً يغاير ما سلكه الأولون فإنه وإن وُفِّقَ للصواب فطريقته غير محمودة ، ولا يعدُّ من أهل السنة ، قال الإمام أحمد -في تقرير منهج السلف وما عليه الواحد

---

(١) قال ابن الأثير : ((الحقاق : المخاصمة ، وهو أن يقول كلُّ واحدٍ من الخصمين أنا أحق به)) ((النهاية في غريب الحديث والأثر)) : (٤١٤/١).

(٢) ((السنة)) لعبدا لله : ح(٨٩) (١٣٥/١) ولا يعارض الأثر ما ورد في حفظ القرآن وفضل قراءته وذلك أن ابن عباسٍ رضي ا لله عنهما قال : ((ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا)) فهي قضية مبنيةٌ على حال الزمان والأشخاص لما يرى ابن عباسٍ من الآثار المترتبة على ذلك ، وأيضاً قول عمر بن الخطاب ﷺ : ((إن كنت لأكتمها الناس)) ، فهي رؤية للأمير. وقد يرى أحياناً رأياً فيه المصلحة. فتكون قضيةً نسبيةً ولو كانت خيراً مطلقاً لما كان لأمير المؤمنين أن يكتمها. والمقصود أن في الأثر تنبيهاً ضرورياً لمن منَّ ا لله عليهم بحفظ وقراءة كتابه وما تيسر من السنن وغيرهم ؛ فيه تنبيه للجميع أن فهم هذه النصوص والاستدلال على المعتقد بها لابد أن يكون تابعاً لفهم صحابة رسول ا لله ﷺ وسلفنا الصالح ، وهذا هو سر كراهة ابن عباسٍ رضي ا لله عنهما لذلك حيث قال ، ويحتقوا ، فكلٌ يدعي الحق معه..!! على ما فهمه وتأوله من النصوص دون الرجوع والاعتماد على أصول سلفنا الصالح. قال الشعبي -رحمه ا لله- : ((قلت لزياد بن النضر : قد كنت من الشيعة فلِمَ تركتهم ؟ قال : إني رأيتهم يأخذون بأعجاز ليس لها صدور)) ، ((الحجة في بيان المحجة)) : (٥٦٢/٢).

(٣) والاتباع له سنة ، والإجماع له حرمة ، ولهذا قال شيخ الإسلام : ((...مثل الغلط في الحساب لا يهتك حريم الإجماع ، ولا يثلم سنن الاتباع)) ، ((مجموع الفتاوى)) : (٥٣٩/٢١) ، وقال الإمام اللالكائي في بيان سبب تأليف كتابه ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) وأنه تكرر السؤال عليه من أهل العلم في ((شرح اعتقاد مذاهب أهل الحديث)) فقال -رحمه ا لله- : ((فأجبتهم إلى مسألتهم لما رأيت فيه من الفائدة الحاصلة والمنفعة السنية التامة ، وخاصةً في هذه الأزمنة التي تناسى علماؤها رسوم (مذاهب أهل السنة) واشتغلوا عنها بما أحدثوا من العلوم الحديثة حتى ضاعت الأصول القديمة التي أسست عليها الشريعة وكان علماء السلف إليها يدعون وإلى طريقتها يهدون وعليها يعولون ، فجددت هذه الطريقة لتعرف معانيها وحججها ولا يقتصر على سماع اسمها دون رسمها)) ، ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : (٢٨/١). فإذا كان عصر اللالكائي تناسى العلماء رسوم مذاهب أهل السنة ، وضاعت الأصول القديمة ؛ فكيف في عصرنا..!!

المطلب الرابع
الأدلة على حجية الإجماع[١]

الإجماع هو الدليل الثالث بعد الكتاب والسنة ، وهو حجةٌ شرعية عند أهل العلم يجب القول به وعدم مخالفته.

قال ابن حزمٍ -رحمه الله- : ((اتفقنا نحن وأكثر المخالفين لنا على أن الإجماع من علماء أهل الإسلام حجة ، وحق مقطوع بها في دين الله ﷻ))[٢].

وقال مجد الدين ابن تيمية[٣] -رحمه الله- : ((الإجماع متصوَّر ، وهو حجة قاطعة))[٤].

وقال شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((وأما إجماع الأمة فهو في نفسه حق لا تجتمع الأمة على ضلالة))[٥].

وقال ابن قدامة : ((والإجماع حجةٌ قاطعةٌ عند الجمهور))[٦].

وقال ابن النجار الفتوحي : ((وهو حجةٌ قاطعة بالشرع))[٧].

إلى غير ذلك مما قاله علماء الأصول [٨].

---

(١) انظر في الاستدلال على حجية الإجماع ((منهاج السنة)) : (٨/٣٤٥-٣٥٥) ؛ ((المستصفى)) : (٢/٢٩٨-٣٢١) ؛ ((شرح الكوكب المنير)) : (٢/٢١٥-٢٢٤) ؛ ((الإقناع في بيان ما قيل عن حجية الإجماع)) : ص (١٤٣-١٩٧) ؛ ((مناقشة الاستدلال بالإجماع)) : ص (٩٦-١٠٥).

(٢) ((الإحكام في أصول الأحكام)) : (١/٥٣٨).

(٣) أبو البركات عبدالسلام بن عبدالله بن الخضر بن محمد بن علي الحراني مجدالدين ابن تيمية ، الإمام العلامة الفقيه جد ابن تيمية المشهور ولد سنة تسعين وخمس مائة ، وتوفي سنة اثنتين وخمسين وست مائة. ((السير)) : (٢٣/٢٩١).

(٤) ((المسوَّدة)) : ص (٣١٥).

(٥) ((مجموع الفتاوى)) : (١٩/١٧٦).

(٦) ((روضة الناظر)) : (١/٣٣٥).

(٧) ((مختصر التحرير)) : ص (٣٣).

(٨) انظر : ((المستصفى)) : (٢/٢٩٨) ؛ والأحكام للآمدي : (١/٢٠٠) ؛ و ((روضة الناظر)) : ص (١٣١) ، و ((شرح الكوكب المنير)) : (٢/٢١٤) ؛ و ((المدخل إلى مذهب الإمام أحمد)) : ص (٢٨٠).

وقد دلَّ على حجية الإجماع الكتاب والسنة والعقل :

أولاً : أدلة الكتاب :

أ)- قال تعالى : ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِع غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَت مَصِيراً** ﴾(١).

وجه الاستدلال بهذه الآية من وجهين :

١- أنه توعَّد مشاق الرسول ومتبع غير سبيل المؤمنين ، وذلك يقتضي أن كلاً منهما مذمومٌ ، ومشاقة الرسول مذمومة بالإجماع ، فلو لم تكن الأخرى مذمومةً لكان قد رتَّب الوعيد على وصفين مذمومٍ وغير مذمومٍ وهذا لا يستقيم.

٢- أن كلاً من الوصفين يقتضي الوعيد لأنه مستلزم للآخر ، وذلك مثل معصية الله والرسول فمن عصى الله عصى الرسول ومن عصى الرسول عصى الله ، ومثل قوله : ﴿**وَمَن يَكفُر بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ..**﴾ فإن الكفر بواحدة يقتضي الكفر بالأخرى، فمن كفر بالملائكة كفر بالكتب ، ومن كفر بالرسل كفر باليوم الآخر، فمن شاق الرسول فقد اتبع غير سبيل المؤمنين، ومن اتبع غير سبيلِ المؤمنين فقد شاقَّ الرسول ، ومن خرج عن إجماعهم فقد اتبع غير سبيلهم فهو مشاق للرسول ﷺ ، وهذا يدل على أن إجماعهم حجة(٢).

ب)- قال تعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم فَإِن تَنَازَعتُم فِي شَيءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ..** ﴾(٣).

---

(١) سورة النساء ، آية : (١١٥).

(٢) انظر في أوجه الاستدلال بهذه الآية : ((منهاج السنة)) : (٣٤٧/٨) ؛ و ((مجموع الفتاوى)) : (٣٨/٧ ، ١٩٣/١٩ ، ٥٠٠/٢٠) ؛ و ((الأحكام)) للآمدي : (٢٠٠/١) ؛ و ((مناقشة الاستدلال بالإجماع)) للسدحان : ص (٩٦).

(٣) سورة النساء ، آية : (٥٩).

ووجه الاستدلال بهذه الآية من أربعة أوجه :

١- جعل وجوب الرد إلى الله والرسول معلقاً بالتنازع ، فعلم أنه عند انتفاء التنازع لا يجب الرد إلى الله ورسوله ، فدل على أن إجماعهم إنما يكون على حقٍ وصواب.

٢- لو كانوا يجمعون على باطلٍ لم يسقط عنهم وجوب الرد إلى الكتاب والسنة.

٣- لو كانوا يجمعون على باطلٍ لكانوا حينئذٍ أولى بوجوب الرد إلى الكتاب والسنة منهم إذا تنازعوا ، فلأن يؤمروا بذلك إذا قدر خروجهم كلهم أولى وأحرى من أن يؤمر بعضهم عند التنازع.

٤- أن أمر الله ورسوله حقٌّ حال الإجماع والنزاع ، فإذا لم يجب الرد عليه عند الإجماع ؛ دلَّ على أن الإجماع موافقٌ له لا مخالف له ، فلما كان المستدل بالإجماع متبعاً له في نفس الأمر لم يحتج إلى الرد إليه[١].

ج)- قال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾[٢].

وجه الاستدلال بهذه الآية من ثلاثة أوجه :

١- من جعلهم الله شهداء على الناس ، فلابد أن يكونوا عالمين بما يشهدون به ذوي عدلٍ في شهادتهم ، وهذا يقتضي أن كل ما أجمعوا عليه فهو حق ، وإلا لم تقبل شهادتهم.

٢- وصفهم الله تعالى بكونهم وسطاً ؛ والوسط متضمن العلم والعدل ، فقد عدَّلهم الله ﷻ وجعلهم حجةً على الناس في قبول أقوالهم ، وهذا يدل على أن إجماعهم حجة.

---

(١) انظر في أوجه الاستدلال بهذه الآية : ((منهاج السنة)) :(٣٤٨/٨) ؛ و ((مجموع الفتاوى)) : (٩١/١٩) ؛ و ((الأحكام)) للآمدي : (٢١٨/١) ؛ و((مناقشة الاستدلال بالإجماع)) للسدحان : ص (٩٨).

(٢) سورة البقرة ، آية (١٤٣).

٣- لو كانوا يحللون ما حرَّم الله ويحرمون ما أحل الله ويتفقون على ضلال لم يكونوا شهداء على الناس(١).

د)- قال تعالى : ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالمعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ﴾(٢).

وجه الاستدلال بهذه الآية من ثلاثة أوجه :

١- وصفهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يدل على أن اتفاقهم حقٌّ وحجةٌ ؛ وذلك أنهم لو اتفقوا على إباحة محرَّمٍ أو تحريم مباحٍ أو قول ضلال لكانوا متصفين بالأمر بالمنكر والنهي عن المعروف.

٢- سببُ خيرية هذه الأمة وصفهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو واجب على الكفاية إذا تُرك تأثم جميع الأمة ، فكيف يجوز أن تأمر كلها بمنكر أو تنهى كلها عن معروف.

٣- وصفهم بالخيرية وهذا يقتضي أن ما أجمعوا عليه عملاً أو تركاً فهو حقٌّ ، فلو كانوا يجمعون على باطلٍ لم يوصفوا بالخيرية(٣).

ثانياً : أدلة السنة :

دلت النصوص العديدة من السنة على حجية إجماع هذه الأمة وذلك لكثرة النصوص التي تأمر بالجماعة ؛ بل وتنهى وتحذِّر من مخالفتها مما يدل على أن هَديَ هذه الجماعة حجةٌ قائمةٌ إلى يوم القيامة ولقد عظَّم النبي ﷺ شأن هذه الأمة وأخبر أنها لن

---

(١) انظر في أوجه الاستدلال بهذه الآية : ((منهاج السنة)) : (٣٤٦/٨) ؛ ((الأحكام)) للآمدي : (٢١١/١) ؛ ((مناقشة الاستدلال بالإجماع)) للسدحان : ص (٩٧).

(٢) سورة آل عمران ، آية : (١١٠).

(٣) انظر في أوجه الاستدلال بهذه الآية : ((منهاج السنة)) : (٣٤٥/٨) ؛ ((مجموع الفتاوى)) : (١٢٥/٢٨) ؛ ((الأحكام)) للآمدي : (٢١٤/١) ؛ ((مناقشة الاستدلال بالإجماع)) للسدحان : ص (٩٨).

تجتمع على ضلالة ، وهذا من أقوى ما يوضح ويبين لنا حجية إجماع هذه الامة ؛ وذلك أنها بمجموعها لن تجتمع على ضلالةٍ ، فهي معصومةٌ عن الخطأ.

فالسنة تدل على حجية الإجماع من ثلاثة أوجه :

الوجه الأول : النصوص التي تأمر بالجماعة ، ومنها :

حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه عندما خطب في الجابية فقال : قام فينا رسول الله ﷺ مقامي فيكم فقال : ((عليكم بالجماعة وإياكم والفرقة ، فإن الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين أبعد ، من أراد بحبوحة الجنة فليلزم الجماعة))[١].

قال الإمام الشافعي -رحمه الله- : ((وأمر رسول الله بلزوم جماعة المسلمين مما يحتج به في أن إجماع المسلمين -إن شاء الله- لازم))[٢].

الوجه الثاني : النصوص التي تحذِّر من مخالفة الجماعة ، ومنها :

حديث أبي هريرة في الصحيح أن النبي ﷺ قال : ((من خرج من الطاعة ، وفارق الجماعة، فمات ، مات ميتة جاهلية ..))[٣] الحديث.

وحديث ابن عباسٍ في الصحيحين أن النبي ﷺ قال : ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه ، فليصبر ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات ، فميتةٌ جاهليِّةٌ))[٤].

الوجه الثالث : النصوص التي تخبر أن هذه الأمة لن تجتمع على ضلالة ، ومنها :

حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((لا يجمع الله هذه الأمة على الضلالة أبداً ..))[٥] الحديث.

---

(١) سبق تخريجه ، ص (٣٦).

(٢) ((الرسالة)) : ص (٤٠٣) برقم (١١٠٥).

(٣) ((صحيح مسلم)) : كتاب الإمارة ، باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين ، ح(١٨٤٨) (١٤٧٦/٣).

(٤) سبق تخريجه ، ص (٣٦).

(٥) سبق تخريجه ، ص (١٩).

ثالثاً : أدلة العقل :

ما ثبت بالنقل لا يعارضه العقل ، وذلك لأن النقل أمر الله ، والعقل خلقه ، فلا يعارض خلق الله أمره ﴿ **أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴾(١) ، فأدلة العقل زيادة استئناسٍ لما يقرره النقل.

وقد دل العقل على حجية الإجماع من وجهين :

الوجه الأول : أن مجموع هذه الأمة تقوم مقام النبي ﷺ في الدعوة إلى الله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وذلك أن سائر الأمم إذا اتفقت على باطل وأجمعت على منكر وعم الفساد بعث الله إليهم نبياً فردهم إلى الحق ، ونبينا ﷺ آخر الأنبياء ، ولا نبي بعده ، فجعلت أمته معصومةً لا تتفق على باطلٍ فهي تقوم مقام نبي يبعث لها ، فتكون عصمتها عوضاً عن بعثة النبي فتقوم الحجة في إجماعها.

الوجه الثاني : العقول المتباينة والمتعددة لا تتفق على حكمٍ من الأحكام من غير تواطؤ، إلا لما يوجب القطع والقبول لهذا الحكم ، فإذا اتفقت كلمة أهل العلم على مسألةٍ من المسائل مع اختلاف أماكنهم وأزمانهم ، وهذا الاتفاق لم يكن عن تواطؤ وتشاعر بينهم دلَّ على حجيَّة إجماعهم(٢).

---

(١) سورة الأعراف ، آية رقم : (٥٤).

(٢) انظر في أوجه الاستدلال بالعقل : ((منهاج السنة النبوية)) : (٣٤٤/٨) ؛ ((مجموع الفتاوى)) : (١٦٥/١٥) ؛ ((شرح الكوكب المنير)) : (٢٢٣/٢) ؛ ((مناقشة الاستدلال بالإجماع)) للسدحان : ص (١٠٤).

المطلب الخامس
حكم مخالف الإجماع

للإجماع هيبةٌ في قلوب أهل العلم ، ولذلك كان يشتد إنكارهم على من يخالفه ، قال شيخ الإسلام : ((ولهذا كان فقهاء الحديث يؤصلون أصلاً بالنص ، ويفرعون عليه -لا يتنازعون في الأصل المنصوص ويوافقون فيما لا نص فيه- ويتولد من ذلك ظهور الحكم المجمع عليه ، لهيبة الاتفاق في القلوب ، وأنه ليس لأحدٍ خلافه))[(١)].

وقال -رحمه الله- : ((فإن السلف كان يشتد إنكارهم على من يخالف الإجماع ويعدونه من أهل الزيغ والضلال)) [(٢)].

وتلك الهيبة وهذا الإنكار يتحققان في الإجماع المعلوم القطعي ، وأما الإجماع الظني فقد يكون الصواب في خلافه.

وبهذا التقسيم للإجماع نتوصل إلى حكم المخالف فيه ، فإن العلماء اختلفوا في حكم مخالف الإجماع على قولين ؛ قال شيخ الإسلام : ((وقد تنازع الناس في مخالف الإجماع : هل يكفر ؟ على قولين ، والتحقيق أن الإجماع المعلوم يكفر مخالفه ، كما يكفر مخالف النص بتركه ، لكن هذا لا يكون إلا فيما علم ثبوت النص به ، وأما العلم بثبوت الإجماع في مسألةٍ لا نص فيها فهذا لا يقع ، وأما غير المعلوم فيمتنع تكفيره))[(٣)].

وقال -رحمه الله- أيضاً : ((كل مسألةٍ يقطع فيها بالإجماع وبانتفاء المنازع من المؤمنين فإنها مما بين الله فيه الهدى ، ومخالف مثل هذا الإجماع يكفر ، كما يكفر مخالف النص البين ، وأما إذا كان يظن الإجماع ولا يقطع به ، فهنا قد لا يقطع أيضاً

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٢٦٩/٣٠).

(٢) ((منهاج السنة)) : (٣٥٤/٨).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) : (٢٦٩/١٩ ، ٢٧٠).

بأنها مما تبين فيه الهُدى من جهة الرسول ، ومخالف مثل هذا الإجماع قد لا يكفر ، بل قد يكون ظن الإجماع خطأ ، والصواب في خلاف هذا القول ، وهذا هو فصل الخطاب فيما يكفر به من مخالفة الإجماع وما لا يكفر))[١].

وقال مجد الدين عبدالسلام أبو البركات ابن تيمية -رحمه الله- : ((من خالف حكماً مجمعاً عليه فهل يكفر بذلك ؟ قال ابن حامد وغيره : أنه يكفر.. وذكر كثيرٌ من الطوائف من أصحابنا وغيرهم منهم القاضي.. أنه يضلل ويفسَّق ، وهو مقتضى كل من قال : أن الإجماع حجةٌ قاطعة ، وهم جماهير الخلائق ، وقال بعض المتكلمين: أنه حجة ظنيةٌ ، فعلى هذا لا يكفر ولا يفسق))[٢].

وقال ابن النجار الفتوحي بعد أن ساق الخلاف في ذلك : ((والحق أن منكر المجمع عليه الضروري والمشهور والمنصوص عليه كافرٌ قطعاً ، وكذا المشهور فقط ، لا الخفي.. فهذا لا يكفر منكره لعذر الخفاء))[٣].

وقال ابن عبدالبر : ((أصول العلم : الكتاب ، والسنة. وتنقسم السنة قسمين : أحدهما إجماعٌ تنقله الكافة عن الكافة ، فهذا من الحجج القاطعة للأعذار إذا لم يوجد هناك خلاف ، ومن رد إجماعهم فقد رد نصاً من نصوص الله يجب استتابته عليه وإراقة دمه إن لم يتب ؛ لخروجه عما أجمع عليه المسلمون وسلوكه غير سبيل جميعهم))[٤].

من خلال هذا النقولات وغيرها يتبين لنا أن مخالف الإجماع يكفر إن كان الإجماع قطعياً ، ولا يكفر إن كان الإجماع ظنياً. وهذا الحكم حكمٌ بالوصف وعلى

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٣٩/٧).

(٢) ((المسوَّدة)) : ص (٣٤٤).

(٣) ((شرح الكوكب المنير)) : (٢٦٣/٢).

(٤) ((جامع بيان العلم وفضله)) : ص (٣٢٦) ؛ وانظر في الخلاف في تكفير مخالف الإجماع : ((الأحكام)) للآمدي : (٢٨٢/١) ؛ ((المدخل إلى مذهب أحمد)) : ص (٢٨٣).

القول ، وأما حكم الشخص والقائل فلابد من إضافة انتفاء الشبهة السائغة وقيام الحجة.

قال شيخ الإسلام : ((اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة وإن كانوا يصلون الخمس ويصومون شهر رمضان ، وهؤلاء لم يكن لهم شبهةٌ سائغةٌ فلهذا كانوا مرتدين))(١).

وقال -رحمه الله- : ((والخوارج المارقون... لم يكفرهم علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص وغيرهما من الصحابة ، بل جعلوهم مسلمين مع قتالهم... وإذا كان هؤلاء الذين ثبت ضلالهم بالنص والإجماع لم يكفروا مع أمر الله ورسوله ﷺ بقتالهم ، فكيف بالطوائف المختلفين الذين اشتبه عليهم الحق في مسائل غلط فيها من هو أعلم منهم))(٢).

وقال -رحمه الله- : ((من أنكر ما ثبت بالتواتر والإجماع فهو كافرٌ بعد قيام الحجة عليه))(٣).

وقال ابن حزمٍ -رحمه الله- كما تقدم : ((الإجماعُ قاعدةٌ من قواعد الملة الحنيفية يرجع إليه ويُفزعُ نحوه ، ويكفر من خالفه إذا قامت عليه الحجة بأنه إجماع))(٤).

وقال قِوَام السنة أبو القاسم الأصبهاني(٥) : ((كل من هداه الله ﷻ ودخل في عقد الإسلام فإنه لا يخرج إلى الكفر إلا بعد البيان))(٦).

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٢٨/٥١٩).

(٢) المصدر نفسه : (٣/٢٨٢).

(٣) ((الرد على البكري)) : (١/٤٢٣).

(٤) ((مراتب الإجماع)) : ص (٢٣).

(٥) أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي بن أحمد بن طاهر القرشي التيمي الأصبهاني ، الملقب بقوام السنة ، الإمام العلامة الحافظ شيخ الإسلام ، قال يحيى بن مندة : ((كان أبو القاسم حسن الاعتقاد ، جميل الطريقة ، قليل الكلام ، ليس في وقته مثله)) ، ولد سنة سبع وخمسين وأربع مائة ، وتوفي سنة خمس وثلاثين وخمس مائة. ((السير)) : (٢٠/٨٠).

(٦) ((الحجة في بيان المحجة)) : (٢/٥٥٢).

وخلاصة البحث أن مخالف الإجماع يكفر بثلاثة شروط :

- الشرط الأول : أن يكون الإجماع قطعياً.
- الشرط الثاني : إقامة الحجة.
- الشرط الثالث : انتفاء الشبهة السائغة.

والأدلة على هذه الشروط من الكتاب والسنة كثيرة ، ومن ذلك قول الله تعالى : ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الهُدَى وَيَتَّبِع غَيرَ سَبِيلِ المُؤمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَت مَصِيراً**﴾[١] فالوعيد وهو ﴿**جَهَنَّمَ**﴾ يتحقق باتباع غير سبيل المؤمنين ، وهو مخالفة الإجماع القطعي ، ولابد من تبيين الهدى له ، وذلك بعد إقامة الحجة عليه وانتفاء الشبهة السائغة ، فمن كان خلافه للإجماع القطعي عدم العلم به فيكفي في حقه قيام الحجة عليه وذلك ببلوغ الحق والإجماع له ، وأما من كان خلافه للإجماع عن شبهة سائغة يعتقد بسببها أنه على الحق فمع قيام الحجة عليه وبلوغ الحق له لابد من إزالة وانتفاء الشبهة حتى يتبين له الهُدى[٢].

(١) سورة النساء ، آية : (١١٥).

(٢) انظر : في ذلك المراجع السابقة ؛ وكتاب ((ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة)) للدكتور عبدالله القرني.

المبحث الثاني

تميز السلف الصالح
(أهل السنة والجماعة)
عن سائر أهل البدع

المبحث الثاني

تميز السلف الصالح (أهل السنة والجماعة) عن سائر أهل البدع

لما كان منهج السلف الصالح في مصدر التلقي واحداً ومتفقاً عليه عند الجميع على اختلاف أزمانهم وتباعد أوطانهم.. وهو كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ فيعتقدون اعتقاداً جازماً أن الحق لا يحيد عنهما ، ويوجبون الإيمان بهما والعمل بمقتضاهما والاعتماد عليهما ، والاكتفاء بهما ، وفهمهما على فهم صحابة رسول الله ﷺ لهما.. نتج عن ذلك تميُّز جلي واضح لسلف الأمة وأئمتها عن سائر أهل البدع والأهواء.. ومن ذلك..

الاتفاق في العقيدة وأصول الدين :

لم يختلف سلفنا الصالح رحمهم الله في أصول هذا الدين ؛ فعقيدتهم واحدة من القرون الأولى إلى يوم الدين..

يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((فإن أئمة السنة والحديث لم يختلفوا في شيءٍ من أصولِ دينهم))[1].

وما أجمل وأعظم ما قاله قوام السنة الإمام الحافظ أبو القاسم -رحمه الله- قال : ((أبى الله أن يكون الحق والعقيدة الصحيحة إلا مع أهل الحديث والآثار ، لأنهم أخذوا دينهم وعقائدهم خلفاً عن سلف ، وقرناً عن قرن ، إلى أن انتهوا إلى التابعين ، وأخذه التابعون من أصحاب رسول الله ﷺ ، وأخذه أصحاب رسول الله ﷺ عن

---

(١) ((درء تعارض العقل والنقل)) : (٣٠٦/١٠).. وأما مسألة رؤية نبينا ﷺ ربَّه في اليقظة فتُعَدُّ من المسائل اليسيرة ، وإن كانت اعتقادية.. فالخلاف فيها يسير.. وأما مسألة المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما فقد استقر منهج أهل السنة والجماعة على تفضيل عثمان على علي رضي الله عن الجميع ، انظر : ص (٢٧٩).

رسول الله ولا طريق إلى معرفة ما دعا إليه رسول الله ﷺ الناس من الدين المستقيم والصراط القويم ؛ إلا هذا الطريق الذي سلكه أصحاب الحديث... ومما يدل على أن أهل الحديث هم على الحق ، أنك لو طالعت جميع كتبهم المصنفة من أولهم إلى آخرهم، قديمهم وحديثهم ، مع اختلاف بلدانهم وزمانهم ، وتباعد ما بينهم في الديار، وسكون كل واحدٍ منهم قطراً من الأقطار ، وَجَدتَهم في بيان الاعتقاد على وتيرةٍ واحدة، ونمطٍ واحد ، يجرون فيه على طريقةٍ لا يحيدون عنها ، ولا يميلون فيها قولُهم في ذلك واحد ، ونقلهم واحد ، لا ترى بينهم اختلافاً ، ولا تفرقاً في شيءٍ ما وإن قلَّ ، بل لو جمعت جميع ما جرى على ألسنتهم ، ونقلوه عن سلفهم ، وَجَدتَه كأنه جاء من قلبٍ واحد ، وجرى على لسانٍ واحد ، وهل على الحق دليلٌ أبين من هذا..؟))[1].

وأما أهل البدع والأهواء فهم مختلفون ومخالفون ، كما قال الإمام أحمد –رحمه الله– : ((فهم مختلفون في الكتاب ، مخالفون للكتاب ، مجمعون على مفارقة الكتاب))[2].

الثبات على العقيدة وعدم التنقل :

إن مما يميز سلفنا الصالح رضي الله عنهم أجمعين عن سائر أهل البدع والأهواء ؛ الثبات على الحق وعدم التنقل ، وذلك لرسوخ علمهم ، وقوة يقينهم بعقيدتهم.. فالحق ما دلَّ عليه كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، على فهم صحابة رسول الله وسلف الأمة وأئمتها ، ولهذا مهما كانت الشبهة العارضة والمخالفة لمعتقد أهل السنة قوية فإنها لا تؤثِّر وتبدِّل من معتقد صاحب المنهج السلفي.. فهو إما أن يستطيع أن يبين زيفها وعوارها ، أولا يستطيع ، ولكنه يجزم بالحق الذي معه وتكون هذه الشبهة من المتشابه الذي لا يطغى على المحكم ، وهي اختبار للمرء ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيكَ**

---

(١) ((الحجة في بيان المحجة)) : (٢/٢٣٧).

(٢) ((الرد على الجهمية)) : ص (١٣).

الكِتَابَ مِنهُ آيَاتٌ مُحكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ ابتِغَاءَ الفِتنَةِ وَابتِغَاءَ تَأوِيلِه وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إلاَّ ا للهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إلاَّ أُولُو الأَلبَابِ﴾[١]» ، فأولو الألباب يعتقدون اعتقاداً جازماً بالحق المحكم وإذا ورد نص يعارض في ظاهره هذا المحكم.. فأهل الزيغ يتبعون هذا المتشابه والراسخون في العلم يقولون كلٌّ من عند ربنا فيردون المتشابه إلى المحكم فيصبح الكل محكماً.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب[٢] -رحمه ا لله- : «جواب أهل الباطل من طريقين مجمل ، ومفصل ، أما المجمل : فهو الأمر العظيم ، والفائدة الكبيرة لمن عقلها ، وذلك قوله تعالى : **﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنهُ آيَاتٌ مُحكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ ابتِغَاءَ الفِتنَةِ وَابتِغَاءَ تَأوِيلِه﴾**[٣]. وقد صح عن رسول ا لله ﷺ أنه قال : «إذا رأيتم الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى ا لله فاحذروهم». مثال ذلك ، إذا قال لك بعض المشركين **﴿أَلاَ إِنَّ أَولِيَاءَ ا للهِ لاَ خَوفٌ عَلَيهِم وَلاَ هُم يَحزَنُونَ﴾**[٤] وأن الشفاعة حق ، وأن الأنبياء لهم جاه عند ا لله ، أو ذكر كلاماً للنبي ﷺ يستدل به على شيءٍ من باطله ، وأنت لا تفهم معنى الكلام الذي ذكره ، فجاوبه بقولك : إن ا لله ذكر في كتابه أن الذين في قلوبهم زيغٌ يتركون المحكم ويتبعون المتشابه ، وما ذكرته لك من أن ا لله تعالى ذكر أن المشركين يقرون بالربوبية ، وأن كفرهم بتعلقهم على

---

(١) سورة آل عمران ، آية : (٧).

(٢) أبو علي محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد الحنظلي التميمي ، شيخ الإسلام الإمام العلامة الرباني محيي السنة ومجدد الدعوة ، قال الشيخ عبدالقادر بن بدران : «أصبح ابن عبدالوهاب ذا شهرة طبقت العالم الإسلامي وغيره ، معدوداً من الزعماء المؤسسين للمذاهب الكبرى» وله مصنفات عديدة وشهيرة في التوحيد والفقه والسيرة ، ولد في العيينة سنة خمس عشرة ومائة وألف وتوفي سنة ست ومائتين وألف. «حاشية كتاب التوحيد» لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم : ص (٣).

(٣) سورة آل عمران ، آية : (٧).

(٤) سورة يونس ، آية : (٦٢).

الملائكة والأنبياء والأولياء ، مع قولهم : ﴿هَؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِنْدَ اللَّهِ﴾[١] هذا أمرٌ محكم بيِّن لا يقدر أحدٌ ان يغير معناه ، وما ذكرت لي أيها المشرك من القرآن أو كلام النبي ﷺ لا أعرف معناه ، ولكن أقطع أن كلام الله لا يتناقض ، وأن كلام النبي ﷺ لا يخالف كلام الله ﷻ ، وهذا جوابٌ جيدٌ سديد ، ولكن لا يفهمه إلا من وفقه الله تعالى ، فلا تستهن به ، فإنه كما قال تعالى : ﴿وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾[٢]))[٣].

ولهذا قال أيضاً –رحمه الله– : ((والعامي من الموحدين يغلب الألف من علماء هؤلاء المشركين))[٤].

وأما أهل البدع والأهواء فتجدهم يتنقلون ولا يثبتون ، قال عمر بن عبدالعزيز –رحمه الله– : ((من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل))[٥].

ولن يجعل المرء دينه غرضاً للخصومات إلا إذا لم يكن على يقينٍ منه ، فتتزحزح المبادئ وتتبدل المفاهيم.

ورحم الله الإمام مالكاً[٦] ، ما كان أعقله وأفهمه.. عندما لحقه رجلٌ بعد انصرافه من المسجد فقال : يا أبا عبدالله ، اسمع مني شيئاً أكلمك به ، وأحاجُّك وأخبرك برأيي ، قال : فإن غلبتني ؟ قال : إن غلبتُك اتبعتني ، قال : فإن جاء رجلٌ آخر فكلّمنا فغلبنا ؟ قال : نتبعه ، قال مالك –رحمه الله– : ((يا عبدالله بعث الله محمداً ﷺ بدينٍ واحد ، وأراك تنتقل من دينٍ إلى دين))[٧].

---

(١) سورة يونس ، آية : (١٨).

(٢) سورة فصلت ، آية : (٣٥).

(٣) ((كشف الشبهات)) : ص (١٠).

(٤) المصدر نفسه : ص (٩).

(٥) ((الشريعة)) للآجري : (٤٣٧/١).

(٦) أبو عبدالله مالك بن أنس بن مالك الحافظ ، الفقيه الأصبحي المدني ، إمام دار الهجرة ، يقول الذهبي فيه : ((شيخ الإسلام ، حجة الأمة)). توفي سنة تسع وسبعين ومائة ((السير)) : (٤٨/٨).

(٧) ((الشريعة)) للآجري : (٤٣٧/١).

الوسطية في المنهج والاعتقاد :

جعل الله أمة محمدٍ ﷺ وسطاً بين الأمم فقال تعالى : ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1] فهي وسط بين الأمم.. وكذلك سلف الأمة وأهل السنة ، فهم وسطٌ بين أهل القبلة ، بين الإفراط والتفريط ، وبين الغالي منهم والجافي.

فهم في باب الصفات.. وسط بين المعطلة والمشبهة.

وفي باب أفعال الله.. وسطٌ بين القدرية والجبرية.

وفي باب الوعيد والأسماء.. وسطٌ بين المرجئة والوعيدية (الخوارج والمعتزلة).

وفي باب أصحاب رسول الله ﷺ.. وسطٌ بين الرافضة والناصبة.

العدل والإنصاف :

تميز سلف الأمة وأئمتها عن سائر أهل البدع والأهواء بالعدل والإنصاف.. فهم يعدلون حتى مع الأعداء من اليهود والنصارى وسائر الكفرة والملحدين ، فلا يظلمون الناس شيئاً كما وجههم وأرشدهم خالقهم ﴿وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[2].. فيعترفون بما عند الخصوم من حق ، ولا يصدهم ضلال أهل البدع عن قول الحق فيهم ، أو يجعلهم يتهمونهم بما ليس فيهم.

وأما أهل البدع والأهواء فهم يتهمون ويضللون بل ويكفرون كل من خالفهم ولم يقل بأقوالهم.

عدم التعصب لشخصٍ بعينه إلا رسول الله ﷺ :

فكلُّ أحدٍ مهما عظم وبلغ مرتبةً قصوى فهو مُعرَّضٌ للخطأ ، وقد يَضِل.. فكلٌ يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله ﷺ.

وأما أهل البدع والأهواء فيتعصبون لحزبهم أو رئيسهم حتى ولو خالف الحق!!

---

(١) سورة البقرة ، آية : (١٤٣).

(٢) سورة المائدة ، آية : (٨).

عمقٌ في الفهم وسعةٌ وصحةٌ في الإدراك :

تميز سلف الأمة وأئمتها بكمال العقل ودقة الفهم وذلك لاعتقاد الحق ، فاعتقاد الحق ، واليقين به والثبات عليه ؛ يورث في الشخص كمالاً في العقل ، وصحةً في الإدراك.. يقول شيخ الإسلام –رحمه الله– : ((أهل الحديث... هم أكمل الناس عقلاً، وأعدلهم قياساً ، وأصوبهم رأياً ، وأسدهم كلاماً ، وأصحهم نظراً ، وأهداهم استدلالاً ، وأقومهم جدلاً ، وأتمهم فراسة... وهذا هو للمسلمين بالنسبة إلى سائر الأمم ، ولأهل السنة والحديث بالنسبة إلى سائر الملل ، فكل من استقرأ أحوال العالم وجد المسلمين أحدّ وأسدّ عقلاً ، وأنهم ينالون في المدة اليسيرة من حقائق العلوم والأعمال أضعاف ما يناله غيرهم في قرونٍ وأجيال ، وكذلك أهل السنة والحديث تجدهم كذلك متمتعين ، وذلك لأن اعتقاد الحق الثابت يقوي الإدراك ويصححه ، قال تعالى : ﴿والَّذِينَ اهتَدَوا زَادَهُم هُدَىً﴾[1] وقال : ﴿وَلَو أَنَّهُم فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيراً لَهُم وَأَشَدَّ تَثبِيتاً ۞ وَإِذاً لآتَينَاهُم مِن لَدُنَّا أَجراً عَظِيماً ۞ وَلَهَدَينَاهُم صِرَاطَاً مُستَقِيمَاً﴾[2].

وتتمة لهذا المبحث فإني أذكر الكتب المفردة المستقلة التي أَلَّفها ودوَّنها سلفنا الصالح في مجمل اعتقاد أهل السنة والجماعة أو في مسائل منه.

وقد استقرأت وتتبعت جميع هذه الكتب للبحث عمن نقل الإجماع قبل شيخ الإسلام ابن تيمية..

وقد رتَّبتها ترتيباً زمنياً بحسب وفيات مؤلفيها رحمهم الله جميعاً..

- أصول السنة — أبو بكر عبدالله بن الزبير الحميدي (ت ٢١٩)
- الإيمان — أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤)
- الإيمان — أبوبكر عبدالله بن أبي شيبة (ت ٢٣٥)

---

(١) سورة محمد ، آية : (١٧).

(٢) سورة النساء ، الآيات : (٦٦–٦٨)

- الرد على الجهمية والزنادقة — أحمد بن حنبل (ت ٢٤١)
- الإيمان — أبو عبدالله محمد العدني (ت ٢٤٣)
- خلق أفعال العباد — محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦)
- شرح السنة — إسماعيل بن يحيى المزني (ت ٢٦٤)
- الفتن — حنبل بن إسحاق بن حنبل (ت ٢٧٣)
- الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية — ابن قتيبة (ت ٢٧٦)
- تأويل مختلف الحديث — ابن قتيبة (ت ٢٧٦)
- الرد على الجهمية — عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠)
- رد عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد — عثمان بن سعيد الدارمي (ت ٢٨٠)
- رسالة في أن القرآن غير مخلوق — إبراهيم بن إسحاق الحربي (ت ٢٨٥)
- البدع والنهي عنها — محمد بن وضاح القرطبي (ت ٢٨٦)
- السنة — أبو بكر بن أبي عاصم (ت ٢٨٧)
- السنة — عبدالله بن أحمد بن حنبل (ت ٢٩٠)
- العرش — محمد بن عثمان بن أبي شيبة (ت ٢٩٧)
- التبصير في معالم الدين — محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠)
- صريح السنة — محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠)
- التوحيد وإثبات صفات الرب — ابو بكر بن خزيمة (ت ٣١١)

- السنه — أبو بكر الخلال — (ت ٣١١)
- أحكام أهل الملل — أبو بكر الخلال — (ت ٣١١)
- العقيدة الطحاوية — أحمد أبو جعفر الطحاوي — (ت ٣٢١)
- الإبانة عن أصول الديانة — أبو الحسن الأشعري — (ت ٣٢٤)
- رسالة إلى أهل الثغر — أبو الحسن الأشعري — (ت ٣٢٤)
- شرح السنة — أبو محمد الحسن البربهاري — (ت ٣٢٩)
- الشريعة — أبو بكر الآجري — (ت ٣٦٠)
- العظمة — أبو محمد بن أبي الشيخ — (ت ٣٦٩)
- اعتقاد أئمة الحديث — أبو بكر الإسماعيلي — (ت ٣٧١)
- الصفات — أبو الحسن الدارقطني — (ت ٣٨٥)
- النزول — أبو الحسن الدارقطني — (ت ٣٨٥)
- الرؤية — أبو الحسن الدارقطني — (ت ٣٨٥)
- شرح مذاهب أهل السنة — أبو حفص عمر بن شاهين — (ت ٣٨٥)
- عقيدة السلف — أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني — (ت ٣٨٦)
- الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ((الإبانة الصغرى)) — أبو عبدالله ابن بطة العكبري — (ت ٣٨٧)
- الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة ((الإبانة الكبرى)) — أبو عبدالله ابن بطة العكبري — (ت ٣٨٧)
- الإيمان — أبو عبدالله بن مندة — (ت ٣٩٥)
- التوحيد — ابو عبدالله بن مندة — (ت ٣٩٥)

• الرد على الجهمية	أبو عبدالله بن مندة	(ت ٣٩٥)
• شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة	أبو القاسم هبة الله اللالكائي	(ت ٤١٨)
• الإمامة والرد على الرافضة	أبو نعيم الأصبهاني	(ت ٤٣٠)
• رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت	أبو نصر عبيدالله السجزي	(ت ٤٤٤)
• عقيدة السلف وأصحاب الحديث	إسماعيل أبو عثمان الصابوني	(ت ٤٤٩)
• الدره فيما يجب اعتقاده	ابن حزم	(ت ٤٥٦)
• الاعتقاد والهداية	أبو بكر البيهقي	(ت ٤٥٨)
• المختار من أصول السنة	أبو علي الحسن بن البنا	(ت ٤٧١)
• الأربعين في دلائل التوحيد	أبو إسماعيل الهروي	(ت ٤٨١)
• الحجة في بيان المحجة	قوام السنة أبو القاسم التيمي	(ت ٥٣٥)

المبحث الثالث

ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية

وفيه خمسة مطالب :

المطلب الأول :

اسمه ونسبه ونشأته وسيرته

المطلب الثاني :

صفاته الخَلقِيَّة والخُلُقيَّة

المطلب الثالث :

أسباب بلوغه هذه المكانة العلمية العظيمة

المطلب الرابع :

صفات العَالِم الرباني

المطلب الخامس :

وفاته وبعض مراثيه

المبحث الثالث

ترجمة موجزة لشيخ الإسلام ابن تيمية

ماذا أقول عن رجلٍ أُطلِقَ عليه -إمام الدنيا[١]-..!!

وقال فيه أبو الحجاج المزي -رحمه الله- : ((ما رأيت مثله ، ولا رأى هو مثل نفسه ، وما رأيت أحداً أعلم بكتاب الله وسنة رسوله ، ولا أتبع لهما منه))[٢].

وقال فيه الشيخ عماد الدين الواسطي -رحمه الله- : ((والله ثم والله ثم والله لم يرَ تحت أديم السماء مثله عِلماً وعملاً وحالاً وخُلُقاً واتباعاً ، وكرماً وحِلماً في حق نفسه ، وقياماً في حق الله عند انتهاك حرمته... ما رأينا في عصرنا هذا من تُستجلى النبوة المحمدية وسنتها من أقواله وأفعاله إلا هذا الرجل ، بحيث يشهد القلب الصحيح أن هذا هو الاتباع حقيقة))[٣].

حقاً إن المرء ليحتقر نفسه ، وهو يتحدث عن هذا الإمام ، علم الأعلام ، وشيخ الإسلام.. وقد قال عمر بن المظفَّر الوردي -رحمه الله- : ((وهو أكبر من أن ينبه مثلي على نعوته ، فلو حلفت بين الركن والمقام لحلفت : أني ما رأيت بعيني مثله ، ولا رأى هو مثل نفسه في العلم))[٤].

ورحم الله الإمام الذهبي حين قال : ((وأنا أقل من أن ينبّه على قدره كلمي ، أو أن يوضح نبأه قلمي ، فأصحابه وأعداؤه خاضعون لعلمه ، مقرّون بسرعة فهمه ، وأنه بحرٌ لا ساحل له ، وكنزٌ لا نظير له ، وأن جوده حاتمي ، وشجاعته خالدية))[٥].

---

(١) أطلقه عبدالله بن حامد أحد علماء الشافعية في رسالة إلى ابن عبدالهادي في الثناء على شيخ الإسلام ((العقود الدرية)) : ص (٥٠٢).

(٢) المصدر نفسه : ص (٧).

(٣) المصدر نفسه : ص (٣١١).

(٤) ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)) : ص (٢٧٤) ، نقلاً من كتاب ((تتمة المختصر في أخبار البشر)) لعمر الوردي.

(٥) ((ذيل تاريخ الإسلام)) (مخطوط) نقلاً من كتاب ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)) : ص (٢٠٧).

.. ولا يعرف الفضل لأهل الفضل إلا أولو الفضل..!!

قال ابن الزملكاني فيه -رحمه الله- :

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جَلَّت عن الحصرِ
هو حجةٌ لله قاهرةٌ ... هو بيننا أعجوبةُ العصرِ
هو آيةٌ في الخلق ظاهرةٌ ... أنوارُها أربت على الفجرِ[(١)]

ولقد كُتِب عنه الكثير ، وترجم له العدد الغفير[(٢)].. وهو أهلٌ لذلك كله.

ومشاركة يسيرة لسنن هؤلاء العلماء..

واقتفاءً واتباعاً لهم في إيضاح وإجلاء ما يتميز به هذ البحر والسيل الجرَّار.. فإني أذكر نبذاً من سيرته.. علَّها تكون حافزاً لطلاب العلم ومحبيه أن ينهجوا نهجه ، فتعلوَ همَمُهم ، ويزداد شغفُهم ، وتتسع مداركُهم.

وقد قسمت البحث في ترجمته إلى خمسة مطالب :

المطلب الأول : في التعريف به وذكر اسمه ونشأته وسيرته وبيان ولادته.

المطلب الثاني : في ما وهبه الله وحباه من صفاتٍ خَلقِية وخُلُقِية.

المطلب الثالث : في الأسباب الأساسية التي جعلته يتبوأ هذه المكانة العلمية العظيمة.

المطلب الرابع : في الصفات الحقيقية للعالم والداعية الرباني التي تجعل من علمه وسيرته تأثيراً قوياً على سامعيه وناظريه وقارئي كتبه.

المطلب الخامس : وفاته وبعض مراثيه.

(١) ((العقود الدرية)) : ص (٩).

(٢) انظر : ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)) جمعه محمد عزيز وعلي العمران ، فقد تتبعا مصادر ترجمة شيخ الإسلام المخطوط منها والمطبوع ، التراجم المفردة منها أو من كتب السير والتواريخ ، فأجادا وأفادا.

المطلب الأول

اسمه ونسبه ونشأته وسيرته

هو الإمام وشيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس أحمد بن العلامة شهاب الدين أبي المحاسن عبدالحليم بن مجد الدين أبي البركات شيخ الإسلام عبدالسلام بن أبي محمد عبدا لله بن أبي القاسم الخضر بن محمد بن الخضر بن علي بن عبدا لله بن تيمية[١] الحراني النميري[٢].

وُلِد –رحمه ا لله– بحران يوم الاثنين العاشر من ربيع الأول أو الثاني عشر سنة ٦٦١ [٣]..

وعاش طفولته في كنف والديه ، في حرَّان مسقط رأسه.. ثم سافر به والده إلى دمشق ، وقد كان عمره عند سفره ست سنوات ، إثر اجتياح التتار لحرَّان ومن حولها.. فهاجر أهلها ومنهم والدا شيخ الإسلام وأخوته ، يقول ابن عبدالهادي –رحمه ا لله– : ((وقد ساروا بالليل ومعهم الكتب على عجلة ، لعدم الدواب ، فكاد العدو يلحقهم ، ووقفت العجلة فابتهلوا إلى ا لله واستغاثوا به فنجوا وسلموا ، وقَدِموا دمشق في أثناء سنة سبع وستين وستمائة)) [٤].

وفي دمشق نشأ وترعرع على العلم وحلقه ، وأكثر من الشيوخ حتى تجاوزوا مائتي شيخ[٥] من محدثٍ وفقيهٍ ، ومفسِّرٍ ولغوي ، وأصولي وغيرهم ، فأحكم

---

(١) سبب تسميته بذلك أن جده محمد بن الخضر حج على درب تيماء ، فرأى هناك طفلةً فلما رجع وجد امرأته قد ولدت لـه بنتاً فقال : يا تيمية ، يا تيمية ، فلُقِّب بذلك. وقيل إن جده محمد بن الخضر كانت أُمه تسمى تيمية ، وكانت واعظة ، فنُسب إليها وعُرف بها. ((العقود الدرية)) : ص (٢).

(٢) ((العقود الدرية)) : ص (٢).

(٣) المصدر نفسه : ص (٢)

(٤) المصدر نفسه : ص (٢)

(٥) المصدر نفسه : ص (٣).

الأصول، وأتقن الفقه ، وتمكَّن من الحديث ، وبرع في العربية ، وحفظ كتاب الله ، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً.. كل ذلك وهو ابن بضع عشرة سنة ، يقول ابن عبدالهادي : ((فانبهر أهل دمشق من فرط ذكائه ، وسيلان ذهنه ، وقوة حافظته ، وسرعة إدراكه))[1].

وقدم إلى دمشق بعض مشايخ حلب فقال : سمعت في البلاد بصبي يقال له أحمد ابن تيمية ، وأنه سريع الحفظ ، وقد جئت قاصداً لعلي أراه ، فقال له خياطٌ : هذه طريق كتَّابه ، وهو إلى الآن ما جاء فاقعد عندنا ، الساعة يجيء ، يعبر علينا ذاهباً إلى الكتَّاب. فجلس الشيخ الحلبي قليلاً ، فمر صبيان ، فقال الخياط للحلبي : هذا الصبي الذي معه اللوح الكبير هو أحمد بن تيمية ، فناداه الشيخ ، فجاء إليه ، فتناول الشيخ اللوح ، فنظر فيه ثم قال : يا ولدي امسح هذا حتى أُملي عليك شيئاً تكتبه ، ففعل ، فأملى عليه من متون الأحاديث أحد عشر ، أو ثلاثة عشر حديثاً وقال له : اقرأ هذا فلم يزد على أن تأمله مرةً بعد كتابته إياه ، ثم دفعه إليه فقال : أسمعه عليّ ، فقرأه عليه عرضاً كأحسن ما أنت سامع. فقال له : يا ولدي امسح هذا ، ففعل ، فأملى عليه عدة أسانيد انتخبها ، ثم قال : اقرأ هذا ، فنظر فيه ، كما فعل أول مرة ، فقام الشيخ ، وهو يقول ، إن عاش هذا الصبي ليكونن له شأنٌ عظيم ، فإن هذا لم يُرَ مثله. أو كما قال[2].

قال أحد أصحاب الشيخ منذ الصغر عن نشأة الشيخ : ((فقد نشأ من حين نشأ في حجور العلماء ، راشفاً كؤوس الفهم ، راتعاً في رياض الفقه ودوحات الكتب الجامعة لكل فنٍ من الفنون ، لا يلوي إلى غير المطالعة والاشتغال والأخذ بمعالي

(١) ((العقود الدرية)) : ص (٣)

(٢) المصدر نفسه : ص (٤).

الأمور، خصوصاً علم الكتاب العزيز والسنة النبوية ولوازمها.. لا تكاد نفسه تشبع من العلم ، فلا تروى من المطالعة ولا تملُّ من الاشتغال ، ولا تكلُّ من البحث)) (١).

ولقد اشتهرت أسرة شيخ الإسلام بالعلم والفضل ، فجده أبو البركات شيخ الإسلام مجد الدين عبدالسلام فقيهٌ أصولي إمامٌ محدِّث ، وأبوه شهاب الدين عبدالحليم له الفضائل الكثيرة من العلم والخطب والدعوة والإفتاء ، وله إخوة ثلاث شقيقان وأخ لأم ، زين الدين عبدالرحمن ، وشرف الدين عبدالله ، وبدر الدين أبو القاسم محمد بن خالد الحراني ، عرفوا بالفضل والعلم وغيرهم من آل تيمية الكثير ممن اشتغلوا بالعلم والدعوة.

فكان لهذا الجو العلمي تأثيره القوي على شخصية شيخ الإسلام ونشأته النشأة العلمية المباركة.

(١) المصدر السابق : ص (٥).

المطلب الثاني
صفاته الخَلقِية والخُلُقِيَّة

أولاً : صفاته الخَلقِية :

قال الذهبي –رحمه الله– : كان الشيخ أبيض ، أسود الرأس واللحية ، قليل الشيب ، شعره إلى شحمة أُذنه ، كأن عينيه لسانان ناطقان ، ربعة من الرجال ، بعيد ما بين المنكبين ، جهوري الصوت ، فصيحاً ، سريع القراءة ، تعتريه حدة ، ثم يقهرها بحلم وصفح(١).

ثانياً : صفاته الخُلُقية :

تربَّى شيخ الإسلام على كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، وأفرغ جهدَه ، وصبَّ فكره على فهمهما والعمل بمقتضاهما ، وكلُّ ناظرٍ في هذين المصدرين يعرف تلك المكانة العظيمة والمنزلة الرفيعة للأخلاق وأهلها.. ولربما ينال صاحبها المنازل العلى وإن لم يبلغها عمله ، وذلك بسبب الاتصاف بها ، كيف إذا جمع معها العلم والعبادة والدعوة والجهاد..!!

ولقد كان لشيخ الإسلام النصيب الأوفر ، والقدر الأكبر ، من الصفات الخُلُقِية العظيمة.. فماذا نقول عن كرمه.. وقف مع إيثاره.. بل وحلمه ، وعفوه.. وانظر إلى تلك المروءة ، وعدم الانتصار لنفسه التي أكبرته عند مناوئيه وشانئيه.. ولقد كان محلَّ إعجابٍ من أعدائه في عدله وإنصافه.. كل ذلك مصحوبٌ بصبرٍ وحسنِ معاملة ، جعلت من الخصم القبول والتسليم لما يقوله ويدعو إليه.

وقد قال –رحمه الله– عن نفسه مبيناً مدى تحمله الكذب والبهتان حتى عليه : ((فإن الناس يعلمون أني من أطول الناس روحاً وصبراً على مُرِّ الكلام ، وأعظم الناس

---

(١) ((ذيل تاريخ الإسلام)) (مخطوط) نقلاً من كتاب ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)) : ص (٢٠٩).

عدلاً في المخاطبة لأقل الناس ، دع لولاة الأمر»[١] ، ولقد عفى عن خصومه بعد قدرته عليهم.. ولهذا قال أحدهم[٢] : «ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه ، فلم نقدر عليه ، وقدر علينا ، فصفح عنّا وحاجج عنّا»[٣]. ولما جاءه الفقهاء يعتذرون مما وقع منهم في حقه ، قال لهم -رحمه الله- : «قد جعلت الكل في حِل»[٤].

وقال عن كرمه العلامة عبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني -رحمه الله- : «خصَّه الله... بكرمٍ يستقل الدنيا لوافده ، ويستنزل الكبريت الأحمر لقاصده»[٥].

(١) «مجموع الفتاوى» : (٣/٢٥١).

(٢) هو قاضي المالكية ابن مخلوف.

(٣) «البداية والنهاية» : (١٤/٥٦).

(٤) المصدر نفسه : (١٤/٥٦).

(٥) «لقطة العجلان في مختصر وفيات الأعيان» (مخطوط) نقلاً من كتاب «الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية» : ص (١٨٦).

المطلب الثالث
أسباب بلوغه هذه المكانة العلمية العظيمة

إن من فوائد دراسة التراجم للأعلام والأئمة أن يقف الباحث والقارئ على الأسباب التي جعلت ذلك العالم والإمام يتبوأ هذه المكانة الرفيعة.. نعم إن معايشة الأحداث وقراءة المواقف من القصص الجميل الباعث على المتعة والإعجاب.. ولكن هل دراسة التراجم تقتصر على المُتعة والإعجاب أو على تاريخ الولادة والحديث عن الأسرة والنشأة..!؟

إن الذي ينبغي أن ندركه -ونحن نقرأ أو نكتب عن ترجمة وسيرة أحد أئمتنا وأعلام ديننا- أن نتأمل في الأسباب التي أوصلته إلى هذه المكانة العلمية العظيمة ، أو جعلته يقف تلك المواقف الكبيرة.. وبذلك تتحقق الفوائد الجليلة ونجني الثمار الكثيرة من دراسة التراجم والحديث عن السير.

وإذا تأملنا في سيرة عَلَمِنا النِّحرير ، والبحر الغزير.. وتلمَّسنا تلك الأسباب التي توصَّل بها إلى مقام الإمامة في الدين ، والتوقيع عن رب العالمين ، لوجدناها أسباباً عديدة وكثيرة.. ولعلي أقتصر على أكثرها ظهوراً وأولاها معرفة.. فمن ذلك :

١- التضرع لله والابتهال إليه وكثرة مناشدته ربه بالعلم النافع :

فإذا أعياه الفهم استغفر ربه ألف مرة أو أكثر أو أقل ، ودعا ربه : يا معلم إبراهيم علمني[1]..

---

(١) ((العقود الدرية)) : ص (٦) ، و ((أسماء مؤلفات شيخ الإسلام)) لابن رُشيِّق ، نقلاً من كتاب ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام)) : ص (٢٢١).

٢- حبه وشغفه بالعلم منذ الصغر :

وهو أمرٌ ظاهرٌ لمن قرأ سيرته.. وقد انبهر منه أهل دمشق ولما يبلغ مبلغاً كبيراً من سنه ، فحفظ وقرأ وعنى بالحديث ، وجَدَّ في التحصيل وهو ابن بضع عشرة سنة ، يقول عنه خليل الصفدي : ((وكان من صغره حريصاً على الطلب ، مجداً على التحصيل والدأب ، ولا يُؤثِرُ على الاشتغال لذة ، ولا يرى أن تضع لحظة منه في البطالة فذّه ، يذهل عن نفسه ويغيب في لذة العلم عن حسه ، لا يطلب أكلاً إلا إذا حضر لديه ، ولا يرتاح إلى طعامٍ ولا شرابٍ في أبرديه)) (١).

ويقول عنه تلميذه ابن عبدالهادي -رحمه الله- وهو يحدث عن فترة صغر سنه وشدة طلبه العلم حينذاك : ((وشيوخه الذين سمع منهم أكثر من مائتي شيخ وسمع مسند الإمام أحمد بن حنبل مرات ، وسمع الكتب الستة الكبار والأجزاء ومن مسموعاته معجم الطبراني الكبير ، وعني بالحديث ، وقرأ ونسخ وتعلم الخط والحساب في المكتب ، وحفظ القرآن وأقبل على الفقه وقرأ العربية على ابن عبدالقوي ثم فهمها ، وأخذ يتأمل كتاب سيبويه حتى فهم في النحو ، وأقبل على التفسير إقبالاً كلياً ، حتى حاز فيه قصب السبق ، وأحكم أصول الفقه وغير ذلك)) (٢).

٣- سعة اطلاعه :

ولا أدل على ذلك من كلامه ، قال -رحمه الله- : ((ربما طالعت على الآية الواحدة نحو مائة تفسير))(٣).

---

(١) ((أعيان العصر وأعوان النصر)) لخليل بن أيبك الصفدي (مخطوط) نقلاً من كتاب ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)) : ص (٢٨٧).

(٢) ((العقود الدرية)) : ص (٣).

(٣) ((أسماء مؤلفات شيخ الإسلام)) لابن رُشَيِّق ، نقلاً من كتاب ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)) : ص (٢٢١).

ويقول -رحمه الله- في تقرير معتقد السلف في الصفات : ((والله يعلم أني قد بالغت في البحث عن مذاهب السلف فما علمت أحداً منهم خالف في ذلك))[1].

ومن سعة اطلاعه ، مروياته للكتب الكثيرة والكبيرة بأسانيد إلى مؤلفيها ، ومن أشهر هذه الكتب : مسند الإمام أحمد بن حنبل ؛ والصحيحين البخاري ومسلم؛ والسنن الأربعة ، سنن النسائي وأبي داود والترمذي وابن ماجه ، والمعجم الكبير للطبراني ، ورد عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد ، والعرش لابن أبي شيبة ، وتفسير الطبري ، وتاريخ بغداد ، وغير ذلك من الكتب والأجزاء الكثيرة التي تدل روايته لها على سعة اطلاعه[2].

٤- حضوره الحلق والمحافل منذ صغره :

كان رحمه الله يحضر المدارس والمحافل في صغره ، فيتكلم ويناظر ، ويُفحم الكبار، ويأتي بما يتحيَّر ويتعجَّب منه أهل العلم.

وانظر إلى شيوخه وكثرتهم وقد بلغوا مائتي شيخ وعمره بضع عشرة سنة[3] ، ومن هؤلاء :

* أحمد بن عبدالدائم بن نعمة المقدسي.
* شمس الدين بن عطاء الحنفي.
* جمال الدين يحيى ابن الصيرفي.
* مجد الدين ابن عساكر.
* أحمد بن أبي الخير الحداد.
* المسلم بن علان.

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (١٧٧/٣٣).

(٢) انظر : رسالة الدكتور عبدالرحمن الفريوائي ((شيخ الإسلام وجهوده في الحديث وعلومه)) : (١٦٢/١-٢٠٨).

(٣) ((العقود الدرية)) : ص (٣).

* أبو بكر الهروي.
* الشرف بن القوَّاس.
* ابن دقق العيد.
* والده : عبدالحليم بن عبدالسلام ابن تيمية.
* أبو العباس أحمد بن أحمد المقدسي.

وغيرهم كثير ممن درس على أيديهم وتتلمذ في حلقهم.

٥- حرصه واهتمامه بوقته :

يظهر هذا جلياً لمن تأمَّل سيرته العلمية والدعوية.. فأوقاته كلها عامرة بين تدريس أو تأليف أو دعوة أو أمرٍ بمعروفٍ أو نهيٍ عن منكرٍ.. وبركة الوقت تتحقق في تنظيمه..!

٦- نشره العلم وبذله فيه كلّ وسعه :

إن كل من سعى في طلب العلم وحرص على نيله.. يعرف معرفةً لا يرتابها شك أن ثبات العلم بل زيادته ونماءه يكون بنشره وبذله.. وكلما كان النشر للعلم عظيماً وكبيراً كلما ازداد علم الشخص وبورك له فيه.

وإن المطلع على سيرة شيخ الإسلام في تعامله ودعوته وأمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ؛ ليرى فيه هذه الصفة تلوحُ في محيَّاه وتتدفق في سيرته..!! وإنها لتظهر في وسائل ثلاث :

أ)- التدريس :

منذ وفاة والده.. قام بوظائفه بعده ، فدرَّس بدار الحديث وفي الجامع[1] وكان له درس في التفسير يحضره العدد الكبير من القضاة وطلاب العلم وعامة الناس ،

---

(١) قال الشيخ بكر أبوزيد في مقدمته لكتاب ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)) : درَّس في الحادية والعشرين من عمره ، أي سنة ٦٨١هـ بعد موت أبيه في المدرسة السكرية ، وتولى مشيختها يوم الاثنين ٢/١/٦٨٣هـ ... وبدأ درس التفسير بالجامع الأموي في ١٠/٢/٦٩١هـ أي وهو ابن ثلاثين سنة ، واستمر سنين متطاولة ، وانظر: ((العقود الدرية)) : ص(٢٣).

ومن أشهر تلاميذه :

* محمد بن عبدا لله بن رشِّيق (صاحب رسالة أسماء مؤلفات شيخ الإسلام ابن تيمية).
* محمد بن أبي بكر (ابن القيِّم الجوزية).
* الإمام شمس الدين الذهبي.
* أبو الحجاج يوسف المزي.
* إسماعيل بن عمر بن كثير (صاحب التفسير).
* محمد بن أحمد بن عبدالهادي.
* عمر بن علي البزَّاز.
* مغلطاي بن قليج المصري.
* أحمد بن إبراهيم الواسطي.
* محمد بن عبدالأحد الآمدي.
* (خادم الشيخ) إبراهيم بن أحمد الفياني.
* أحمد بن محمد بن مُرِّي الحنبلي.

وغيرهم كثير ممن منَّ ا لله عليهم ودرسوا على يد شيخ الإسلام ابن تيمية.

ب)- التصنيف والتأليف :

إن المرء ليعجب عندما يقرأ عن تصانيف هذا العالم ، ويقيسها على أيامه ولياليه، مع انشغاله بالتدريس والدعوة والجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. ولكن هو فضل ا لله يؤتيه من يشاء من عباده[1].

(١) ولكنه فضلٌ مقرونٌ بحكمة.. فلما تهيَّأت الأسباب عند شيخ الإسلام ابن تيمية من صدقٍ وإخلاصٍ وحرصٍ وجهدٍ في الطلب، ومواصلة الأيام والليالي في ذلك ، نال ما نال من الفضل العظيم ومن ذلك بركة الوقت ، والتصنيف..!!

يقول الإمام الذهبي -رحمه الله- : ((وله من المصنفات الكبار التي سارت بها الركبان ، ولعل تصانيفه في هذا الوقت تكون أربعة آلاف كراس وأكثر))[١].

وقد ذكر تلميذه ابن رشيق أسماء مؤلفات شيخه في رسالة مستقلة[٢] ، فذكر جملةً عظيمة من مؤلفاته -رحمه الله- .

وقد صنف وألَّف وأفتى في شتى أنواع العلوم.. يقول الذهبي : ((ولقد سارت بتصانيفه الركبان في فنونٍ من العلم وألوان ، لعلَّ تواليفه وفتاويه في الأصول ، والفروع والزهد والتفسير ، والتوكل ، والإخلاص ، وغير ذلك تبلغ ثلاث مائة مجلد ، لا بل أكثر))[٣].

ويقول ابن عبدالهادي : ((وللشيخ -رحمه الله- من المصنفات والفتاوى والقواعد والأجوبة والرسائل وغير ذلك من الفوائد ما لا ينضبط ، ولا أعلم أحداً من متقدمي الأمة ولا متأخريها جمع مثل ما جمع ، ولا صنف نحو ما صنف، ولا قريباً من ذلك ، مع أن أكثر تصانيفه إنما أملاها من حفظه ، وكثيرٌ منها صنفه في الحبس ، وليس عنده ما يحتاج إليه من الكتب))[٤].

ج)- مناظراته :

إن من الوسائل التي نشر شيخ الإسلام بها علمه ، المناظرات العديدة التي قام بها وأظهر فيها من الحجج النقلية والعقلية على إثبات الحق مما جعل كثيراً من الخصوم يقبل ويذعن للحق ، ويُسلِّم بمنزلة شيخ الإسلام ومكانته.

---

(١) ((العقود الدرية)) : ص (٢٣).

(٢) ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)) : ص (٢٢٠) وقد ذكر محققا الكتاب أن نسبة هذه الرسالة لابن القيم وهم.. وإنما هي لابن عبدالله محمد المعروف بابن رشيِّق. انظر مقدمة الكتاب : ص (٨). قال ابن عبدالهادي عنه : ((وهو من أخص أصحاب شيخنا ، وأكثرهم كتابةً لكلامه ، وحرصاً على جمعه)) ، ((العقود الدرية)) : ص (٢٧).

(٣) ((ذيل تاريخ الإسلام)) (مخطوط) نقلاً من كتاب ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)) : ص (٢٠٦).

(٤) ((العقود الدرية)) : ص (٢٦).

يقول الشيخ علم الدين البرزالي -رحمه الله- : ((وما قطع في مجلس ولا تكلم معه فاضل في فنٍ من الفنون إلا ظن أن ذلك الفن فنه ، ورآه عارفاً به متقناً له))[١].

ومن الكتب والرسائل التي ناظر في مضمونها : الحموية والواسطية.

ومن المسائل والفتاوى التي ناظر عليها : مسألة الزيارة وفتيا الطلاق.

ومن الأشخاص الذين ناظرهم : ابن مخلوف وجلال الدين القزويني.

ومن الطوائف والفرق الذين ناظرهم : الاتحادية والأحمديَّة ، فضلاً عن المعطلة في الصفات.

---

(١) ((البداية والنهاية)) : (١٤٢/١٤).

المطلب الرابع
صفات العالم الرباني

كم هم العلماء الذين عاصروا شيخ الإسلام وعاشوا زمنه ؟ إنهم كثير..!! ولكن.. كم هم الذين خلّد ذكرهم التاريخ ؟! وأصبحت سيرتهم وهم أموات تربي وتؤثر بمن بعدهم وهم أحياء..!!

إن العلم وحده لا يكفي في التأثير على الآخرين.. نعم يجلي لحامله الحق من الباطل والخير من الشر.. ولكن حتى يكون لصاحبه التأثير القوي في طلابه وأتباعه وغيرهم ؛ فلابد أن يكون مصحوباً بمواقف يسجلها له كل من رآه أو سمعه ، مواقف دعوية وجهادية ، وأمرٍ بمعروفٍ ونهي عن منكر ، وقولٍ للحق لا تأخذه في الله لومة لائم.. ودفاعه عن أعراض أهل العلم والدعوة، وعند الفتن والملاحم تجده من أشد الناس ثباتاً وأقواهم إيماناً.

كل هذه الأوصاف وهي قليلٌ من كثير وغيضٌ من فيض.. قد اتصف بها شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– .. فكانت لسيرته المليئة بهذه المواقف وأمثالها الأثر الكبير على طلابه وأتباعه وكل من أراد الحق في عصره أو بعد عصره.. إلى يومنا هذا، والأمة تتربى وتنهل من معين مواقفه وأحداثه العظيمة..

ولكي نستفيد من هذه السيرة المباركة.. فلعلي أشير إلى نقاطٍ يسيرة في حياة هذا العلم الكبير ، تبين لنا أسباب تأثيره على طلابه وأقرانه بل ومشايخه ، دعك مِمَّن جاء بعد ذلك واطلع على سيرته ونهل منها !.

١)– أُولى هذه الأوصاف : تنسكه وعبادته وذكره :

كان لشيخ الإسلام وقفات مع نفسه يقفها من صلاة وذكر وخشوع.. فجهاده وتدريسه ودعوته لا تشغله عن هذه المقامات.

فكان -رحمه الله- إذا صلى الفجر جلس يذكر الله تعالى إلى قريبٍ من انتصاف النهار ويقول : هذه غدوتي لو لم أتغد الغداء سقطت قوتي[١].

ومن أهمية الذكر عنده -رحمه الله- قال فيه : ((الذكر للقلب مثل الماء للسمك فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء))[٢]. وكان يقول -رحمه الله- : ((لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسي وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكرٍ آخر))[٣].

٢)- الدعـــوة :

كانت حياة شيخ الإسلام حافلة بالدعوة إلى الله.. بين وعظٍ وتذكـير في الجامع الأموي ، أو توجيه وإرشادٍ في المحافل العامة أو نصحٍ وتصحيح في الميادين العامة ، فحياته كلها دعوة ، أقواله وأفعاله كتاباته ومقالاته ، مناظراته وتوجيهاته مقتفياً قول الله تعالى : ﴿**قُل هَذِهِ سَبِيلِي أَدعُو إِلَى اللهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي**﴾[٤] فهو متبع لرسول الله ﷺ في ذلك.. دعوة وعلى بصيرة..

فدعوة بلا بصيرة قد تهدم أكثر من بنائها.. وبصيرةٌ بلا دعوة لا أثر لها ولا فائدة تجنى منها..!!

٣)- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :

إن خيرية هذه الأمة منوطة بهذه الصفة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) قال تعالى : ﴿**كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللهِ**﴾[٥] وحتى تتحقق هذه الخيرية لعموم الأمة لابد من تحققها في كثيرٍ من أفرادها..

---

(١) ((الوابل الصيب)) : ص (٥١).
(٢) المصدر نفسه : ص (٥١).
(٣) المصدر نفسه : ص (٥١).
(٤) سورة يوسف ، آية : (١٠٨).
(٥) سورة آل عمران ، آية : (١١٠).

وقد كان لشيخ الإسلام الحظ الأوفر من ذلك.. فقد كسَّر الأصنام والمشاهد التي تعظَّم من دون الله ، وكسَّر أواني الخمور في الخمارات والحانات وعزَّر جماعة من أهلها ، ومواقفه مع السلاطين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر عظيمة وقوية لا تأخذه في الله لومة لائم. وإنكاره الشديد على الطوائف والفرق ، وغير ذلك من شتى أنواع المجتمع وطبقاته مع اختلاف منكراتهم وتنوعها.

يقول الإمام الذهبي -رحمه الله- : ((وكان قوَّالاً بالحق ، نهاءً عن المنكر ، لا تأخذه في الله لومة لائم))[1].

وقال فيه صاحب درة الاسلاك في دولة الأتراك وهو ابن حبيب : ((يصدع بالحق، ويتكلم فيما جلَّ ودق ، ويأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويثابر على إقامة الحدود إن شُكر وإن لم يُشكر))[2].

٤)- المواقف في الجهاد والفتن :

سطَّر التاريخ لشيخ الإسلام -رحمه الله- المواقف البطولية العظيمة حتى إنَّ البعض وصف شجاعته بأنها (خالدية).. والجهاد والمواقف في الفتن لا يقوم لها إلا من وُصِف بالشجاعة وعدم الخوف إلا من الله..

وقد قال شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((لن يخاف الرجل غير الله إلا لمرض في قلبه ، كما ذكروا أن رجلاً شكا إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة ، فقال : لو صححت لم تخف أحداً ، أي خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك))[3].

وقال مرةً -رحمه الله- لحاجب من الحجاب الشاميين ، وأمير من أمرائهم.. وقد تراءى الجمعان : يا فلان ، أوقفني موقف الموت. قال : فسقته إلى مقابلة العدو ، وهم منحدرون كالسيل ، تلوح أسلحتهم من تحت الغبار المنعقد عليهم. ثم قلت له : يا

(١) ((ذيل تاريخ الإسلام)) (مخطوط) نقلاً من كتاب ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)) : ص (٢٠٧).

(٢) وهو كتاب مخطوط نقلاً من كتاب ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)) : ص (٣٩٣).

(٣) ((العقود الدرية)) : ص (١٥٢).

سيدي ، هذا موقف الموت ، وهذا العدو قد أقبل تحت هذه الغبرة المنعقدة ، فدونك وما تريد. قال : فرفع طرفه إلى السماء ، وأشخص بصره ، وحرَّك شفتيه طويلاً ، ثم انبعث وأقدم على القتال.. ثم حال القتال بيننا والإلتحام))(١).

٥)– دفاعه عن أهل العلم والدعوة وحماية أعراضهم ولو كانوا خصومه :

وهذه من الصفات العظيمة التي ينال بها المرء رفعةً في الدنيا والآخرة ، وهكذا هم أهل العلم بعضهم مع بعض ، يحمي الواحد منهم عرض أخيه ، ويعفو عن زلته ، ولقد اتصف شيخ الإسلام بهذه الصفة.. فكان يدني أهل العلم منه ، ويكرمهم ويتجاوز عن تقصيرهم وزللهم.. بل ويعفو عن خصمه منهم مع قدرته على الانتقام ، وقد نقلنا قول أحدهم وهو ابن مخلوف : ((ما رأينا مثل ابن تيمية حرضنا عليه فلم نقدر ، وقدر علينا فصفح عنا وحاجج عنا))(٢).

وقال مرة للسلطان وقد استفتاه في قتل بعضهم بسبب ما كانوا تكلموا فيه ، وأخذ يحثه على ذلك ، ففهم الشيخ مراد السلطان فأخذ في تعظيم القضاة والعلماء، وينكر أن ينال أحداً منهم بسوء ، وقال له : إذا قتلت هؤلاء لا تجد بعدهم مثلهم ، فقال له : إنهم قد آذوك وأرادوا قتلك مراراً ، فقال الشيخ : من آذاني فهو في حل ، ومن آذى الله ورسوله فالله ينتقم منه ، وأنا لا أنتصر لنفسي ، وما زال به حتى حلم عنهم السلطان وصفح(٣).

وعندما بلغه اعتقال المزي –رحمه الله– ، قام حافياً في جماعة من أصحابه وأخرجه من الاعتقال(٤).

---

(١) ((العقود الدرية)) : ص (١٧٧).

(٢) ((البداية والنهاية)) : (٥٦/١٤)

(٣) المصدر نفسه : (٥٦/١٤).

(٤) ((الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية)) : ص (١٦٨) نقلاً من كتاب ((كنز الدرر وجامع الغرر)) لأبي بكر الدواداري.

المطلب الخامس

وفاته وبعض مراثيه

وبعد هذا العمر العظيم –سبعة وستون عاماً– كان يتقلب فيها شيخ الإسلام بين العبادات والطاعات.. علم.. ودعوة.. وجهاد.. وتصنيف.. ونصح.. وقيامٌ بالحق لا يخشى فيه لومة لائم.. وأمرٌ بمعروف ونهيٌ عن منكر.. وغير ذلك من أصناف الطاعات وألوان العبادات من ذكر.. وصلاة.. وقراءة قرآن.. وقنوت.. قضى هذا العمر وهو ينتقل من طاعةٍ إلى أخرى.. كرم.. وعفو.. وحلم.. وبذل.. ثم ابتلاءٌ فصبر.. فرحمه الله رحمةً واسعةً وأجزل مثوبته ونوَّر ضريحه ، ورفع درجته.

فقد جاءته المنية وهو مسجونٌ في قلعة دمشق سنتان وثلاثة أشهر وأيام.. ومَرِض في آخرها بضعة وعشرون يوماً.

يقول ابن عبدالهادي –رحمه الله– عن هذه الفترة : ((أقبل الشيخ على العبادة والتلاوة والذكر والتهجد حتى أتاه اليقين ، وختم القرآن مدة إقامته بالقلعة ثمانين ، أو إحدى وثمانين ختمة ، انتهى في آخر ختمةٍ إلى آخر (اقتربت الساعة) : ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ۞ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾[1] ثم كُمِّلت عليه بعد وفاته وهو مسجًّى.

كان كل يومٍ يقرأ ثلاثة أجزاء ، يختم في عشرة أيام.

وكانت مدة مرضه بضعة وعشرين يوماً ، وأكثر الناس ما علموا بمرضه فلم يفجأ الخلق إلا نعيه ، فاشتد التأسف عليه ، وكثر البكاء والحزن ، ودخل إليه أقاربه وأصحابه ، وازدحم الخلق على باب القلعة والطرقات ، وامتلأ جامع دمشق وصلوا عليه ، وحُمِل على الرؤوس رحمه الله ورضي عنه))[2].

---

(١) سورة القمر ، آية : (٥٤ ، ٥٥).

(٢) ((العقود الدرية)) : ص (٣٦٨).

وفي ليلة الاثنين العشرين من ذي القعدة من سنة ثمان وعشرين وسبعمائة كانت وفاة الشيخ -رحمه الله- .

ومن الأبيات التي قالها وهو في القلعة مسجون :

أنا الفقير إلى رب السموات ... أنا المسكين في مجموعِ حالاتي
أنا الظلوم لنفسي وهي ظالمتي ... والخير إن جاءنا من عنده ياتي
لا أستطيع لنفسي جلب منفعةٍ ... ولا عن النفس في دفعِ المضراتِ
وليس لي دونه مولى يدبرني ... ولا شفيعٌ إلى رب البرياتِ
إلا بإذن من الرحمن خالقنا ... رب السماء كما قد جاء في الآياتِ
ولست أملك شيئاً دونه أبداً ... ولا شريكٌ أنا في بعض ذراتي
ولا ظهيرٌ له كي ما أعاونه ... كما يكون لأربابِ الولاياتِ
والفقر لي وصف ذات لازمٌ أبداً ... كما الغنى أبداً وصفٌ له ذاتي
وهذه الحال حالُ الخلقِ أجمعهم ... وكلهم عنده عبدٌ له آتي
فمن بغى مطلباً من دون خالقه ... فهو الجهول الظلوم المشرك العاتي
والحمد لله ملء الكون أجمعه ... ما كان منه وما من بعده ياتي
ثم الصلاة على المختار من مُضرٍ ... خير البرية من ماضٍ ومن آتي[1]

وقد رثاه الإمام شمس الدين الذهبي -رحمه الله- فقال :

يا موت خذ من أردت أو فدع ... محوت رسم العلوم والورع
أخذت شيخ الإسلام وانفصمت ... عرى التقى واشتفى أولو البدع
غيِّبت بحراً مفسراً ، جبلاً ... حبراً ، تقياً مجانب الشبع
فإن يحدِّث فمسلم ثقة ... وإن يناظر فصاحب اللُمع
وإن يخض نحو سيبويه يَفُه ... بكل معنى في الفن مخترع

---

(١) ((العقود الدرية)) : ص (٣٧٥).

وصار عالي الإسناد حافظة ... كشعبة أو سعيد الضبعي
والفقه فيه ، فكان مجتهداً ... وذا جهادٍ عارٍ من الجزع
وجوده الحاتمي مشتهر ... وزهده القادري في الطبع
أسكنه الله في الجنان ولا ... زال علينا في أجمل الخلع
مع مالك والإمام أحمد والنعـ ... ـمان والشافعي والنخعي
مضى ابن تيمية وموعده ... مع خصمه يوم نفخة الفزع[(١)]

وقال الشيخ عبدالوهاب بن سلار الشافعي -رحمه الله- يرثي شيخ الإسلام -رحمه الله- في قصيدة طويلةٍ منها :

يا لجرحٍ بمهجتي ليس يبرا ... أو يجودوا بطيفهم ، أو يعودوا
هل لما بي من مسعدٍ ، أو معينٍ ؟ ... عزَّ صبري ، وفرط حزني يزيدُ
ويك نفسي ، تعاملي باصطبارٍ ... فالذي قد قضى بهذا مريدُ
قد رُزِئنا إمام علمٍ ودينٍ ... عَدِمِ المثل في الزمان فريدُ
يا لحزنٍ عليه ، عمَّ البرايا ... يا لنارٍ ، بقلبي لها وقودُ
كان شيخ الإسلام عقلاً ونقلاً ... سَنَن البِدع عنده مردودُ
كان في العلم والشجاعة فذّاً ... وهو في الزهد والعفاف يسودُ
كان بالعرف آمراً ، لا لحظٍ ... وعن النكر للعبادِ يذودُ
كان لله ذاكراً كل وقتٍ ... وعن اللهو والضلال بعيدُ[(٢)]

رحمه الله رحمةً واسعةً.. ورفع درجته.. وجعله في عليين..

---

(١) المصادر السابق : ص (٤٢٣).

(٢) المصدر نفسه : ص (٣٩٤).

الباب الأول
النبوات

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول :
المسائل المتعلقة بجميع الأنبياء

الفصل الثاني :
المسائل المتعلقة بنبينا محمد ﷺ

الفصل الثالث :
ما يتعلق بعيسى عليه السلام

الفصل الأول
المسائل المتعلقة بجميع الأنبياء

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :
فضل الأنبياء ومكانتهم.

المبحث الثاني :
عصمة الأنبياء.

المبحث الثالث :
حماية جناب الأنبياء وشرائعهم.

المبحث الأول

فضل الأنبياء ومكانتهم

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :

فضل الأنبياء على سائر البشر

المطلب الثاني :

عدم تعذيب الأنبياء وحصول الثواب لهم قطعاً

المطلب الثالث :

ليس من المخلوقين من أمره حتم على الإطلاق إلا الرسل

المطلب الأول
فضل الأنبياء على سائر البشر

فضل الأنبياء على سائر البشر من القضايا المسلّمة والأمور المتيقنة عند كافة المسلمين ، وذلك لأنهم هم رسل الله الذين اصطفاهم لحمل رسالاته وكلامه ، ولا يمكن تحقيق عبودية الله إلا عن طريقهم ، وباتباعهم ينال الإنسان سعادة الدنيا والآخرة ، وقد اجتباهم الله ﷻ واصطفاهم و ﴿الله أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسَالَتَه﴾[١] ولكن من أجل انقلاب فطرة بعض الناس -وهم شواذ وقلة- وشطحهم في الفكر والمعتقد ، وهم غلاة الصوفية الذين يفضلون بعض الأولياء على الأنبياء[٢] ، نقل شيخ الإسلام وغيره الاتفاق على أن الأنبياء عليهم السلام هم أفضل الخلق.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((الأنبياء أفضل الخلق باتفاق المسلمين))[٣].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال ابن حزم أيضاً -رحمه الله- : ((ولا خلاف بين المسلمين في أن الأنبياء عليهم السلام أرفع قدراً ودرجةً وأتم فضيلة عند الله ﷻ وأعلى كرامةً من كل من دونهم))[٤].

---

(١) سورة الأنعام ، آية : (١٢٤).

(٢) يقول ابن عربي في فصوصه : ((مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي)) فرتبة الولاية عنده أعظم من رتبة النبوة لأن الولي يأخذ بلا واسطة والنبي بواسطة ، وهو كلام ساقط يعرف بطلانه عوام الناس فضلاً عن علمائهم !!. قال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- : ((وكفر ابن عربي وأمثاله فوق كفر القائلين : ﴿لَن نُؤمِنَ حَتَّى نُؤتَى مِثلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ الله﴾ ولكن ابن عربي وأمثاله منافقون ، زنادقة ، اتحادية في الدرك الأسفل من النار)) ((شرح الطحاوية)) : (٤٩٤) ؛ وانظر : ((فصوص الحكم)) : (٦٣/١).

(٣) ((منهاج السنة)) : (٤١٧/٢).

(٤) ((المحلى)) : (٢٥/١).

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي[١] –رحمه الله– : ((ولا نفضل أحداً من الأولياء على أحدٍ من الأنبياء عليهم السلام ونقول : نبي واحد أفضل من جميع الأولياء))[٢].

وقال الإمام ابن شاهين[٣] –رحمه الله– في عقيدته : ((ومؤمنٌ بجميع أنبيائه الذين اصطفاهم واختارهم))[٤].

ذكر مستند الإجماع على أفضلية الأنبياء على الخلق :

قال تعالى بعد ذكره لنوح عليه السلام : ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجزِي المُحسِنِينَ ۞ وَزَكَرِيَّا وَيَحيَى وَعِيسَى وَإِليَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ ۞ وَإِسمَاعِيلَ وَاليَسَعَ وَيُونُس وَلُوطاً وَكُلاً فَضَّلنَا عَلَى العَالَمِينَ ۞ وَمِن آبَائِهِم وَذُرِّيَّاتِهِم وَإِخوَانِهِم وَاجتَبَينَاهُم وَهَدَينَاهُم إِلَى صِرَاطٍ مُستَقِيم﴾[٥].

فذكر الله ﷻ أنه فضَّلهم على العالمين ، بل اجتباهم وهداهم إلى صراطٍ مستقيم.

وقال تعالى بعد ذكره للأنبياء مع أقوامهم إبراهيم وموسى وإسماعيل وإدريس ثم قال تعالى : ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنعَمَ اللهُ عَلَيهِم مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّن حَمَلنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبرَاهِيمَ وَإِسرَائِيلَ وَمِمَّن هَدَينَا وَاجتَبَينَا..﴾[٦] فذكر الاجتباء لهم وهو الاصطفاء ، فهم مصطفون وأفضل الخلق وأصحاب الدرجات العلى في الآخرة.

---

(١) أبوجعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي المصري الطحاوي الحنفي ، صاحب التصانيف من أهل قرية طحا من أعمال مصر ، برز في علم الحديث والفقه ، قال الإمام الذهبي : ((من نظر في تواليف هذا الإمام عَلِمَ محلَّه من العلم ، وسعة معارفه)) ولد سنة تسع وثلاثين ومائتين وتوفي سنة إحدى وعشرين وثلاث مائة. ((سير أعلام النبلاء)) : (٢٧/١٥).

(٢) ((الطحاوية)) : ص (١٤).

(٣) أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن أحمد بن شاهين البغدادي الشيخ الحافظ العالم ، ولد في صفر سنة سبع وتسعين ومائتين.. وكتب الحديث وعمره إحدى عشرة سنة ، وتوفي في ذي الحجة سنة خمس وثمانين وثلاث مائة ((السير)) : (٤٣١/١٦).

(٤) ((شرح مذاهب أهل السنة)) : ص (٣١٨).

(٥) سورة الأنعام ، الآيات : (٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧).

(٦) سورة مريم ، آية رقم : (٥٨).

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- : ((اجتبى فلان لنفسه كذا)) ، إذا اختاره واصطفاه ((يجتبيه اجتباءً))[1].

(١) ((تفسير الطبري)) : (٥/٢٥٨).

المطلب الثاني
عدم تعذيب الأنبياء وحصول الثواب لهم قطعاً

عدم تعذيب الأنبياء وحصول الثواب لهم يعلم بالضرورة من هذا الدين ، وذلك أن الثواب والنجاة من العذاب لسائر العباد لن تتحقق إلا عن طريقهم وباتباع هديهم فمن باب أولى يحصل لهم ذلك.. وقد وعد الله بذلك وأخبر به ، ووعده حق وخبره صدق ﴿وَعدَ اللهِ حَقّاً وَمَن أَصدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً﴾[١].

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((لم يقل أحدٌ من "المسلمين" إن الله قد يعذب أنبياءه ولا إنه قد يقع منه عذاب أنبيائه بل هم متفقون على أنه يثيبهم لا محالة لا يقع منه غير ذلك))[٢].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

لأن العلم بذلك ضرورة[٣] لم أقف على من ذكره في سائر المؤلفات التي تتبعتها واستقرأتها.. وما تحدث أهل السنة من المتأخرين بذلك إلا بسبب تلك الأصول الفاسدة والأقوال الكاسدة التي يطلقها أهل البدع ، ويبنون عليها عقيدتهم ، ومن ذلك نفي الحكمة عن الله ﷻ في أفعاله ، فهو لا يفعل أو يشرع شيئاً لشيءٍ ، وإنما لمجرد المشيئة.. وفرَّعوا على ذلكَ استطراداً جواز أن يعذب الله أولياءه ، ويدخل الجنة أعداءه ، لأن فعله راجع إلى مشيئته المجردة دون الحكمة[٤]..

---

(١) سورة النساء ، آية : (١٢٢).

(٢) ((منهاج السنة)) : (٨٧/٣).

(٣) عدد الإجماعات التي لم أقف على من ذكرها قبل شيخ الإسلام لا تتجاوز العشرة ؛ وأكثرها لأن العلم بها ضرورة ! وهي إحدى طريقتي شيخ الإسلام في نقله للإجماع كما أوضحنا ذلك في مبحث مستقل في التمهيد.

(٤) أطلق الأشاعرة على الحكمة "غرضاً" وقالوا إن الله منزه عن الأغراض ، وإذا كان هذا الغرض كمالاً فلِمَ لم يكن قبل ذلك ، وإذا كان نقصاً فكيف يكون ذلك !! قال ابن القيم : الحِكَم المطلوبة... وجودها وقت وجودها هو الكمال =

ذكر مستند الإجماع على عدم تعذيب الأنبياء وحصول الثواب لهم فقط :

قال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدخِلُهُم جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعدَ ا للهِ حَقّاً وَمَن أَصدَقُ مِنَ ا للهِ قِيلاً﴾[1].

فأخبر ا لله ﷻ بأن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيدخلهم الجنة ويثيبهم على أعمالهم ثواباً دائماً لا انقطاع له ، ثم أكده بأنه وعدٌ منه على إنجاز ذلك وحقٌ لا مرية فيه. ولا أصدق من ا لله في قوله ، ولا أوفى من ا لله في تحقيق وعده ، ويدخل من جملة المؤمنين الموعودين بذلك دخولاً أولياً أنبياءُ ا لله ورسله..

وقد أخبر ا لله ﷻ بأنه لن يخزيَ نبيَّه يوم القيامة قال تعالى : ﴿يَومَ لاَ يُخزِي ا للهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾[2] ونفي الخزي يعني الإكرام بالجنة ونعيمها.

وعندما ذكر ا لله ﷻ في محكم كتابه جملةً من أنبيائه إبراهيم وموسى وعيسى وإسماعيل وإدريس وغيرهم قال بعد ذلك ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنعَمَ ا للهُ عَلَيهِم مِنَ النَّبِيِّينَ مِن ذُرِّيَّةِ آدَمَ وَمِمَّن حَمَلنَا مَعَ نُوحٍ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبرَاهِيمَ وَإِسرَائِيلَ وَمِمَّن هَدَينَا وَاجتَبَينَا﴾[3] وهذا النعيم يكون في الدنيا والآخرة فالأنبياء مُنعمٌ عليهم في الدنيا بالوحي والإيمان.. وفي الآخرة بالجنة والرضوان.

= وعدمها حينئذٍ نقص، وعدمها وقت عدمها كمال ، ووجودها حينئذٍ نقص. ((شفاء العليل)) : ص (٣٤٨) ، وانظر في بحث المسألة المصدر نفسه (٣٤٧-٤٤٢) ، و ((مختصر الصواعق المرسلة)) : ص (٥٨) ، و ((شرح جوهرة التوحيد)) : ص (٢٢٨).

(١) سورة النساء ، آية : (١٢٢).

(٢) سورة التحريم ، آية : (٨).

(٣) سورة مريم ، آية : (٥٨).

المطلب الثالث

ليس من المخلوقين من أمره حتم على الإطلاق إلا الرسل

أمرُ الرُّسل حتمٌ على الإطلاق ، وذلك لأن طاعتهم طاعة لله ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللهَ﴾[١] ، والمقصود من رسالتهم هو طاعتهم ﴿وَمَا أَرسَلنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذنِ اللهِ﴾[٢] وأما طاعة من دونهم من ولاة الأمر فهي مقيدة بما لم يخالفوا فيه شرع الله.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((وقد اتفق المسلمون على أنه ليس من المخلوقين من أمره حتمٌ على الإطلاق إلا الرسل))[٣].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

لم أقف على من نقل الإجماع أونص على هذه المسألة قبل شيخ الإسلام وذلك لأن العلم بها ضرورة.. فمقصود بعثة الرسل هو طاعتهم ، ومن أطاعهم فقد أطاع الله ، وإنما ذكرها شيخ الإسلام استطراداً عندما كان يتحدث عن غلو بعض الطوائف في مشايخهم ومن يعظمونهم ، وذكر عن بعضهم أن من ثنائهم على من يعظمونه يقولون فيه : (الذي أيد بالحكمة فكان أمره حتماً) ، ويلقبونه بالمعصوم.. فبين - رحمه الله- أن المعصوم هو رسول الله ﷺ وأن الذي أمره حتمٌ على الإطلاق هم رسل الله.

---

(١) سورة النساء ، آية : (٨٠).

(٢) سورة النساء ، آية : (٦٤).

(٣) ((بغية المرتاد)) : ص (٤٩٥).

ذكر مستند الإجماع على أنه ليس من المخلوقين من أمره حتمٌ على الإطلاق إلا الرسل :

وذلك لأن طاعتهم طاعةٌ لله قال تعالى : ﴿**مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللّهَ**﴾[(١)]، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله.. بل الغاية والمقصود من إرسال الرسل هو طاعتهم، قال تعالى : ﴿**وَمَا أَرسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلاَّ لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ**﴾[(٢)].. ووصف من يطيع رسول الله ﷺ بالاهتداء ، فقال تعالى : ﴿**إِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلاَّ الْبَلاَغُ الْمُبِينُ**﴾[(٣)].

فكل هذه النصوص تدل على أن طاعة رسل الله طاعةٌ لله ، وأن فيها الاهتداء التام.. ولهذا قال الله تعالى : ﴿**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُم عَنْهُ فَانتَهُوا**﴾[(٤)] ، فأمَرَ بطاعته ونهى عن مخالفته وهذا يدل على أن أمرهم حتم.

وقال تعالى : ﴿**قُلْ أَطِيعُوا اللّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللّهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ**﴾[(٥)] ، فمن تولى عن طاعته فهو من الكافرين.

وهذه المنزلة لأمر الرسل لأنهم جاءوا بالحق من عند الله ، فقال تعالى ﴿**لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ**﴾[(٦)] ومن خالف هديهم وعصى أمرهم فهو من الهالكين ﴿**وَمَن يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَاراً خَالِداً فِيهَا**﴾[(٧)].

ولا يكون هذا إلا لمن أمره حتمٌ على الإطلاق لا يجوز مخالفته ومعصيته.

---

(١) سورة النساء ، آية : (٨٠).

(٢) سورة النساء ، آية : (٦٤).

(٣) سورة النور ، آية : (٥٤).

(٤) سورة الحشر ، آية : (٧).

(٥) سورة آل عمران ، آية : (٣٢).

(٦) سورة الأعراف ، آية : (٤٣).

(٧) سورة النساء ، آية : (١٤).

المبحث الثاني

عصمة الأنبياء

وفيه مطلبان :

المطلب الأول :

عصمة الأنبياء فيما يبلغونه عن الله

المطلب الثاني :

جواز المرض والجوع والنسيان على الأنبياء

المطلب الأول
عصمة الأنبياء فيما يبلغونه عن الله

الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى ، وذلك لكي يكون الناس على يقين من دين الله ، فيدينون بدين الأنبياء ، وهذا لا ينافي وقوعهم في أخطاء من صغائر الذنوب ، فيغفر الله لهم ولا يقرون على ذلك الخطأ ، كما قال تعالى : ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾[١] ثم بعد ذلك اجتباه وهدى ﴿ثُمَّ اجتَبَاهُ رَبُّهُ فَتَابَ عَلَيهِ وَهَدَى﴾[٢].

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((فإن أهل السنة متفقون على أن الأنبياء معصومون فيما يبلغونه عن الله تعالى ، وهذا هو مقصود الرسالة))[٣].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

لما كان الشرع لا يعرف إلا عن طريق الأنبياء.. ولا يمكن تحقيق شرع الله ودينه الذي ارتضاه إلا عن طريقهم واتباعهم ، كان لزاماً أن يكون الأنبياء معصومين عن الخطأ ، وذلك حتى لا يقتدى بهم ويتبعون على الخطأ.

قال ابن حزم -رحمه الله- : ((ذهبت جميع أهل الإسلام من أهل السنة والمعتزلة.. أنه لا يجوز البتة أن يقع من نبي أصلاً معصية بعمدٍ لا صغيرة لا كبيرة... ونقول إنه يقع من الأنبياء السهو عن غير قصد ويقع منهم أيضاً قصد الشيء يريدون به وجه الله تعالى والتقرب به منه فيوافق خلاف مراد الله تعالى إلا أنه تعالى لا يقرهم على شيءٍ من هذين الوجهين))[٤].

---

(١) سورة طه ، آية : (١٢١).

(٢) سورة طه ، آية : (١٢٢).

(٣) ((منهاج السنة)) : (١/٤٧٠).

(٤) ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) : (٤/٢).

وقال ابن حزم أيضاً : ((والأنبياء عليهم السلام ، لا يعصون الله تعالى لا بكبيرة ولا صغيرة على سبيل العمد ، لأنهم معصومون ، والناس مأمورون بالاقتداء بهم ، ولا يجوز الأمر بالاقتداء بمن يعصي))[١].

ذكر مستند الإجماع على عصمة الأنبياء :

مسألة العصمة للأنبياء تُعلم من دين الإسلام بالضرورة ، وذلك أن الله ﷻ جعل دينه المقبول عنده هو ما شرعه الأنبياء وأمروا به ، كما قال تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ الْمَصِيرِ﴾[٢].

وقال تعالى : ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَينَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبرَاهِيمَ وَإِسمَاعِيلَ وَإِسحَاقَ وَيَعقُوبَ وَالأَسبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَبِّهِم لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِنهُم وَنَحنُ لَهُ مُسلِمُون ۞ فَإِن آمَنُوا بِمِثلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهتَدَوا وَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا هُم فِي شِقَاقٍ فَسَيَكفِيكَهُمُ اللهُ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيم﴾[٣].

وقال تعالى : ﴿مَن يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَد أَطَاعَ اللهَ..﴾[٤] الآية.

فلو كان الأنبياء غير معصومين فيما يبلغونه من شرع الله لما ذكر الله ﷻ هذا الثناء على المؤمنين بإيمانهم برسل الله وطاعتهم لهم ، بل قد يكون هذا الثناء والخبر غشاً وعدم تبيين للناس وقد قال تعالى : ﴿يُرِيدُ اللهُ لِيُبَيِّنَ لَكُم وَيَهدِيَكُم سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبلِكُم﴾[٥].

بل حكم الله على من آمن بمثل ما آمن به الأنبياء بالاهتداء.. ولو كانوا غير معصومين لما حكم لمن آمن بمثل ما آمنوا به بذلك ، وأظهر من هذا كله أن جعل من

---

(١) ((الدرة فيما يجب اعتقاده)) : ص (٢٢٩).

(٢) سورة البقرة ، آية : (٢٨٥).

(٣) سورة البقرة ، آية : (١٣٦ ، ١٣٧).

(٤) سورة النساء ، آية : (٨٠).

(٥) سورة النساء ، آية : (٢٦).

يطيعهم فقد أطاع الله ، وهذا لا يمكن أن يكون إلا لمعصوم ، ولو كانوا غير معصومين لكان في ذلك هدمٌ للدين ونزعٌ لجذوره ، ولهذا يعبِّر شيخ الإسلام -رحمه الله- عن عصمة الأنبياء بأنها مقصود الرسالة(١) ، فلن يستقيم للدين أمره وللرسالة مقصودها إلا بعصمة الأنبياء فيما يبلغونه من شرع الله ، وسواء قلنا العصمة ابتداءً أو عدم إقرار الأنبياء على خطأ في التبليغ ؛ فالمقصود أنهم معصومون فيما يبلغونه عن الله، ولهذا وجب اتباعهم وعدم مخالفتهم ، وهذه لا تكون إلا للمعصوم من الخطأ.

(١) ((منهاج السنة)) : (٤٧٠/١).

المطلب الثاني
جواز المرض والجوع والنسيان على الأنبياء

بشرية الأنبياء وحصول المرض والجوع والنسيان عليهم كما يحصل ويقع لسائر البشر من الأمور الظاهرة المعروفة عند كافة الناس ، وما نقل شيخ الإسلام وغيره الإجماع على ذلك إلا لوجود أولئك الذين يرفعون من قدر المخلوق نبياً كان أو غيره ويعظمونه حتى يعدلوا به الرب ﷻ أو يلحقوا به بعض صفاته تعالى ؛ ولهذا اضطر شيخ الإسلام وغيره على نقل الإجماع في بشرية الأنبياء وحصول المرض والجوع ونحو ذلك عليهم ، وهذا مثل ما قاله الإمام الدارمي[1] في كتابه الرد على الجهمية مبيناً اضطراره إلى الكلام في المسائل البديهية حيث قال : ((باب الإيمان بالعرش وهو أحد ما أنكرته المعطلة ثم قال : وما ظننا أن نضطر إلى الاحتجاج على أحدٍ ممن يدعي الإسلام في إثبات العرش والإيمان به ، حتى ابتلينا بهذه العصابة الملحدة في آيات الله ، فشغلونا بالاحتجاج لما لم تختلف فيه الأمم قبلنا ، وإلى الله نشكو ما أوهت هذه العصابة من عرى الإسلام وإليه نلجأ ، وبه نستعين))[2].

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((والأنبياء يجوز عليهم المرض والجوع والنسيان ونحو ذلك بالإجماع))[3].

---

(١) أبو سعيد عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد التميمي الدارمي السجستاني ، الإمام العلامة الحافظ الناقد شيخ تلك الديار ، صاحب "المسند" الكبير والتصانيف ، فاق أهل زمانه ، وكان لَهِجاً بالسنة ، بصيراً بالمناظرة ، ولد قبل المائتين بيسير ، وتوفي سنة ثمانين ومائتين. ((السير)) : (٣١٩/١٣).

(٢) ((الرد على الجهمية)) : ص (١٢).

(٣) ((الرد على البكري)) : (٣٠٦/١).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

كون الأنبياء بشراً ويحصل لهم ما يحصل للبشر من المرض والجوع والنسيان فيه رفعةٌ لشأنهم وقدرهم.. وذلك لأنهم مع وجود هذه الصفات فهم محققون لعبودية ا لله ﷻ غاية التحقيق وأعلاه.. ولأن هذه المسألة من المسلمات عند المسلمين وذلك بنص القرآن ﴿**قُل إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثلُكُم يُوحَى إِلَيَّ**﴾ لم أقف على من تعرض لها ممن جمع في معتقد أهل السنة إلا ما كان من ابن حزم فقد قال -رحمه ا لله- : ((وأن جميع النبيين وعيسى ومحمداً عليهم السلام عبيدٌ لله تعالى مخلوقون ، ناس كسائر الناس))[١].

وكونهم بشراً وأناساً يؤكد وقوع المرض والجوع والنسيان عليهم كوقوعه على غيرهم من سائر البشر.

ذكر مستند الإجماع على جواز المرض والجوع والنسيان ونحو ذلك على الأنبياء :

الأنبياء إنما هم بشر كسائر البشر يحصل لهم ما يحصل للبشر فيمرضون ويجوعون وينسون ونحو ذلك ، قال تعالى : ﴿**قَالَت لَهُم رُسُلُهُم إِن نَحنُ إِلاَّ بَشَرٌ مِثلُكُم وَلَكِنَّ ا للهَ يَمُنُّ عَلَى مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ**﴾[٢] وقال تعالى عن أيوب عليه السلام : ﴿**وَاذكُر عَبدَنَا أَيُّوبَ إِذ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيطَانُ بِنُصبٍ وَعَذَابٍ**﴾[٣] ، ﴿**وَأَيُّوبَ إِذ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنتَ أَرحَمُ الرَّاحِمِينَ**﴾[٤].

وأخبر ا لله ﷻ أن للأنبياء أزواجاً وذرية كما قال تعالى : ﴿**وَلَقَد أَرسَلنَا رُسُلاً مِن قَبلِكَ وَجَعَلنَا لَهُم أَزوَاجاً وَذُرِّيَّةً**﴾[٥] بل إنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ، كما قال تعالى : ﴿**وَمَا أَرسَلنَا قَبلَكَ مِنَ المُرسَلِينَ إِلاَّ إِنَّهُم لَيَأكُلُونَ الطَّعَامَ**

(١) ((المحلى)) : (١/١٠).
(٢) سورة إبراهيم ، آية : (١١).
(٣) سورة ص ، آية : (١٤).
(٤) سورة الأنبياء ، آية : (٨٣).
(٥) سورة الرعد ، آية : (٣٨).

﴿وَيَمْشُونَ فِي الأَسوَاقِ﴾[١] ، وأخبر الله ﷻ عن آدم عليه السلام أنه نسي ، فقال تعالى : ﴿وَلَقَد عَهِدنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبلُ فَنَسِيَ وَلَم نَجِد لَهُ عَزمًا﴾[٢] ، وقال تعالى عن موسى عليه السلام وغلامه ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجمَعَ بَينِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا﴾[٣] ، فكل هذه الصفات تبين بشرية الأنبياء ، وأنهم يجوز عليهم ما يجوز على سائر البشر ، وإنما يوحى إليهم كما قال تعالى على لسان نبيه : ﴿قُل إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثلُكُم يُوحَى إِلَيَّ﴾[٤] ولقد قال النبي ﷺ : ((إنما أنا بشرٌ مثلكم أذكر كما تذكرون وأنسى كما تنسون))[٥].

(١) سورة الفرقان ، آية : (٢٠).
(٢) سورة طه ، آية : (١١٥).
(٣) سورة الكهف ، آية : (٦١).
(٤) سورة الكهف ، آية : (١١٠) ؛ ومثلها في فصلت ، آية : (٦).
(٥) ((صحيح مسلم)) ، كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب السهو في الصلاة والسجود له ، ح(٥٧٢) (٤٠٢/١).

المبحث الثالث

حماية جناب الأنبياء وشرائعهم

وفيه مطلبان :

المطلب الأول :

زندقة من زعم أنه أعلم من الرسل بالحقائق

المطلب الثاني :

كفر من أقر بنبوة بعض الأنبياء دون بعض

المطلب الأول
زندقة من زعم أنه أعلم من الرسل بالحقائق

اجتبى الله واصطفى من عباده من هو أهلٌ لرسالته ، فاختار أفضلَ عباده وأولاهم بهذا المقام العظيم ﴿الله أَعلَمُ حَيثُ يَجعَلُ رِسَالَتَه﴾(١).. فرسل الله أعلم وأتقى عباد الله ، فمن زعم أنه أعلم منهم أو أفضل منهم فلا شك في رِدته ونفاقه إذا قال إنه مؤمنٌ بهم.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال –رحمه الله– : ((إن من زعم أنه وكبار طائفته أعلم من الرسل بالحقائق ، وأحسن بياناً لها فهذا زنديق منافق إذا أظهر الإيمان بهم باتفاق المؤمنين))(٢).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

اصطفى الله ﷻ رسله على سائر البشر فهم أعلم وأتقى مَن عَبد الله من الخلق.. ولهذا هم أعلم الناس بالحقائق.. وهذا معلومٌ بالاضطرار من دين الله.. ولا يجهله عامة الناس فضلاً عن علمائهم.. وإنما ذكره شيخ الإسلام في معرض رده على الفلاسفة الزنادقة الذين ظهروا بعد القرون الأولى الموصوفة بالخيرية ، ولم أقف على من ذكره قبله.

ذكر مستند الإجماع على زندقة من زعم أنه أعلم من الرسل بالحقائق :

الرسل هم أعلم الخلق بالله وبدين الله وبجميع الحقائق ، قال تعالى : ﴿الله يَصطَفِي مِنَ المَلائِكَةِ رُسُلاً وَمِنَ النَّاسِ﴾(٣) فهم مصطفون من بين الخلق ، والمصطفى

(١) سورة الأنعام ، آية : (١٢٤).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) : (١٠١/٤).

(٣) سورة الحج ، آية : (٧٥).

أي الأفضل علماً والأكثر معرفةً ﴿الله أعلمُ حيثُ يجعَلُ رِسَالَته﴾(١).. فلا يمكن أن تكون الرسالة بمن هو أقل علماً ومعرفة.. فرسل الله هم الأعلم والأكثر معرفةً من سائر الناس.

ولقد بعثوا بالعلم والنور والبينات ﴿لَقَد أرسَلنَا رُسُلَنَا بالبيِّنَاتِ وَأنزَلنَا مَعَهُمُ الكِتَابَ﴾(٢).

(١) سورة الأنعام ، آية : (١٢٤).

(٢) سورة الحديد ، آية : (٢٥).

المطلب الثاني

كفر من أقر بنبوة بعض الأنبياء دون بعض

من المسلَّم به أن الرسل كلهم متفقون في أصل الدين ، فلزم من ذلك أن من أقرَّ بنبوة البعض دون الآخر فإنه كافرٌ بالجميع ، وذلك لاتفاقهم جميعاً في أصل رسالتهم ، قال تعالى : ﴿**شَرَعَ لَكُم مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوحَينَا إِلَيكَ وَمَا وَصَّينَا بِهِ إِبرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَن أَقِيمُوا الدِّينَ وَلاَ تَتفَرَّقُوا فِيه**﴾[١].

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((المسلمون متفقون على كفر من أقرَّ بنبوة بعض الأنبياء دون بعض))[٢].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

الرسل والأنبياء كلهم دينهم واحدٌ بُعثوا بعبادة الله وحده ﴿**وَلَقَد بَعَثنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعبُدُوا الله**﴾[٣] فمن كفر بواحدٍ منهم فقد كفر بالآخرين ولهذا كان الإيمان بهم جميعاً ركناً من أركان الإيمان الستة.

قال الإمام ابن بطة العكبري[٤] -رحمه الله- : ((الإيمان والتصديق بجميع ما جاءت به الرسل من عند الله وبجميع ما قال الله ﷻ فهو حقٌ لازمٌ فلو أن رجلاً آمن بجميع ما جاءت به الرسل إلا شيئاً واحداً كان برد ذلك الشيء كافراً عند جميع

---

(١) سورة الشورى ، آية : (١٣).

(٢) ((منهاج السنة)) : (٦/٤٣٣).

(٣) سورة النحل ، آية : (٣٦).

(٤) أبو عبدالله عبيد الله بن محمد بن محمد بن حمدان العكبري الحنبلي ابن بطة ، مصنف كتاب "الإبانة الكبرى" ، الإمام القدوة العابد المحدِّث شيخ العراق. ولد سنة أربع وثلاث مائة ، وتوفي سنة سبع وثمانين وثلاث مائة. ((السير)) : (١٦/٥٢٩).

العلماء))[١]. وهذا الكفر في رد شيءٍ واحدٍ جاء به الرسول ، فكيف فيمن كفر بالرسول وكل ما جاء به ..فكفره أظهر وأولى.

ذكر مستند الإجماع على كفر من أقرَّ بنبوة بعض الأنبياء دون بعض :

قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً ۞ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ عَذَاباً مُهِيناً**﴾[٢] ، قال ابن كثير -رحمه الله- : ((من كفر بنبيٍ من الأنبياء فقد كفر بسائر الأنبياء ، فإن الإيمان واجبٌ بكل نبي بعثه الله إلى أهل الأرض ، فمن رد نبوته للحسد أو العصبية أو التشهي تبين أن إيمانه بمن آمن به من الأنبياء ليس إيماناً شرعياً ، إنما هو عن غرضٍ وهوىً وعصبية ، ولهذا قال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللهِ وَرُسُلِهِ**﴾ فوسمهم بأنهم كفار بالله ورسله ﴿**وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللهِ وَرُسُلِهِ**﴾ أي : في الإيمان ﴿**وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلاً**﴾ أي : طريقاً ومسلكاً ، ثم أخبر تعالى عنهم ، فقال : ﴿**أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ حَقّاً**﴾ أي : كفرهم محقق لا محالة بمن ادعوا الإيمان به ، لأنه ليس شرعياً ، إذ لو كانوا مؤمنين به لكونه رسول الله لآمنوا بنظيره ، وبمن هو أوضح دليلاً وأقوى برهاناً منه ، أو نظروا حق النظر في نبوته))[٣].

فبيَّن الله ﷻ أن الذين يؤمنون ببعض الرسل ويكفرون ببعضٍ أنهم هم الكافرون حقاً.

ثم ذكر وصف المؤمنين ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أُولَئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ وَكَانَ اللهُ غَفُوراً رَحِيماً**﴾[٤] فالمؤمنون يؤمنون برسل الله ولا يفرقون بين أحدٍ منهم وأنهم جميعاً يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له،

---

(١) ((الشرح والإبانة)) : ص (٢١١).

(٢) سورة النساء ، آية : (١٥٠ ، ١٥١).

(٣) ((تفسير ابن كثير)) : (٢/٤٤٥).

(٤) سورة النساء ، آية : (١٥٢).

والكفر بما يُعبد من دونه ، وأنهم بلغوا رسالات الله بصدقٍ وأمانةٍ ، وأن خاتمهم محمد بن عبدالله ، نسخت شريعته جميع الشرائع السابقة ، فنؤمن بجميع الأنبياء والرسل إجمالاً وندين بدين وشرعة محمد بن عبدالله إجمالاً وتفصيلاً ، لا يقبل الله بعد بعثته ديناً سوى دينه.

وقال تعالى : ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيهِ مِن رَبِّهِ وَالْمُؤمِنُونَ كُلٌ آمَنَ بِاللهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لاَ نُفَرِّقُ بَينَ أَحَدٍ مِن رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا غُفرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيكَ المَصِيرُ﴾(١) ، فمن كذب وكفر بنبيٍ واحدٍ فقد كذَّب وكفر بسائر الأنبياء، قال تعالى عن قوم نوح : ﴿كَذَّبَت قَومُ نُوحٍ المُرسَلَينَ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿وَقَومَ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغرَقنَاهُم﴾(٣) وهم إنما كذَّبوا وكفروا بنوحٍ عليه السلام ، لكن لـمَّا كان تكذيب نبي واحدٍ والكفر به بمثابة من كذب وكفر بسائر الأنبياء ، قال تعالى عنهم : ﴿كَذَّبُوا الرُّسُلَ﴾(٤) و ﴿كَذَّبَت عَادٌ المُرسَلِينَ﴾(٥).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة ، والأنبياء إخوةٌ لعلاَّت ، أمهاتهم شتى ودينهم واحد))(٦).. فيخبر النبي ﷺ أن الأنبياء دينهم واحد ، متفقون في أصل دينهم ورسالتهم وهو التوحيد.. فمن كفر بواحدٍ منهم كفر بالجميع.

---

(١) سورة البقرة ، آية : (٢٨٥).

(٢) سورة الشعراء ، آية : (١٠٥).

(٣) سورة الفرقان ، آية : (٣٧).

(٤) سورة الفرقان ، آية : (٣٧).

(٥) سورة الشعراء ، آية : (١٢٣).

(٦) ((صحيح البخاري)) ، كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿وَاذكُر فِي الكِتَابِ مَريَمَ إِذِ انتَبَذَت..﴾ ح(٣٤٤٣) (٤٨٩/٢). ((صحيح مسلم)) ، كتاب الفضائل ، باب فضل عيسى عليه السلام ح(٢٣٦٥) (١٨٣٧/٤). وقال ابن الأثير : ((علاّت : إذا كان الإخوة لأبٍ واحدٍ وأمهاتٍ شتى ، وإذا كانوا لأمٍ واحدةٍ وآباء شتى فهم أخياف ، وإذا كانوا لأبٍ واحدٍ وأمٍ واحدةٍ فهم أعيان)). ((جامع الأصول)) : (٥٢٤/٨).

الفصل الثاني

المسائل المتعلقة بنبينا محمد ﷺ

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :
ما قبل البعثة

المبحث الثاني :
ما بعد البعثة

المبحث الثالث :
حماية جناب النبي ﷺ وشريعته

المبحث الأول

ما قبل البعثة

وفيه مطلب واحد :

كفر من قال إن النبي ﷺ كان نبياً قبل أن يوحى إليه

المبحث الأول : وفيه مطلب واحد

كفر من قال إن النبي ﷺ كان نبياً قبل أن يوحى إليه

لم يكن النبي ﷺ قبل نزول الوحي عليه نبياً.. وإنما نزل عليه الوحي على رأس الأربعين وقد بلغ أشده واستوى.. وقد بالغ ووقع في الغلو من قال إنه نبي قبل أن يوحى إليه بل قد كفر لأنه كذَّب كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ .

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((من قال إن النبي ﷺ كان نبياً قبل أن يوحى إليه فهو كافر باتفاق المسلمين))[١].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أونص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

لم أقف على من نقل الإجماع في هذه المسألة قبل شيخ الإسلام.. وسبب نقل شيخ الإسلام للإجماع في هذه المسألة المعلومة اضطراراً أن الإمام أحمد روى في مسنده أن ميسرة الفجر قال : قلت يا رسول الله ، متى كتبت نبياً ؟ قال : ((وآدم عليه السلام بين الروح والجسد))[٢] ، ففهم البعض من الحديث أن النبي ﷺ كان نبياً قبل أن يوحى إليه.. وهذا مخالفٌ لدلالة كتاب الله وواقع وهدي رسول الله ﷺ ، ولهذا نقل شيخ الإسلام اتفاق المسلمين على خلاف هذا بل كفر قائله ثم بين رحمه الله معنى الحديث فقال : ((وقوله ﷺ : ((كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد)) وفي لفظ ((كتبت نبياً)) : كقوله ﷺ : ((إني عند الله لمكتوبٌ خاتم النبيين وإن آدم لمنجدلٌ في طينته)) فإن الله بعد خلق جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه كتب وأظهر ما سيكون من ذريته، فكتب نبوة محمد وأظهرها، كما ثبت في الصحيحين عن النبي ﷺ قال : ((يجمع خلق

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٨/٢٨٣).

(٢) (٦/٥٠) ؛ وصححه الألباني -رحمه الله- كما في الصحيحة ح(١٨٥٦) (٤/٤٧١).

أحدكم في بطن أمه أربعين يوماً نطفة ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغةً مثل ذلك ، ثم يبعث إليه ملكاً فيؤمر بأربع كلمات ، فيقال : اكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح» فقد أخبر ﷺ أنه بعد أن يخلق بدن الجنين في بطن أمه وقبل نفخ الروح فيه يكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أم سعيد ؟ فهكذا كتب خبر سيد ولد آدم ، وآدم منجدل في طينته قبل أن يُنفخ الروح فيه. وأما قول بعضهم : «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين» فهذا نقلٌ باطلٌ نقلاً وعقلاً ، فإن آدم ليس بين الماء والطين ، بل الطين ماء وتراب ، ولكن كان بين الروح والجسد. فهذا ونحوه فيه علم الله بالأشياء قبل كونها، وكتابته إياها ، وإخباره بها ، وذلك غير وجود أعيانها ، لأنها لا توجد أعيانها حتى تخلق ، ومن لم يفرق بين ثبوت الشيء في العلم والكلام والكتاب وبين حقيقته في الخارج وكذلك بين الوجود العلمي والعيني ، عظم جهله وضلاله»[1].

ذكر مستند الإجماع على كفر من قال إن النبي ﷺ كان نبياً قبل أن يوحى إليه :

قال تعالى في نبيه ﴿**وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى**﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿**مَا كُنتَ تَدرِي مَا الكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ**﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿**نَحنُ نَقُصُّ عَلَيكَ أَحسَنَ القَصَصِ بِمَا أَوحَينَا إِلَيكَ هَـذَا القُرآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبلِهِ لَمِنَ الغَافِلِينَ**﴾[4] والآيات كثيرة وصريحة في ذلك ، وإنما بُعث وأُوحي إليه على رأس أربعين من عمره.. فمن زعم أن النبي ﷺ كان نبياً قبل أن يوحى إليه فقد كذب القرآن ، ومن كذب القرآن فقد كفر.

(١) «مجموع الفتاوى» : (٣٦٩/١٨).
(٢) سورة الضحى ، آية : (٧).
(٣) سورة الشورى ، آية : (٥٢).
(٤) سورة يوسف ، آية : (٣).

وقد جاء في الصحيح عن عائشة رضي الله عنها قالت : ((أول ما بدئ به رسول الله ﷺ من الوحي الرؤيا الصالحة في النوم... ثم حبب إليه الخلاء... حتى جاءه الحق وهو في غار حراء ، فجاءه الملك فقال : اقرأ ، قلت : ما أنا بقارئ...))[1] الحديث.

فهو حديثٌ صريحٌ في بدء الوحي.. وكان قبل ذلك لا ينزل عليه و لم يعرف الإيمان والدين فضلاً عن أن يكون نبياً.

(١) ((صحيح البخاري)) ، كتاب بدء الوحي ، باب (بدون ذكر اسم) : ح(٣) (١/١٤).

المبحث الثاني
ما بعد البعثة

وفيه أربعة مطالب :

المطلب الأول :
الإقرار بنبوة محمد ﷺ

المطلب الثاني :
مكانة الرسول ﷺ وفضله على سائر البشر

المطلب الثالث :
وجوب تحكيم الرسول ﷺ في كل ما شجر بين الناس

المطلب الرابع :
بعثة الرسول ﷺ إلى الثقلين

المطلب الأول

الإقرار بنبوة محمد ﷺ

لا يدخل المرء في الإسلام حتى يقر وينطق بالشهادتين.. فهي من أوليات هذا الدين..

يقول الإمام أبو محمد البربهاري : ((واعلم أن أول الإسلام : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً عبده ورسوله))(١).

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((.. سائر علماء الأمة.. متفقون على الإقرار بنبوة محمد ﷺ))(٢).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي -رحمه الله- : ((.. وأن محمداً عبده المصطفى ونبيه المجتبى ورسوله المرتضى))(٣).

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري(٤) -رحمه الله- : ((وجملة قولنا... أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهُدى ودين الحق))(٥).

---

(١) ((شرح السنة)) : ص (٩٦).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) : (١٨٠/٣٣).

(٣) ((الطحاوية)) : ص (٥).

(٤) أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري البصري ، يصل نسبه إلى الصحابي الجليل أبي موسى الأشعري ﷺ ، قال الذهبي : ((كان عجباً في الذكاء ، وقوة الفهم)) وتوفي سنة ثلاثين وثلاث مائة. ((السير)) : (٨٥/١٥).

(٥) ((الإبانة عن أصول الديانة)) : ص (١٨).

وقال الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني[١] -رحمه الله- : ((أصحاب الحديث.. يشهدون لله تعالى بالوحدانية وللرسول ﷺ بالرسالة والنبوة))[٢].

وقال الإمام ابن حزمٍ -رحمه الله- : ((وأن النبوة حق))[٣].

وانظر أيضاً شرح السنة للبربهاري[٤]؛ وشرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين[٥]؛ والقيروانية لابن أبي زيد القيرواني[٦] [٧] ؛ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي[٨] ؛ والاعتقاد والهداية للبيهقي[٩] [١٠].

ذكر مستند الإجماع على الإقرار بنبوة نبينا محمد ﷺ :

الإقرار بنبوة نبينا محمد ﷺ من أظهر الأمور وأجلاها ، وقد ذكر الله ﷻ في محكم كتابه في أكثر من آية أن محمداً رسول الله ، فقال تعالى : ﴿**مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ** ..﴾[١١] الآية.

وقال تعالى : ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ**..﴾[١٢] الآية.

---

(١) أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل النيسابوري الصابوني ، الإمام العلامة القدوة المفسِّر المذكِّر المحدِّث شيخ الإسلام ، قال الذهبي : ((لقد كان من أئمة الأثر ، له مصنف في السنة واعتقاد السلف ما رآه منصفٌ إلا واعترف له)). ولد سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة ، وتوفي سنة تسعٍ وأربعين وأربع مائة. ((السير)) : (١٨/٤٠).

(٢) ((عقيدة السلف وأصحاب الحديث)) : ص (١٦١).

(٣) ((المحلى)) : (١/٧).

(٤) ص (٩٦).

(٥) ص (٣١٨).

(٦) أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني المالكي ، مالك الصغير الإمام العلامة الفقيه ، عالم أهل المغرب. ((السير)) : (١٧/١٠).

(٧) ((شرح القيروانية)) : ص (٣٩).

(٨) (٤/٨٧٠).

(٩) أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي بن موسى البيهقي الخراساني ، الحافظ العلامة الثبت الفقيه ، شيخ الإسلام ، قال الذهبي : ((بُورِك له في علمه ، وصنَّف التصانيف النافعة.. وهي عظيمة القدر ، غزيرة الفوائد ، قلَّ من جوَّد تواليفه مثل الإمام أبي بكر))، ولد سنة أربع وثمانين وثلاث مائة ، وتوفي سنة ثمان وخمسين وأربع مائة. ((السير)) : (١٨/١٦٣).

(١٠) ص (١٦٨).

(١١) سورة الفتح ، آية : (٢٩).

(١٢) سورة آل عمران ، آية : (١٤٤).

وقال تعالى : ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُم وَلَكِن رَسُولَ ا للهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّين..﴾[1] الآية.

وأمره ا لله ﷻ أن يُخبر الناس برسالته فقال تعالى : ﴿قُل يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ا للهِ إِلَيكُم جَمِيعاً..﴾[2] الآية ، بل وجه ا لله ﷻ خطابه للناس مؤكداً رسالته والحق الذي فيها ، قال تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَد جَاءَكُمُ الرَّسُولُ بِالحَقِّ مِن رَبِّكُم..﴾[3] الآية ، قال تعالى : ﴿وَأَرسَلنَاكَ لِلنَّاسِ رَسُولاً وَكَفَى بِا للهِ شَهِيداً﴾[4]. وغير ذلك من الأدلة الكثيرة التي تنص على رسالته.

ومن رحمة ا لله ﷻ بعباده جعل هناك آياتٍ بينات ، ودلائل واضحات على صدق نبوته ورسالته ، قال تعالى : ﴿لَقَد أَرسَلنَا رُسُلَنَا بِالبَيِّنَاتِ﴾[5] ، ومن أظهر هذه الأدلة ، تلك البلاغة والفصاحة في الكتاب الذي نزل معه ، وكان الزمانُ زمانَ أناسٍ فصحاء بُلغاء ، فتحدَّاهم ا لله ﷻ أن يأتوا بمثله ، قال تعالى : ﴿قُل لَئِنِ اجتَمَعَتِ الإِنسُ وَالجِنُّ عَلَى أَن يَأتُوا بِمِثلِ هَذَا القُرآنِ لاَ يَأتُونَ بِمِثلِهِ وَلَو كَانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهِيراً﴾[6] ، ومن ذلك انشقاق القمر وحادثة الإسراء والمعراج ، وغير ذلك.

---

(١) سورة الأحزاب ، آية : (٤٠).

(٢) سورة الأعراف ، آية : (١٥٨).

(٣) سورة النساء ، آية : (١٧٠).

(٤) سورة النساء ، آية :(٧٩).

(٥) سورة الحديد ، آية : (٢٥).

(٦) سورة الإسراء ، آية : (٨٨).

المطلب الثاني

مكانة النبي ﷺ وفضله على سائر البشر

أعطى الله نبيه محمداً ﷺ من الفضائل العظيمة والخصائص العديدة في الدنيا والآخرة فكان بذلك أفضل البشر وسيد ولد آدم ، ومن هذه الفضائل والخصائص جوامع الكلم ، وأحلَّ له الغنائم ، وجعلت له الأرض مسجداً وطهوراً ، وغير ذلك مما هو في الدنيا.. وفي الآخرة المقام المحمود ، وأول من تفتح له أبواب الجنة.. فهو سيد ولد آدم.. وأفضل الأنبياء والرسل وخاتمهم.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((وقد اتفق المسلمون على أنه ﷺ أعظم الخلق جاهاً عند الله، لا جاه لمخلوقٍ عند الله أعظم من جاهه ، ولا شفاعة أعظم من شفاعته))[(١)].

وقال -رحمه الله- : ((سيد المسلمين وإمام المتقين وقائد الغرِّ المحجلين هو رسول الله ﷺ باتفاق المسلمين))[(٢)].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله- : ((ونحن الآن ذاكرون شرح السنة.. مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة [إلى أن قال عن نبينا محمد ﷺ] ..وهو أشرف الأنبياء ﷺ مقاماً، وأعلاهم مكاناً ، وأقربهم إلى الله ﷻ ، وأحبهم إليه))[(٣)].

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (١/١٤٥).

(٢) ((منهاج السنة)) : (٧/٣٨٧).

(٣) ((الشرح والإبانة)) : ص (٢٥٠).

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي -رحمه الله- : ((..وأنه خاتم الأنبياء ، وإمام الأتقياء ، وسيد المرسلين))[١].

وقال الإمام أبوبكر الآجري[٢] -رحمه الله- : ((اعلموا رحمنا الله وإياكم أن الله جل ذكره شرَّف نبيه محمداً ﷺ بأعلى الشرف... وأقامه على أعلى الرتب))[٣].

وانظر أيضاً ما قاله الخلال[٤] في السنة[٥] ؛ والآجري في الشريعة[٦] ؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة[٧].

ذكر مستند الإجماع على فضل نبينا محمد ﷺ على سائر البشر :

أرسل الله ﷻ رسله وقد فضَّل بعضهم على بعضٍ ، كما قال تعالى : ﴿**تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُم مَن كَلَّمَ اللهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ**﴾[٨] ، وقال تعالى : ﴿**وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ**﴾[٩] ، وأفضلهم على الإطلاق رسولنا محمد ﷺ ، ويدل على ذلك أمورٌ :

---

(١) ((العقيدة الطحاوية)) : ص (٥).

(٢) أبو بكر محمد بن الحسين بن عبدالله البغدادي الآجري ، صاحب التواليف منها : كتاب "الشريعة في السنة" كبير، وكتاب "الرؤية" وكتاب "الغرباء".. وغير ذلك ، كان صدوقاً خيراً عابداً ، صاحب سنة واتباع ، توفي سنة ستين وثلاث مائة. ((السير)) : (١٦/١٣٣).

(٣) ((الشريعة)) : (٣/١٣٨٦).

(٤) أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون بن يزيد البغدادي الخلال ، الإمام العلامة الحافظ الفقيه ، شيخ الحنابلة ، وعالمهم ، قال الذهبي : ((فأوعى ، ثم إنه صنف كتاب "الجامع في الفقه" من كلام الإمام أحمد بأخبرنا وحدثنا ، يكون في عشرين مجلداً.. وألف كتاب "السنة وألفاظ أحمد والدليل على ذلك من الأحاديث" في ثلاث مجلدات ، تدل على إمامته وسعة علمه ، و لم يكن قبله للإمام مذهب مستقل ، حتى تتبع هو نصوص أحمد ، ودوَّنها ، وبرهنها بعد الثلاث مائة ، ولد سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وتوفي سنة إحدى عشرة وثلاث مائة. ((السير)) : (١٤/٢٩٧).

(٥) (١/١٨٧).

(٦) (٣/١٥٥٢) (٤/١٥٩١).

(٧) (٤/٨٢٨ ، ٨٦٢).

(٨) سورة البقرة ، آية : (٢٥٣).

(٩) سورة الإسراء ، آية : (٥٥).

منها أنه أول من تفتح له أبواب الجنة كما جاء في الصحيح من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن : من أنت ؟ فأقول : محمد ، فيقول : بك أُمِرتُ لا أفتحُ لأحدٍ قبلَك))[١].

ومنها قوله عليه الصلاة والسلام : ((فُضِّلتُ على الأنبياءِ بستٍ : أُعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجُعِلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأُرسلت إلى الخلق كافةً ، وخُتِم بي النبيون))[٢].

ومنها وهي من أصرح العبارات في فضله على سائر الأنبياء قوله عليه الصلاة والسلام في حديث الشفاعة العظمى في الصحيحين : ((أنا سيد الناس يوم القيامة))[٣] ثم ذكر حال الناس مع الأنبياء وكيف أن الأنبياء يعتذرون عن الشفاعة حتى يأتي الناس إليه عليه الصلاة والسلام فيشفع لهم.

---

(١) ((صحيح مسلم)) : كتاب الإيمان ، باب في قول النبي ﷺ : ((أنا أول الناس يشفع في الجنة)) ، ح(١٩٧) (١/١٨٨).

(٢) ((صحيح مسلم)) : كتاب المساجد ، في بداية الكتاب ، ح(٥٢٣) (١/٣٧١).

(٣) ((صحيح البخاري)) : كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﷻ : ﴿وَلَقَد أَرسَلنَا نُوحَاً إِلَى قَومِهِ﴾ ح(٣٣٤٠) (٢/٤٥٣) ؛ ((صحيح مسلم)) : كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الأرض منزلةً فيها ح(١٩٤) (١/١٨٤).

المطلب الثالث

وجوب تحكيم الرسول ﷺ في كل ما شجر بين الناس

بعث الله ﷻ نبيه بالحق المبين وأمر العباد بطاعته وامتثال أمره وجعل طاعته طاعة له.. ولهذا ما يحكم به هو الحق ، وما ينطق به هو الصدق ، فوجب تحكيمه والرضا به والتسليم المطلق لكل ذلك.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال –رحمه الله– : ((ومعلومٌ باتفاق المسلمين أنه يجب تحكيم الرسول ﷺ في كل ما شجر بين الناس في أمر دينهم ودنياهم ، في أصول الدين وفروعه))[١].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

لما كان وجوب تحكيم الرسول ﷺ بنص القرآن وعلم ذلك ضرورة.. حكى شيخ الإسلام فيها الإجماع.. ولم أقف على من سبقه بذلك.

ذكر مستند الإجماع على وجوب تحكيم الرسول ﷺ في كل ما شجر بين الناس :

قال تعالى ﴿**فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَينَهُم ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيتَ وَيُسَلِّمُوا تَسلِيماً**﴾[٢].

فنفى الله الإيمان عمن لم يحكم النبي ﷺ فيما شجر بينه وبين الناس ، قال ابن كثير –رحمه الله– : ((يقسم تعالى بنفسه الكريمة المقدسة أنه لا يؤمن أحدٌ حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور ، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطناً وظاهراً ، ولهذا قال : ﴿**ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِم حَرَجاً مِمَّا قَضَيتَ وَيُسَلِّمُوا**

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٣٧/٧).

(٢) سورة النساء ، آية : (٦٥).

تَسلِيمًا﴾ أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم فلا يجدون في أنفسهم حرجاً مما حكمت به ، وينقادون له في الظاهر والباطن ، فيُسلمون لذلك تسليماً كُلياً من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة))[١].

وقال تعالى في وصف المنافقين : ﴿وَيَقُولُونَ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعنَا ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِنهُم مِّن بَعدِ ذَلِكَ وَمَا أُولَئِكَ بِالمُؤمِنِينَ ۞ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم إِذَا فَرِيقٌ مِنهُم مُّعرِضُونَ ۞ وَإِن يَكُن لَهُمُ الحَقُّ يَأتُوا إِلَيهِ مُذعِنِينَ﴾[٢] فهؤلاء المنافقون نفى الله عنهم الإيمان لإعراضهم عن حكم الله ورسوله.. ثم وصف المؤمنين بقوله ﴿إِنَّمَا كَانَ قَولَ المُؤمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ لِيَحكُمَ بَينَهُم أَن يَقُولُوا سَمِعنَا وَأَطَعنَا وَأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ﴾[٣].

(١) ((تفسير القرآن العظيم)) لابن كثير : (٣٤٩/٢).
(٢) سورة النور ، الآيات : (٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩).
(٣) سورة النور ، آية : (٥١).

المطلب الرابع

بعثة الرسول ﷺ إلى الثقلين

بعث الله ﷻ رسوله محمداً ﷺ لأمتين وطائفتين من خلقه وهم الجن والإنس.. ولم يخلقهم إلا لعبادته ، فهم مأمورون بالإيمان برسول الله واتباعه.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((.. ومحمد ﷺ مبعوثٌ إلى الثقلين باتفاق المسلمين))[١].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام ابن حزم الظاهري -رحمه الله- : ((اتفقوا.. أن محمد بن عبدالله.. رسول الله ﷺ إلى جميع الجن والإنس إلى يوم القيامة))[٢].

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي -رحمه الله- : ((وهو المبعوث إلى عامة الجن وكافة الورى بالحق والهُدى ، وبالنور والضياء))[٣].

وانظر أيضاً ما قاله ابن حزم في المحلى[٤].

ذكر مستند الإجماع على بعثة الرسول ﷺ إلى الثقلين :

خلق الله ﷻ الجن والإنس لعبادته كما قال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٥] ولكي يعبدوا الله لابد من بعثة الرسل إليهم ، ولقد بُعِثَ الرسول محمد بن عبدالله ﷺ لجميع الثقلين من الجن والإنس ، قال تعالى : ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٣٠٣/١١).

(٢) ((مراتب الإجماع)) : ص (٢٦٧).

(٣) ((الطحاوية)) : ص (١٢) فقرة (٣٢).

(٤) (٨/١)

(٥) سورة الذاريات ، آية : (٥٦).

إنِّي رَسُولُ اللهِ إلَيكُم جَمِيعاً﴾[١] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرسَلنَاكَ إلاَّ كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً﴾[٢] ، وقال تعالى : ﴿وَمَا أَرسَلنَاكَ إلاَّ رَحمَةً لِلعَالَمِينَ﴾[٣] ، وقال تعالى : ﴿وَأُوحِيَ إلَيَّ هَذَا القُرآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغ﴾[٤].

وأما الجن فقال تعالى : ﴿وَإذ صَرَفنَا إلَيكَ نَفَراً مِن الجِنِّ يَستَمِعُونَ القُرآنَ..﴾ إلى أن قال الله ﷻ حكايةً عنهم : ﴿يَا قَومَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللهِ وَآمِنُوا بِهِ يغفِر لَكُم مِن ذُنُوبِكُم وَيُجِركُم مِن عَذَابٍ أَلِيم﴾[٥] ، وقال تعالى : ﴿قُل أُوحِيَ إلَيَّ أَنَّهُ استَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الجِنِّ فَقَالُوا إنَّا سَمِعنَا قُرآنَاً عَجَباً..﴾ إلى قولهم : ﴿وَأَنَّا لَمَّا سَمِعنَا الهُدَى آمَنَّا بِهِ فَمَن يُؤمِن بِرَبِّهِ فَلاَ يَخَافُ بَخساً وَلاَ رَهَقاً﴾[٦].

---

(١) سورة الأعراف ، آية : (١٥٨).

(٢) سورة سبأ ، آية : (٢٨).

(٣) سورة الأنبياء ، آية : (١٠٧).

(٤) سورة الأنعام ، آية : (١٩).

(٥) سورة الأحقاف ، الآيات : (٢٩-٣١).

(٦) سورة الجن ، الآيات : (١-١٣).

المبحث الثالث

حماية جناب النبي ﷺ وشريعته

وفيه ثلاثة مطالب :

المطلب الأول :

كفر وقتل من سب النبي ﷺ من المسلمين

المطلب الثاني :

كفر من بلغته رسالة النبي ﷺ ولم يؤمن به

المطلب الثالث :

كفر من سوَّغ اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ

المطلب الأول

كفر وقتل من سب النبي ﷺ من المسلمين

من خصائص النبي ﷺ كفر وقتل من سبه.. ولهذا عندما أغلظ رجلٌ على أبي بكرٍ الصديق ، فقال أبو برزة الأسلمي : ألا أضرب عنقه ؟ فانتهره أبو بكر ، وقال : ما هي لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ [١].

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال شيخ الإسلام –رحمه الله– : ((إنَّ الساب إن كان مسلماً فإنه يكفر ويُقتل بغير خلاف))[٢] [٣].

---

(١) أخرجه النسائي في سننه ، كتاب تحريم الدم ، باب الحكم فيمن سب النبي ﷺ (١٠٩/٧) ، وصحح إسناده الألباني في (صحيح سنن النسائي) ح (٣٧٩٥) (٨٥٤/٣) وأخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في مسائله لأبيه : ص (٤٣١).

(٢) ((الصارم المسلول)) : (١٦/٢).

(٣) هذا مذهب أهل السنة والجماعة وخالفهم في ذلك أهل الإرجاء فقالوا من سب الرسول ﷺ كفر وذلك لاستحلاله السب.. فجعلوا مناط التكفير الاستحلال دون السب.. وهذا مخالفٌ لما عليه أئمة الدين وإجماع سلف الأمة بل يقول شيخ الإسلام ((القول بأن كفر الساب في نفس الأمر إنما هو لاستحلاله السب زلة منكرة وهفوة عظيمة)) ((الصارم المسلول)) : (٩٦٠/٣).
ويقول –رحمه الله– : ((مذهب سلف الأمة ومن اتبعهم من الخلف أن هذه المقالة [أي سب الرسول ﷺ] في نفسها كفر استحلها أو لم يستحلها)) ((الصارم المسلول)) : (٩٦٤/٣).
والرد على من جعل علة الكفر الاستحلال دون السب من وجوه :
الوجه الأول : أن من استحل سب المسلمين فقد كفر ، ولا يكفر من فعل ذلك من غير استحلال.. فيكون لا فرق بين من سب الرسول أو سب سائر المسلمين ، فالكفر في الأمرين متعلق بالاستحلال.. و لم يقل أحدٌ من الأئمة أن من سب مسلماً فقد كفر بينما أجمعوا بأن من سب الرسول فقد كفر ، فعُلم من ذلك أن مجرد السب للنبي يكون كفراً ولو لم يستحل ذلك.
الوجه الثاني : أن اعتقاد حل السب كفر ولو لم يقترن بالسب ، فمن جعل علة كفر ساب الرسول الاستحلال فقد جعل التكفير متعلقاً بالاستحلال ولا أثر للسب فيه ، وهذا خلاف ما أجمع عليه سلف هذه الأمة من أن ساب الرسول ﷺ كافر.
الوجه الثالث : إذا كان الكفر في الاستحلال دون السب.. فقد يقول الساب أنا لا أعتقد حل ذلك ، وإنما قلته عبثاً وغيظاً.. فلا يكون كافراً.. والقول بأنه لا يصدَّق في ذلك يقول شيخ الإسلام فيه ((إنه لا يستقيم فإن التكفير لا يكون بأمرٍ محتمل فإذا كان قد قال : أنا أعتقد أن ذلك ذنب ومعصية وأنا أفعله ، فكيف يكفر إن لم يكن ذلك كفراً؟ ولهذا قال سبحانه ﴿لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ﴾ و لم يقل قد كذبتم في قولكم إنما كنا نخوض ونلعب ، فلم يكذبهم في هذا العذر كما كذبهم =

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام إسحاق بن راهويه[١] -رحمه الله- : ((أجمع المسلمون على أن من سبَّ الله أو سبَّ رسوله ﷺ ... أنه كافرٌ بذلك وإن كان مقراً بكل ما أنزل الله))[٢].

وقال الإمام محمد بن سحنون[٣] -رحمه الله- : ((أجمع العلماء على أن شاتم النبي ﷺ المتنقص له كافر ، والوعيد جارٍ عليه بعذاب الله له ، وحكمه عند الأمة القتل ومن شك في كفره وعذابه كفر))[٤].

= في سائر ما أظهروه من العذر الذي يوجب براءتهم من الكفر كما لو كانوا صادقين ، بل بين أنهم كفروا بعد إيمانهم بهذا الخوض واللعب)). ((الصارم المسلول)) : (٣/٩٦٣).

الوجه الرابع : وهو أهمها -ومن تأمله زالت عنه كثير من الشبه في هذا الباب- أن الكفر كما أنه يكون بالقلب جحوداً وتكذيباً ، يكون أيضاً بالعمل استكباراً وامتناعاً ، وإن لم يقترن به تكذيب. وقد نقل الإجماع على ذلك إمامٌ من أئمة السنة الإمام إسحاق بن راهويه كما هو مذكور في أصل المسألة.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- : ((من ترك الانقياد كان مستكبراً فصار من الكافرين وإن كان مصدقاً ، فالكفر أعم من التكذيب ، يكون تكذيباً وجهلاً ، ويكون استكباراً وظلماً ، ولهذا لم يوصف إبليس إلا بالكفر والاستكبار دون التكذيب)) ((الصارم المسلول)) : (٣/٩٦٨).

وقال -رحمه الله- : ((إن العبد إذا فعل الذنب مع اعتقاد أن الله حرَّمه عليه ، واعتقاد انقياده لله فيما حرمه وأوجبه فهذا ليس بكافر ، فأما إن اعتقد أن الله لم يحرمه ، أو أنه حرمه لكن امتنع من قبول هذا التحريم وأبى أن يذعن لله وينقاد ؛ فهو إما جاحد أو معاند ، ولهذا قالوا : من عصى مستكبراً كإبليس كفر بالاتفاق ، ومن عصى مشتهياً لم يكفر عند أهل السنة والجماعة، وإنما يكفره الخوارج ، فإن العاصي المستكبر وإن كان مصدقاً بأن الله ربه فإن معاندته له ومحادته تنافي هذا التصديق)) ((الصارم المسلول)) : (٣/٩٧٠).

ومنشأ هذه الشبهة أنهم فسروا الإيمان بالتصديق القلبي.. فيكون ضده وهو الكفر بالجحود القلبي والاقتصار على هذا في معنى الإيمان والكفر خطأ وضلال.. فالإيمان يكون في القلب ويكون في اللسان ويكون في الجوارح فهو قول وعمل - قول القلب واللسان وعمل القلب والجوارح ، وقد نقل الإجماع على هذا كثيرٌ من أهل العلم. والكفر أيضاً يكون في القلب إنكاراً وجحوداً وتكذيباً ويكون بالعمل استكباراً وامتناعاً واعتراضاً.. وعليه تفهم كلام أهل السنة بأن الكفر لا ينحصر في جحود الإقرار القلبي بل يكون أيضاً في جحود الانقياد والالتزام العملي ﴿فَإِنَّهُم لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللهِ يَجحَدُونَ﴾ فهو جحود غير التكذيب بنص الآية ، فيكون جحود امتناع واعتراض عن الالتزام والانقياد وقد يكون هذا الجحود بالقول أو بالفعل ، فالكفر يقع اعتقاداً وقولاً وفعلاً.

(١) أبو يعقوب إسحاق بن إبراهيم بن مخلد بن إبراهيم التميمي المروزي الإمام شيخ المشرق سيِّد الحفاظ ، ولد سنة إحدى وستين ومائة وتوفي ليلة النصف من شعبان سنة ثمان وثلاثين ومائتين. ((السير)) : (١١/٣٥٨).

(٢) نقلاً عن كتاب ((الصارم المسلول)) : (٢/١٥).

(٣) أبو عبدالله محمد بن عبدالسلام سحنون بن سعيد التنوخي القيرواني ، فقيه المغرب وشيخ المالكية ، توفي سنة خمس وستين ومائتين. ((السير)) : (١٣/٦٠).

(٤) نقلاً من كتاب ((الصارم المسلول)) : (٢/١٥).

وقال ابن المنذر[١]-رحمه الله-:((وأجمعوا على أن من سبَّ النبي ﷺ أن له القتل))[٢].

وقال ابن حزمٍ -رحمه الله- : ((كل من آذى رسول الله ﷺ فهو كافر مرتد يقتل ولابد))[٣].

وقد نقل شيخ الإسلام في الصارم المسلول عن غير هؤلاء حكايتهم للإجماع على قتل وتكفير شاتم الرسول ﷺ [٤].

ذكر مستند الإجماع على أن من سبَّ النبي ﷺ من المسلمين فإنه يكفر ويُقتل :

قال تعالى : ﴿**وَمِنهُمُ الَّذِينَ يُؤذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُن قُل أُذُنُ خَيرٍ لَّكُم يُؤمِنُ بِاللهِ وَيُؤمِنُ لِلمُؤمِنِينَ وَرَحمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُم وَالَّذِينَ يُؤذُونَ رَسُولَ اللهِ لَهُم عَذَابٌ أَلِيم**﴾[٥] إلى قوله تعالى : ﴿**أَلَم يَعلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِداً فِيهَا ذَلِكَ الخِزيُ العَظِيم**﴾[٦]. فإيذاء رسول الله بسبه وتنقصه محادةٌ لله ورسوله ، وحكم الله ﷻ لمن يُحادِدِ الله ورسوله بأن له نار جهنم خالداً فيها ، والخلود للكافرين ، قال ابن جرير الطبري في تأويل هذه الآية : ((إنه من يحارب الله ورسوله ، ويخالفهما فيناوئهما بالخلاف عليهما ﴿**فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ**﴾ في الآخرة ﴿**خَالِداً فِيهَا**﴾.. لابثاً فيها مقيماً إلى غير نهاية))[٧] ، وهذا الوصف الذي ذكره الإمام الطبري لا يتحقق إلا في الكافرين فهم الذين يقيمون في النار إلى غير نهاية.

---

(١) أبو القاسم الحسن بن الحسن بن علي بن المنذر البغدادي ، الشيخ الإمام القاضي العلامة ، توفي سنة إحدى عشرة وأربعمائة وله من العمر ثمانون سنة. ((السير)) : (٣٣٨/١٧).

(٢) ((الإجماع)) لابن المنذر : ص (٧٦) كتاب المرتد ، رقم : (٧٢٠).

(٣) ((المحلى)) : (٤١٤/١١).

(٤) ((الصارم المسلول)) : (١٣/٢-١٩).

(٥) سورة التوبة ، آية : (٦١).

(٦) سورة التوبة ، آية : (٦٣).

(٧) ((تفسير الطبري)) : (٤٠٧/٦).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية بعد ذكره للآيات السابقة : ((.. دل ذلك على أن الإيذاء والمحادة كفر ، لأنه أخبر أن له نار جهنم خالداً فيها و لم يقل : وهي جزاؤه، وبين الكلامين فرق))[١].

وقال تعالى : ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَب قُل أَبِا للهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُم تَستَهزِءُونَ ۞ لاَ تَعتَذِرُوا قَد كَفَرتُم بَعدَ إِيمَانِكُم..﴾[٢] الآية ، فالاستهزاء برسول الله كفر وردةٌ بنص القرآن ، فسب رسول الله أعظم من الاستهزاء لما فيه من التنقص والإيذاء العظيم له عليه الصلاة والسلام ، فهو كفرٌ من باب أولى.

وقد ذكر ابن حزم في كتابه المحلى وبإسناده فقال : حدثنا صمام نا عباس ... عن عروة بن محمد عن رجلٍ بن بلقين قال : ((كان رجل يشتم النبي ﷺ فقال النبي ﷺ : من يكفيني عدواً لي ؟ فقال خالد بن الوليد : أنا. فبعثه النبي ﷺ فقتله)).

ثم قال -رحمه الله- : هذا حديث سنده صحيح[٣].

---

(١) ((الصارم المسلول)) : (٥٨/٢).

(٢) سورة التوبة ، آية : (٦٥ ، ٦٦).

(٣) (٤١٣/١١).

المطلب الثاني

كفر من بلغته رسالة النبي ﷺ ولم يؤمن به

بعث النبي ﷺ للناس كافة بل وللجن أيضاً(١).. فكل من بلغه هذا الدين من العرب والعجم أو من اليهود والنصارى وسائر الملل.. ولم يؤمن به فهو كافر خالد مخلد في نار جهنم.. قال تعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللهِ الإِسلامَ﴾(٢) ﴿وَمَن يَبتَغِ غَيرَ الإِسلامِ دِيناً فَلَن يُقبَلَ مِنهُ﴾(٣) وببعثة النبي ﷺ نسخت جميع الأديان السابقة والمحرَّفة.. فلا إسلام حقاً ، ولا دين مقبولاً غير دين محمد ﷺ (٤).

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((وقد ثبت بالكتاب والسنة والإجماع أن من بلغته رسالة النبي ﷺ فلم يؤمن به فهو كافرٌ لا يُقبل منه الاعتذار بالاجتهاد لظهور أدلة الرسالة وأعلام النبوة))(٥).

---

(١) تقدَّم نقل الإجماع على ذلك ص (١٢٦).

(٢) سورة آل عمران ، آية : (١٩).

(٣) سورة آل عمران ، آية : (٨٥).

(٤) وبهذا نعرف ضلال أولئك الذين يدعون إلى ما يسمى (وحدة الأديان) وأن هناك ديناً مقبولاً غير الإسلام مثل دين النصارى أو اليهود ، ويشبهون على العامة بأنَّ هذه الأديان يطلق عليها أيضاً إسلام.. وهذا يقوله من كان في قلبه زيغ ، وذلك أن دين اليهود والنصارى هو دين إسلام حقاً في وقته وزمنه.. ولكن ببعثة الرسول ﷺ نسخت جميع الأديان والشرائع السابقة ؛ ولهذا جاهد النبي ﷺ اليهود والنصارى.. وقال عليه الصلاة والسلام : ((والذي نفس محمدٍ بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار)) ((صحيح مسلم)) : كتاب الإيمان ، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس : ح(٢٤٠) (١٣٤/١). وهذا من أشد الجهل في بدهيات ومسلمات الدين.. ولكننا في وقتٍ حتى البدهيات والمسلمات تحتاج إلى عرض واستدلال ومناقشة..!! انظر كتاب : ((الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان)) لبكر بن عبدالله أبوزيد.

(٥) ((مجموع الفتاوى)) : (٤٩٦/١٢).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام ابن حزمٍ –رحمه الله– : ((اتفقوا.. أن من خالف دين الإسلام ممن بلغه ، كافرٌ مخلَّدٌ في النار أبداً))[١].

وقال أيضاً –رحمه الله– : ((كل من كفر بما بلغه وصح عنده عن النبي ﷺ أو أجمع عليه المؤمنون مما جاء به النبي عليه السلام فهو كافر))[٢].

وانظر أيضاً الإيمان لابن مندة[٣] [٤] ؛ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي[٥].

ذكر مستند الإجماع على كفر من بلغته رسالة النبي ﷺ ولم يؤمن به :

بُعث النبي ﷺ إلى الناس جميعاً كما قال تعالى : ﴿قُل يا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَيكُم جَمِيعاً﴾[٦] ، وقال تعالى : ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا القُرآنُ لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغ﴾[٧] ، قال أبو جعفر الطبري : ((فمعنى هذا الكلام : لأنذركم بالقرآن أيها المشركون ، وأنذر من بلغه القرآن من الناس كلهم))[٨].

فكل من بلغه هذا الدين وسمع بالنبي ﷺ و لم يؤمن به فهو كافرٌ من أهل النار ؛ سواءٌ كان يهودياً أو نصرانياً أو كائناً من كان ، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ [٩]، بل لا يكفي الإيمان بالنبي ﷺ فحسب؛ بل الكفر بكل من خالفه ودان بدينٍ

---

(١) ((مراتب الإجماع)) : ص (٢٦٧).

(٢) ((المحلى)) : (١٢/١).

(٣) أبو عبدالله محمد بن أبي يعقوب إسحاق بن أبي عبدالله محمد بن يحيى بن مندة العبدي الأصبهاني ، قال الذهبي : ((صاحب التصانيف.. لم أعلم أحداً كان أوسع رحلةً منه ، ولا أكثر حديثاً منه مع الحفظ والثقة فبلغنا أن عدة شيوخه ألف وسبع مائة شيخ)) ولد سنة عشر وثلاث مائة ، وتوفي سنة خمس وتسعين وثلاث مائة. ((السير)) : (٢٨/١٧).

(٤) (٥٠٨/١).

(٥) (١٢٤١/٥).

(٦) سورة الأعراف ، آية : (١٥٨).

(٧) سورة الأنعام ، آية : (١٩).

(٨) ((تفسير الطبري)) : (١٦٢/٥).

(٩) سبق تخريجه ص : (١٣٤).

غير دينه ، كما قال النبي ﷺ : ((من قال : لا إله إلا الله ، وكفر بما يُعبد من دون الله، حرم ماله ودمه وحسابه على الله))(١). قال الإمام محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- : ((وهذا من أعظم ما يبين معنى [لا إله إلا الله] فإنه لم يجعل التلفظ بها عاصماً للدم والمال ، بل ولا معرفةً معناها مع لفظها ، بل ولا الإقرار بذلك ، بل ولا كونه لا يدعو إلا الله وحده لا شريك له ، بل لا يحرم ماله ودمه حتى يضيف إلى ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله ، فإن شك أو توقف لم يُحرم ماله ودمه))(٢).

---

(١) ((صحيح مسلم)) : كتاب الإيمان ، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ح(٣٧) (٥٢/١).

(٢) ((كتاب التوحيد)) : باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله ، ص (٣٥).

المطلب الثالث

كفر من سوَّغ اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ

نسخت شريعة محمد ﷺ جميع الشرائع السابقة عليها.. فيحرم بل يكفر كل من سوَّغ اتباع شريعةٍ سابقةٍ منسوخةٍ فضلاً عن أن يسوغ اتباع شريعة قانونية أرضية من شرائع الناس فهذا أشد كفراً وردةً عن الإسلام.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((ومعلوم بالاضطرار من دين المسلمين وباتفاق جميع المسلمين أن من سوَّغ اتباع شريعةٍ غير شريعة محمد ﷺ فهو كافر))[1].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام ابن حزمٍ -رحمه الله- : ((نسخ ﷺ بملته كل ملةٍ وألزم أهل الأرض جنهم وإنسهم اتباع شريعته التي بعثه بها ولا يقبل من أحدٍ سواها))[2].

وهذا أمرٌ مقرر ومعروف عند أهل الإسلام.. والجهل به جهلٌ بالدين كله ، ومن سوغ اتباع شريعةٍ غير شريعة الإسلام سواءً كانت من الشرائع السابقة المحرفة والمنسوخة ، أو كانت من الشرائع الحادثة الأرضية ، فهو كافر لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً. والعلم بذلك ضرورة من ضروريات هذا الدين.. ولهذا قدَّم شيخ الإسلام نقله للإجماع عليها بقوله : ((ومعلومٌ بالاضطرار من دين المسلمين)).

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٢٨/٥٢٤).

(٢) ((المحلى)) : (١/٨).

ذكر مستند الإجماع على كفر من سوَّغ اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ :

حق التشريع لله وحده.. وقد بعث رسوله بشرعه وأمر الناس باتباعه.. وجعل الاتباع في طريقه ونهجه ، فكل ما يخالف شرعه فهو ضلال وتيه ، والإيمان بذلك أصل من أصول الدين -أن تعرف دينك- وهو ما شرعه لك ربك في محكم كتابه أو على لسان نبيك.. فمن أنكر هذا أو شك فيه أو رضي غيره أو سوَّغ اتباع غير الشريعة فهو كافر ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللهِ حُكْماً لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾[١] ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الْكَافِرِينَ﴾[٢] وكل من سوَّغ اتباع شريعة غير شريعة محمد ﷺ فقد تولى عن طاعة الله ورسوله.. ومن تولى عن طاعة الله ورسوله فهو من الكافرين ، بل يقسم الله ﷻ على عدم إيمان من لم يحكِّم النبي ﷺ فيما شجر بينه وبين الناس فيقول ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾[٣] فكيف من يسوغ اتباع شريعةٍ أخرى غير شريعة محمد ﷺ !!.

(١) سورة المائدة ، آية : (٥٠).

(٢) سورة آل عمران ، آية : (٣٢).

(٣) سورة النساء ، آية : (٦٥).

الفصل الثالث

ما يتعلق بعيسى عليه السلام

وفيه مبحث واحد :

رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

رفع عيسى عليه السلام إلى السماء

من عقيدة أهل السنة والجماعة التي دلَّ عليها كتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺ إجماع الأمة أن عيسى بن مريم عليه السلام لم يُقتل ؛ بل رفعه الله إليه.. وسوف ينزل في آخر الزمان وهو علم للساعة ومن أشراطها.. فيقتل الدجال ويكسر الصليب ويذبح الخنزير ويحكم الناس بشريعة الإسلام شريعة محمد ﷺ.. ويمكث في الأرض أربعين سنة ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون ويدفنونه.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((وأجمعت الأمة على أن الله ﷻ رفع عيسى إليه إلى السماء))[١].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام أحمد -رحمه الله- : ((والدجال خارجٌ في هذه الأمة لا محالة وينزل عيسى بن مريم عليه السلام ويقتله بباب لد))[٢].

وقال الإمام البربهاري -رحمه الله- : ((والإيمان بنزول عيسى بن مريم عليه السلام ينزل فيقتل الدجال))[٣].

وقال الإمام ابن حزم -رحمه الله- : ((وأن عيسى عليه السلام لم يقتل و لم يصلب ولكن توفاه الله ﷻ ثم رفعه إليه))[٤].

---

(١) ((بيان تلبيس الجهمية)) : (٤١٩/٢).

(٢) ((طبقات الحنابلة)) : (٣٤٤/١).

(٣) ((شرح السنة)) : ص (٧٥).

(٤) ((المحلى)) : (٢٣/١).

وقال الإمام أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني -رحمه الله- : ((وأهل السنة يؤمنون بنزول عيسى عليه السلام))(١).

وانظر أيضاً الشريعة للآجري(٢) ؛ والشرح والإبانة للعكبري(٣) ؛ والإيمان لابن مندة(٤) ؛ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي(٥) ؛ والحجة في بيان المحجة(٦) ؛ وغيرهم كثيرٌ ينص على نزول عيسى ﷺ في آخر الزمان ، وكونه ينزل دليلٌ على رفعه إلى السماء لأنه كان في الأرض قبل ذلك.

ذكر مستند الإجماع على أن الله رفع عيسى ﷺ إليه إلى السماء :

قال تعالى : ﴿إِذ قَالَ اللهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ..﴾(٧) الآية ، وقال تعالى : ﴿وَقَولِهِم إِنَّا قَتَلنَا المَسِيحَ عِيسَى ابنَ مَريَمَ رَسُولَ اللهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم..﴾ إلى قوله : ﴿.. بَل رَفَعَهُ اللهُ إِلَيهِ وَكَانَ اللهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾(٨).

فهتان الآيتان فيهما التصريح برفع الله لعيسى ﷺ إلى السماء ، قال ابن جرير الطبري : ((معنى ذلك ، أني قابضك من الأرض ورافعك إليَّ))(٩).

(١) ((الحجة في بيان المحجة)) : (٢/٤٦٣).
(٢) (٣/١٣٢٠).
(٣) ص (٢١٨).
(٤) (١/٥١٢) ، (٢/٩٥٨).
(٥) (١/١٧٩).
(٦) (٢/٢٨٢).
(٧) سورة آل عمران ، آية : (٥٥).
(٨) سورة النساء ، آية : (٥٧ ، ٥٨).
(٩) ((تفسير الطبري)) : (٣/٢٨٩).

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((والذي نفسي بيده ، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عدلاً ، فيكسر الصليب ، ويقتل الخنزير...))(١) الحديث.

---

(١) ((صحيح البخاري)) ، كتاب أحاديث الأنبياء ، باب نزول عيسى بن مريم عليهما السلام ، ح(٣٤٤٨) (٢/٤٩٠).

الباب الثاني

القــــدر

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول :
الإيمان بالقدر

الفصل الثاني :
مراتب الإيمان بالقدر

الفصل الثالث :
مسائل متنوعة متعلقة بالقدر

تمهيد :

الإيمان بالقدر ركنٌ من أركان الإيمان الستة ، ولا يستقيم إيمانُ العبد ولن يُقبل منه حتى يؤمن بالقدر.. وأهل السنة والجماعة مجمعون على أن كل شيءٍ بقدر كما قال تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١].

وفي الصحيح من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((كل شيءٍ بقدر حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز))[٢] ، والنصوص من القرآن والسنة كثيرة في بيان هذا الركن العظيم.

قال الإمام طاووس[٣] -رحمه الله- : ((أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيءٍ بقدر))[٤].

وقال الإمام اللالكائي -رحمه الله- : ((وهو مذهب أهل السنة والجماعة يتوارثونه خلفاً عن سلف من لدن رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب))[٥].

وتفصيل هذا المذهب أن الله ﷻ علم بعلمه القديم الموصوف به أزلاً ؛ علم ما الخلق عاملون ، ثم كتب في اللوح المحفوظ ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ، ولا يكون في ملكه إلا ما يريد ، فما شاء كان ، وما لم يشأ لم يكن ، وخلق كل شيءٍ فلا ثَمَّ إلا خالق ومخلوق وما سواه فمخلوق ، لا خالق غيره ولا رب سواه.

وهذه الأمور الأربعة -العلم والكتابة والمشيئة والخلق- هي التي أُطلِق عليها مراتب الإيمان بالقدر.

---

(١) سورة القمر ، آية : (٤٩).

(٢) ((صحيح مسلم)) ، كتاب القدر ، باب كل شيءٍ بقدر : ح(٢٦٥٥) (٤/٢٠٤٥). الكيس : النشاط والحذق بالأمور ، والعجز ضده.

(٣) أبو عبدالرحمن طاووس بن كيسان الفارسي ثم اليمني ، الفقيه القدوة ، عالم اليمن ، الحافظ ، قال ابن حبان : ((كان من عبّاد أهل اليمن ، ومن سادات التابعين ، مستجاب الدعوة ، حج أربعين سنة)) وتوفي سنة ست ومائة. ((السير)) : (٥/٣٨).

(٤) ((صحيح مسلم)) ، كتاب القدر ، باب كل شيء بقدر : ح(٢٦٥٥) (٤/٢٠٤٥).

(٥) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي : (٣/٥٣٨).

الفرق بين القضاء والقدر :

جاء في ((مفردات ألفاظ القرآن)) : ((القضاء من الله تعالى أخص من القدر ؛ فالقدر هو التقدير والقضاء هو الفصل والقطع))(١). وفي لسان العرب : ((المراد بالقدر: التقدير ، وبالقضاء : الخلق))(٢). فكثيرٌ من كتب اللغة تجعل القدر سابقاً على القضاء ، ومن أهل العلم كابن حزمٍ وغيره من يجعل القضاء سابقاً على القدر ، قال ابن حزمٍ – رحمه الله– : ((معنى القضاء في لغة العرب التي بها خاطبنا الله تعالى ورسوله ﷺ وبها نتخاطب ونتفاهم مرادنا أنه : الحكم فقط ، ولذلك يقولون القاضي بمعنى الحاكم ، وقضى الله ﷻ بكذا أي حكم به.. ومعنى القدر في اللغة العربية : الترتيب والحد الذي ينتهي إليه الشيء ، تقول : قدرت البناء تقديراً ، إذا رتبته وحددته، قال تعالى : ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾(٣) بمعنى رتّب أقواتها وحددها.. فمعنى قضى وقدر حَكَمَ ورتّب. ومعنى القضاء والقدر حكم الله تعالى في شيءٍ بحمده أو ذمّه ، وبكونه وترتيبه على صفة كذا وإلى وقت كذا فقط))(٤).

وخلاصة القول فيها كما قال الخطابي(٥) –رحمه الله– : ((وجماع القول في هذا أنهما أمران لا ينفك أحدهما عن الآخر ؛ لأن أحدهما بمنزلة الأساس ، والآخر بمنزلة البناء ، فمن رام الفصل بينهما فقد رامَ هدمَ البناءِ ونقضه))(٦).

---

(١) ((مفردات ألفاظ القرآن)) : ص (٦٧٥).

(٢) ((لسان العرب)) : (٣٦٦٥/٦).

(٣) سورة فصلت ، آية رقم : (١٠).

(٤) ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) : (٣/٥١ ، ٥٢).

(٥) أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن خطاب البستي الخطابي الإمام العلامة الحافظ اللغوي ، ولد سنة بضع عشرة وثلاث مائة ، وتوفي ببست في شهر ربيع الآخر سنة ثمان وثمانين وثلاث مائة. ((السير)) : (٢٣/١٧).

(٦) ((معالم السنن)) : (٧٧/٥).

الفصل الأول

الإيمان بالقدر

وفيه مبحثان :

المبحث الأول :

الإيمان بالقدر خيره وشره

المبحث الثاني :

إن الله على كل شيءٍ قدير

المبحث الأول

الإيمان بالقدر خيره وشره

المبحث الأول
الإيمان بالقدر خيره وشره

يؤمن أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره ، وذلك أن كل ما يكون فقد شاءه الله ، وأن الطاعات والمعاصي كلها بقضاء الله وقدره[١] ، واعتبار الخير والشر بالنسبة للمقضي المقدَّر، وأما تقدير الله وقضاؤه فكله خيرٌ كما قال النبي ﷺ : ((والشر ليس إليك))[٢] ، وذلك أن القضاء والتقدير فعل الله ، وأفعال الله ﷻ كلها خير وحكمة ليس فيها شر[٣].

(١) هذا معتقد أهل السنةو الجماعة أن الخير والشر والطاعات والمعاصي كلها بقضاء الله وقدره ، وخالفهم في ذلك أهل الاعتزال فقالوا : فعل العبد من خيرٍ وشرٍ مستقلٌ به هو الذي أحدثه، فالله ﷻ خالق الأعيان ، والعبد محدث الأفعال ، ولهذا سُمّوا مجوس هذه الأمة ، حيث أثبتوا خالقين ، خالقاً لذواتهم ، وخالقاً لأفعالهم. وربما ظن البعض أن القدرية ينفون فعل الشر عن الله فقط، ويثبتون فعل الخير له ، كما قد حكاه الخطابي –رحمه الله– في ((معالم السنن)) : (٥/٦٦) ؛ والنووي –رحمه الله– في ((شرح صحيح مسلم)) : (١/١٥٤) ؛ والحافظ ابن حجر –رحمه الله– في ((الفتح)) : (١١/٤٩٩) وغيرهم. وهذا ليس صحيحاً ، بل مذهبهم أن فعل العبد من طاعةٍ ومعصيةٍ مستقلٌ بها حادثةٌ من قبله ، يقول القاضي عبدالجبار : ((إن أفعال العبد حادثةٌ من قبلهم، وليس من خلقه تعالى)) ، ((المختصر في أصول الدين)) : (١/٢٠٢) ؛ ويقول الشهرستاني : ((اتفق المعتزلة على أن العبد قادرٌ خالقٌ لأفعاله خيرها وشرها مستحقٌ على ما يفعله ثواباً وعقاباًفي الدار الآخرة)) : ((الملل والنحل)) : (١/٥٥) ، ويقول شيخ الإسلام : ((من توهَّم عنهم أو من نقل عنهم أن الطاعة من الله والمعصية من العبد فهو جاهلٌ بمذهبهم، فإن هذا لم يقله أحدٌ من علماء القدرية ولا يمكن أن يقوله ، فإن أصل قولهم أن فعل العبد للطاعة كفعله للمعصية ؛ كلاهما فعله بقدرة تحصل له من غير أن يخصه الله بإرادة خلقها فيه، ولا قوة جعلها فيه تختص بأحدهما)) ، ((مجموع الفتاوى)) : (٨/١١٦)؛ وانظر مزيداً في البحث ((التبصير في معالم الدين)) : ص (١٦٧)؛ ((مقالات الإسلاميين)) : (١/٢٩٨)؛ ((الاعتقاد والهداية)) : ص (٩١).

(٢) ((أخرجه مسلم في صحيحه)) : كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الدعاء في صلاة الليل وقيامه ، ح(٧٧١) (١/٥٣٤).

(٣) قال ابن القيم : ((الشر ليس إلى الرب تعالى بوجهٍ من الوجوه ، لا في ذاته ولا في أسمائه ولا في صفاته ولا في أفعاله وإنما يدخل الشر الجزئي الإضافي في المقضي المقدَّر ويكون شراً بالنسبة إلى محل وخيراً بالنسبة إلى محلٍ آخر ، وقد يكون خيراً بالنسبة إلى المحل القائم به من وجه ، كما هو شر له من وجه ، بل هذا هو الغالب وهذا كالقصاص وإقامة الحدود وقتل الكفار ، فإنه شرٌ بالنسبة إليهم لا من كل وجه بل من وجهٍ دون وجه ، وخيرٌ بالنسبة إلى غيرهم لما فيه من مصلحة الزجر والنكال ودفع الناس بعضهم ببعض. وكذلك الآلام والأمراض إن كانت شروراً من وجه فهي خيرات من وجوه عديدة.. فالخير والشر من جنس اللذة والألم والنفع والضرر وذلك في المقضي المقدر لا في نفس صفة الرب وفعله القائم به ، فإن قطع يد السارق شر مؤلم ضار له ، وأما قضاء الرب ذلك وتقديره عليه فعدل وخير وحكمه ومصلحة)). ((شفاء العليل)) : ص (٤٤٣).

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((وتؤمن الفرقة الناجية أهل السنة والجماعة بالقدر خيره وشره))[١].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

نَصَّ على معتقد أهل السنة والجماعة أو نَقَل إجماعَهم في الإيمان بالقدر خيره وشره كثيرٌ من أهل العلم ، فقال الإمام الحافظ أبو بكر عبدالله بن الزبير الحميدي[٢] : ((والسنة عندنا أن يؤمن الرجل بالقدر خيره وشره ، حلوه ومره))[٣].

وقال الإمام الرحَّالة إمام أهل الحديث أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري[٤] -رحمه الله- : ((لقيت أكثر من ألف رجلٍ من أهل العلم أهل الحجاز ومكة والمدينة والكوفة والبصرة... أدركتهم وهم متوافرون منذ أكثر من ستٍ وأربعين سنة... فما رأيتُ واحداً منهم يختلف في هذه الأشياء.. وأن الخير والشر بقدر))[٥].

---

(١) ((الواسطية)) مجموع الفتاوى : (١٤٨/٣).

(٢) أبو بكر عبدالله بن الزبير بن عيسى بن عبدالله القرشي الاسدي الحميدي ، الإمام الحافظ الفقيه ، شيخ الحرم ، قال أحمد الحميدي : ((عندنا إمام ، قال يعقوب الفسوي : ما لقيت أنصح للإسلام وأهله منه)) توفي سنة تسع عشرة ومائتين. ((السير)) : (٦١٦/١٠).

(٣) ((أصول السنة)) : (ص٣٦).

(٤) أبو عبدالله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري. قال نعيم بن حماد : ((محمد بن إسماعيل فقيه هذه الأمة)) ؛ وقال عمرو الفلاس : ((حديث لا يعرفه محمد بن إسماعيل ليس بحديث)) ؛ وقال الإمام أحمد : ((ما أخرجت خراسان مثل محمد بن إسماعيل)) ؛ قال الحاكم : ((محمد بن إسماعيل إمام أهل الحديث)) ؛ قال ابن خزيمة : ((ما رأيت تحت أديم السماء أعلم بحديث رسول الله ﷺ وأحفظ له من محمد بن إسماعيل)). ولد سنة أربع وتسعين ومائة ، وتوفي سنة ست وخمسين ومائتين. ((السير)) : (٣٩١/١٢).

(٥) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة)) : (١٩٦/١).

وقال الإمامان الحافظان الرازيان أبو حاتم[١] وأبو زرعة[٢] -رحمهما الله- : ((أدركنا العلماء في جميع الأمصار -حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً- فكان من مذهبهم... القدر خيره وشره من الله ﷻ))[٣].

وقال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- : ((أصحاب الحديث كلهم مجمعون... على أن -الله- خالق الخير والشر))[٤].

وقال الإمام الفقيه شيخ الشافعية أبو بكر أحمد الإسماعيلي[٥] -رحمه الله- : ((مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة... ويقولون إن الخير والشر والحلو والمر بقضاءٍ من الله ﷻ))[٦].

وقد ذكر هذه المسألة وإيمان أهل السنة والجماعة بها كثيرٌ من أهل العلم ، فانظر مثلاً خلق أفعال العباد للبخاري[٧] ؛ والسنة للإمام عبدالله بن أحمد[٨] [٩] ؛ والسنة

---

(١) أبو حاتم محمد بن إدريس بن المنذر بن داود بن مهران الحنظلي الرازي ، الإمام الحافظ الناقد ، شيخ المحدثين ، كان من بحور العلم ، طوّف البلاد ، وبرع في المتن والإسناد ، وجمع وصنّف ، وجرح وعدّل ، وصحّح وعلّل. ولد سنة خمسٍ وتسعين ومائة، وتوفي سنة سبعٍ وسبعين ومائتين. ((السير)) : (٢٤٧/١٣).

(٢) أبو زرعة عبيد الله بن عبدالكريم بن يزيد بن فرّوخ ، قال الذهبي : ((الإمام سيد الحفاظ.. يعجبني كثيراً كلامه في الجرح والتعديل ، يبين عليه الورع والمخبَرة ، بخلاف رفيقه أبي حاتم فإنه جراح)). ولد سنة مائتين ، وتوفي سنة أربع وستين ومائتين. ((السير)) : (٦٥/١٣).

(٣) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : (١٩٨/١).

(٤) ((تأويل مختلف الحديث)) : ص (١٤).

(٥) أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن العباس الجرجاني الإسماعيلي الشافعي ، شيخ الشافعية ، .. كتب الحديث بخطه وهو صبي مميّز ، وصنّف تصانيف تشهد له بالإمامة في الفقه والحديث. ولد سنة سبع وسبعين ومائتين ، وتوفي سنة إحدى وسبعين وثلاث مائة. ((السير)) : (٢٩٢/١٦).

(٦) ((اعتقاد أئمة الحديث)) : ص (٦١).

(٧) ص (٤٠).

(٨) أبو عبدالرحمن عبدالله بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال الشيباني المروزي البغدادي ، الإمام الحافظ الناقد محدِّث بغداد ، وكان ديِّناً صادقاً ، صاحب حديث واتباع وبصرٍ بالرجال ، ولد سنة ثلاث عشرة ومائتين ، وتوفي سنة تسعين ومائتين. ((السير)) : (٥١٦/١٣).

(٩) (٤١٧/٢ ، ٤٢٢).

للخلال[١] ؛ وشرح السنة للبربهاري[٢] ؛ والإبانة لأبي الحسن الأشعري[٣] ؛ وشرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين[٤] ؛ والقيروانية لابن أبي زيد القيرواني[٥] ؛ والشرح والإبانة لابن بطة العكبري[٦] ؛ وعقيدة السلف وأصحاب الحديث للصابوني[٧] ؛ والاعتقاد والهداية للبيهقي[٨] ؛ والتمهيد للإمام العلامة ابن عبدالبر[٩] ؛ والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني[١٠] ؛ ومناقب الإمام أحمد لابن الجوزي[١١] [١٢] ، ..وغيرهم كثير.

ذكر مستند الإجماع على الإيمان بالقدر خيره وشره :

قال تعالى : ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾[١٣] وقال تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[١٤] وقال تعالى : ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الأَعْلَى ۞ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ۞ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى﴾[١٥] فكل هذه الآيات وغيرها من أمثالها تدل على أن كل

---

(١) (٣/٥٤٠).

(٢) ص (٨٦).

(٣) ص (٢١).

(٤) ص (٣١٩).

(٥) ((شرح القيروانية)) : ص (٣٠).

(٦) ص : (١٩٣).

(٧) ص : (٢٨٤).

(٨) ص : (٨٣ ، ٩٣ ، ١٠٧).

(٩) ((فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبدالبر)) : (٢/٢٧٧).

(١٠) (٢/٤٣٤).

(١١) أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله القرشي التيمي البغدادي الحنبلي، الشيخ الإمام العلامة الحافظ الواعظ المفسر ، شيخ الإسلام ، صاحب التصانيف.. ، صنف في التفسير ((المغني)) كبير ثم اختصره في أربع مجلدات وسمّاه : ((زاد المسير)).. ومن مصنفاته : تلبيس إبليس ، وصيد الخاطر ، .. وغير ذلك كثير فقد بلغت تواليفه مائتين وخمسين تأليفاً. ولد سنة تسع وخمس مائة ، وتوفي سنة سبع وتسعين وخمس مائة. ((السير)) : (٢١/٣٦٥).

(١٢) ص (٢١٥).

(١٣) سورة القمر ، آية : (٤٩).

(١٤) سورة الفرقان ، آية : (٢).

(١٥) سورة الأعلى ، الآيات : (١ ، ٢ ، ٣).

شيءٍ من خيرٍ وشرٍ وطاعاتٍ ومعاصٍ بقدر. قال ابن كثيرٍ -رحمه الله- : ((يَستدل بهذه الآية الكريمة أئمة السنة على إثبات قدر الله السابق لخلقه وهو علمه الأشياء قبل كونها وكتابته لها قبل برئها))[١].

وفي الصحيح حديث جبريل المشهور من رواية أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه وفيه قال : فأخبرني عن الإيمان ؟ قال : ((أن تؤمن بالله وملائكته... وتؤمن بالقدر خيره وشره))[٢] ، وفي الصحيح أيضاً من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ : ((كل شيءٍ بقدرٍ حتى العجز والكيس أو الكيس والعجز))[٣].

وأوصى عبادة بن الصامت ابنه عبدالرحمن عند احتضاره فقال له : ((يا بني إنك لن تطعم طعم الإيمان ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله تبارك وتعالى حتى تؤمن بالقدر خيره وشره. قال : قلت : يا أبتاه ، فكيف لي أن أعلم ما خير القدر وشره ؟ قال : تعلم ما أخطأك لم يكن ليصيبك ، وما أصابك لم يكن ليخطئك ، يا بني إني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إن أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم[٤] ، ثم قال : اكتب

---

(١) ((تفسير ابن كثير)) : (٤٨٢/٧).

(٢) ((صحيح مسلم)) : كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان ، وجوب الإيمان بإثبات قدر الله ، ح(١) (٣٦/١).

(٣) سبق تخريجه ، ص (١٢٢).

(٤) اختلف العلماء ، هل القلم أول المخلوقات أو العرش ؟ على قولين ، ذكرهما الحافظ أبو العلاء الهمداني وغيره ، والذي عليه أكثر السلف ، وهو اختيار شيخ الإسلام وابن القيم أن العرش قبل القلم ، قال شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((القلم أول ما خلق من هذا العالم ، وخلقه بعد العرش كما دلّت عليه النصوص وهو قول جمهور السلف)) : ((مجموع الفتاوى)) : (١٢٣/١٨).

وقال ابن القيم -رحمه الله في النونية :

والناس مختلفون في القلم الذي ... كُتِبَ القضاءُ به من الديَّان
هل كان قبل العرش أو هو بعده ... قولان عند أبي العلا الهمداني
والحق أن العرش قبلٌ لأنه ... وقت الكتابة كان ذا أركان
وكتابة القلم الشريف تعقبت ... إيجاده من غير فصل زمان

((الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية)) : ص (٩٦).

فجرى في تلك الساعة بما هو كائنٌ إلى يوم القيامة» ، يا بني إن مت ولست على ذلك دخلت النار»[1].

(١) «مسند الإمام أحمد» : مسند عبادة بن الصامت ، ح(٢٢١٩٧) (٤٣٢/٦). وصححه الألباني. انظر : «السنة» لابن أبي عاصم ، باب ذكر القلم أنه أول ما خلق الله تعالى : ح(١١١) (٥١/١).

المبحث الثاني

إن الله على كل شيءٍ قدير

المبحث الثاني
إن الله على كل شيءٍ قدير

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الله على كل شيءٍ قدير.. ويدخل في هذا أفعال العباد وأفعاله نفسه ﴿بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُسَوِّيَ بَنَانَه﴾[(١)] ويدخل فيه ما شاء وقوعه وما لم يشأه ﴿قُل هُوَ القَادِرُ عَلَى أَن يَبعَثَ عَلَيكُم عَذَاباً مِن فَوقِكُم أَو مِن تَحتِ أَرجُلِكُم أَو يَلبِسَكُم شِيَعاً﴾[(٢)] فلا يعجز الله شيء وهو قادر على كل شيءٍ.. ويفعله إذا اقتضت حكمته أن يفعله.

نص كلام شيخ الإسلام ابن تيمية :

قال -رحمه الله- : ((اتفق المسلمون وسائر أهل الملل على أن الله على كل شيءٍ قدير))[(٣)].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي -رحمه الله- : ((ذلك بأنه على كل شيءٍ قدير ، وكل شيءٍ إليه فقير ، وكل أمرٍ عليه يسير ، لا يحتاج إلى شيء))[(٤)].

---

(١) سورة القيامة ، آية : (٤).

(٢) سورة الأنعام ، آية : (٦٥).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) : (٧/٨) وهذا إجماع للمسلمين وسائر أهل الملل من حيث الجملة ومن غير تفسير.. وعند التفسير والتفصيل نجد مخالفين.. ومن هؤلاء :

- المعتزلة.. فينفون قدرة الله على أفعال العباد.. وقد يقول بعضهم -على ما يشاء قدير- وذلك ليخرج أفعال العباد فإنه لم يشأها.
- الأشاعرة.. من أجل نفيهم الحكمة يجوِّزون على الله فعل كل ممكن، والقدرة عندهم تتعلق بالممكن. وحاشا الله أن يفعل كل صفة نقصٍ وإنما يفعل لحكمة.. قال شيخ الإسلام : ((حكمة الله من لوازم ذاته ، فيمتنع أن يفعل إلا لحكمة وبحكمة ، ويمتنع أن يفعل على خلاف الحكمة)) ((النبوات)) : (٢/٩٢٦).
- الفلاسفة : ومن وافقهم فيقولون لا يقدر إلا على ما فعل.

انظر : ((النبوات)) : (١/٢٤٠ ، ٢٧٢) ؛ ((مجموع الفتاوى)) : (١١/٤٨٨) (٨/١٠ ، ٢٩٢ ، ٤٢٨) ؛ ((درء تعارض العقل والنقل)) : (٩/٣٦٥) ؛ ((شرح الأصول الخمسة)) : ص (٤٣١) ؛ ((المواقف)) : (٣١٢) ؛ ((شرح جوهرة التوحيد)) : (١٣٤ ، ١٩٦).

(٤) ((الطحاوية)) : ص (٤).

وقال الإمام ابن حزمٍ -رحمه الله- : ((أجمعت الأمة على القول بقدرة الله عز وجل))[١].

وقال أبو القاسم الأصبهاني -رحمه الله- : ((قال أهل العلم : معنى القدير يقدر على كل شيءٍ من الخير والشر والطاعة والعصيان))[٢].

وانظر الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة[٣] ؛ والمحلى لابن حزم[٤].

ذكر مستند الإجماع على أن الله على كل شيءٍ قدير :

الآيات التي تدل على قدرة الله على كل شيءٍ كثيرة جداً ، ومنها :

﴿وَلَو شَاءَ الله لَذَهَبَ بِسَمعِهِم وَأَبصَارِهِم إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير﴾[٥].

وقوله تعالى : **﴿فَاعفُوا وَاصفَحُوا حَتَّى يَأتِيَ الله بِأَمرِهِ إِنَّ الله عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير﴾**[٦].

وقوله تعالى : **﴿وَلله مُلكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرضِ وَالله عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير﴾**[٧].

وقوله تعالى : **﴿وَكَانَ الله عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِيراً﴾**[٨].

وقوله تعالى : **﴿وَمَا كَانَ الله لِيُعجِزَهُ مِن شَيءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيماً قَدِيراً﴾**[٩].

وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي تنص على قدرة الله الشاملة والمطلقة على كل شيء.

---

(١) ((الدرة فيما يجب اعتقاده)) : ص (٢٥٠).

(٢) ((الحجة في بيان المحجة)) : (١/١٣١).

(٣) ص (٣٥).

(٤) (١/٣٣).

(٥) سورة البقرة ، آية : (٢٠).

(٦) سورة البقرة ، آية : (١٠٩).

(٧) سورة آل عمران ، آية : (١٨٩).

(٨) سورة الأحزاب ، آية : (٢٧).

(٩) سورة فاطر ، آية : (٤٤).

الفصل الثاني
مراتب الإيمان بالقدر

وهي أربع مراتب :

المرتبة الأولى : العـــلـــم

المرتبة الثانية : الكـتـابـة

المرتبة الثالثة : المشـيـئـة

المرتبة الرابعة : الخـلـــق

الفصل الثاني

مراتب الإيمان بالقدر

دلَّ الكتاب والسنة وإجماع السلف على أن الله ﷻ موصوف بالعلم أزلاً وأبداً لا يغيب عن علمه شيءٌ ، وأنه كتب كل ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ، وأن مشيئته نافذة في كل شيءٍ ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، وأنه خالقُ كلِّ شيء لا خالق غيره ولا رب سواه ، وقد اصطلح أهل العلم على تسمية هذه الأمور الأربعة -العلم والكتابة والمشيئة والخلق- بمراتب الإيمان بالقدر ، وسيكون الحديث عن كل مرتبة استقلالاً.

المرتبة الأولى

العلم

المرتبة الأولى
العلم

يؤمن أهل السنة والجماعة بعلم الله المحيط بكل شيءٍ ، عَلِمَ بعلمه الموصوف به أزلاً ما سيكون قبل أن يكون ، وعلم ما الخلق عاملون قبل أن يخلقهم ، وعلم أرزاقهم وآجالهم ، ومن هو من أهل الجنة أو مِن أهل النار[1] ، لا يعزُبُ عنه مثقالُ ذرَّةٍ في السموات ولا في الأرض.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((اتفق سلف الأمة وأئمتها على أن الله عالم بما سيكون قبل أن يكون))[2].

---

(١) وقد خالف في هذه المسألة طائفتان :

- الطائفة الأولى : غلاة القدرية : وإمامهم معبد الجهني ثم أخذ عنه غيلان الدمشقي ، فزعموا أن الله لا يعلم أعمال العباد قبل أن يعملوها ، وهذه طائفة كفَّرها كثيرٌ من السلف ، وقد انقرضت ولا وجود لها اليوم ولا يُعرف من يُنسب إليها من المتأخرين.
انظر : ((الفرق بين الفرق)) : (٢٥) ؛ ((المفهم)) للقرطبي : (١/١٣٢ ، ١٣٦) ؛ ((درء تعارض العقل والنقل)) : (٩/٣٩٦) ؛ ((الرد على الجهمية)) للدارمي : (ص٦٨ ، ٧١) ؛ ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي : (١/٢٠٠ ، ٣/٤٥٠ ، ٤/٧٧٥) ؛ ((مجموع الفتاوى)) : (٨/٤٩١).

- الطائفة الثانية : الفلاسفة : قالوا إن الله لا يعلم الجزئيات ، وإنما يعلم الأشياء على وجهٍ كلي ، أي يعلم الكليات دون الجزئيات. انظر : ((تعارض العقل والنقل)) : (٩/٣٩٧) (١٠/١٧٩). قال الإمام أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي -رحمه الله- : ((وإذا كان الله بزعمهم لا يعلم الشيء حتى يكون ، كيف علم في مذهبهم بقيام الساعة والبعث ، و لم تقم الساعة بعد ولا تقوم إلا بعد فناء الخلق وارتفاع الدنيا..! فإن أقروا لله بعلم قيام الساعة والبعث والحساب ؛ لزمهم أن يقروا له بعلم كل شيءٍ دونها ، فإن أنكروا علم الله ﷺ بما دونها ، لزمهم الإنكار بها وبقيامها ، وبالبعث والحساب ، لأن علمه بالساعة كعلمه بالخلق وأعمالهم سواءً ، لا يزيد ولا ينقص ، فمن لم يؤمن بأحدهما ، لزمه أن لا يؤمن بالآخر ، وهي من أوضح الحجج ، وأشدها على من رد العلم وأنكره)) ، ((الرد على الجهمية)) : ص (٦٩).

(٢) ((درء تعارض العقل والنقل)) : (٩/٣٩٦).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

نقل الإجماع أو نص على علم الله بكل شيءٍ أزلاً وأبداً كثيرٌ من أهل العلم ، فقال الإمام العلامة فقيه الملة أبو إبراهيم إسماعيل المزني[1] -رحمه الله- : ((فالخلق عاملون بسابق علمه ونافذون لما خلقهم له من خيرٍ وشرٍ.. هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهُدى ، وبتوفيقِ الله اعتصم بها التابعون قدوةً ورضىً))[2].

وقال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- : ((لم يقل أحدٌ من الناس أن شيئاً يحدث في الأرض لا يعلمه الله)) [3].

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((وقد أجمع المسلمون قبل حدوث الجهمية والمعتزلة والحرورية على أن لله علماً لم يزل... وعلم الله سابقٌ في الأشياء... فمن جحد أن لله علماً فقد خالف المسلمين وخرج عن اتفاقهم))[4].

وقال الإمام أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله- : ((مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة الإقرار بالله... ويقولون لا سبيل لأحدٍ أن يخرج عن علم الله... ولا أن يبدِّل علم الله))[5].

وقال الإمام قوام السنة الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني -رحمه الله- : ((قال أهل السنة.. علمه بكل مكانٍ ، قد أحاط بكل شيءٍ علماً))[6].

---

(١) أبو إبراهيم إسماعيل بن يحيى بن إسماعيل بن عمرو بن مسلم المُزني المصري ، الإمام العلاّمة ، فقيه الملة ، علم الزهاد ، قال الدارمي : ((كان رأساً في الفقه)) امتلأت البلاد بمختصره في الفقه وشرحه عدة من الكبار ، ولد سنة خمس وسبعين ومائة ، وتوفي سنة أربع وستين ومائتين. ((السير)) : (١٢/٤٩٢).

(٢) ((شرح السنة)) للمزني : ص (٧٦).

(٣) ((الاختلاف في اللفظ)) : ص (٢٥).

(٤) ((الإبانة عن أصول الديانة)) : ص (١٠٩).

(٥) ((اعتقاد أئمة الحديث)) : ص (٥٧).

(٦) ((الحجة في بيان المحجة)) : (٢/٤٦٢).

وانظر أيضاً ما ذكره وقرره كثيرٌ من الأئمة في ذلك ومنهم : الإمام أحمد في الرد على الجهمية والزنادقة[١]؛ والإمام الدارمي في الرد على الجهمية[٢]؛ والإمام عبدالله في السنة[٣] ؛ والإمام ابن خزيمة[٤] في كتاب التوحيد[٥] ؛ والخلال في السنة[٦] ؛ والبربهاري في شرح السنة[٧] ؛ وابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة[٨] ؛ وابن أبي زيد في القيروانية[٩] ؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة[١٠] ؛ وابن حزم في المحلى[١١] ؛ والبيهقي في كتابيه الأسماء والصفات[١٢] ، والاعتقاد والهداية[١٣] ؛ وابن عبدالبر في كتاب التمهيد[١٤].

ذكر مستند الإجماع على الإيمان بعلم ا لله الأزلي :

قال تعالى : ﴿وَقَالَ الذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأتِينَا السَّاعَةُ قُل بَلَى وَرَبِّي لَتَأتِيَنَّكُم عَالِمِ الغَيبِ لاَ يَعزُبُ عَنهُ مِثقَالُ ذَرَّةٍ[١٥] فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرضِ وَلاَ أَصغَرُ مِن

(١) ص : (٥٢ ، ٥٣).
(٢) ص : (٦٩).
(٣) (١/١٠٢ ، ٢/٣٨٥).
(٤) أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة السلمي النيسابوري الشافعي ، الحافظ الحجة الفقيه ، شيخ الإسلام ، إمام الأئمة، عُنِي في حداثته بالحديث والفقه ، حتى صار يُضرب به المثل في سعة العلم والإتقان ، وله عظمةٌ في النفوس ، وجلالةٌ في القلوب لعلمه ودينه ، واتباعه السنة ، ولد سنة ثلاث وعشرين ومائتين وتوفي سنة إحدى عشرة وثلاث مائة. ((السير)) : (١٤/٣٦٥).
(٥) (١/٢٢).
(٦) (٣/٥٢٩ ، ٥٥٨).
(٧) ص (٨٦).
(٨) ص (٣١٩).
(٩) ((شرح القيروانية)) : ص (٣٢).
(١٠) (١/٢٠٠).
(١١) (١/٣٢).
(١٢) ص (١٤٣).
(١٣) ص (٨٣).
(١٤) ((فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبدالبر)) : (٢/١٩٥ ، ٢١٨).
(١٥) قال بعض العلماء مقدار الذرة إلى الشعيرة [١ : ١٠٢٤] . ((الحجة في بيان المحجة)) : (١/١٥٧).

ذَلِكَ وَلاَ أَكبَرُ إلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(١) فشملت هذه الآية جميع المعلومات ما صغر منها وما كبر ، وما دق منها وما جل في السموات أو في الأرض ، فلا يغيب عن علم ا لله شيء.

ومثل هذه الآية في شمولية المعلوم قوله تعالى : ﴿وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الغَيبِ لاَ يَعلَمُهَا إلاَّ هُوَ وَيَعلَمُ مَا فِي البَرِّ وَالبَحرِ وَمَا تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إلاَّ يَعلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرضِ وَلاَ رَطبٍ وَلاَ يَابِسٍ إلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(٢).

وقال تعالى : ﴿إنَّمَا إلَهُكُمُ ا للهُ الَّذِي لاَ إلَهَ إلاَّ هُوَ وَسِعَ كُلَّ شَيءٍ عِلمَاً﴾(٣) ، فعلم ا لله قد وسع كل شيء ، عَلِم ما الخلق عاملون وما هي آجالهم وأرزاقهم وهل هم أشقياء أم سعداء ، عَلِم ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون.

ومنه بدأ العلم ، يعلم السر وأخفى ، والسر ما تحدث به نفسك وأخفى منه ما لم تحدث به نفسك ، قد علمه ، فسبحانه قد أحاط بكل شيءٍ علماً(٤).

---

(١) سورة سبأ ، آية : (٣).

(٢) سورة الأنعام ، آية : (٥٩).

(٣) سورة طه ، آية : (٩٨).

(٤) ولا يعارض هذا ظاهر قول ا لله تعالى ﴿أَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعلَمِ ا للهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُم وَيَعلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ (آل عمران : ١٤٢) ، فيخبر ا لله ﷻ أن العباد لن يدخلوا الجنة حتى يعلم ا لله جهادهم وصبرهم..!! ولا يعارضه أيضاً ظاهر قول ا لله تعالى : ﴿وَكَانَ ا للهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ (النساء : ١٧٠) فهذا خبر عما مضى من الزمان..!! والجواب عن ذلك : فأما قول ا لله تعالى : ﴿وَكَانَ ا للهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ وأمثالها من الآيات فقد جاء رجلٌ لابن عباسٍ رضي ا لله عنهما : فقال : إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ وذكر أشياء ، ومن ذلك : ﴿وَكَانَ ا للهُ غَفُوراً رَحِيماً﴾ ﴿وَكَانَ ا للهُ عَزِيزاً حَكِيماً﴾ ﴿وَكَانَ ا للهُ سَمِيعاً بَصِيراً﴾ فكأنه كان ثم مضى. فقال ابن عباسٍ رضي ا لله عنهما : سمى نفسه ذلك ، وذلك قوله ، أي لم يزل كذلك. ((صحيح البخاري)) تعليقاً : (٢٨٦/٣). فبين لنا ابن عباس أن ﴿كَانَ﴾ في مثل هذه الآيات مسلوبة الزمان بمعنى أنها لا تقتصر على الماضي وإنما لم يزل كذلك. وذلك بدلالة النصوص المستفيضة على علم ا لله الأزلي والأبدي ، أزلاً باعتبار الماضي ، وأبداً باعتبار المستقبل.

وأما قول ا لله ﷻ ﴿أَم حَسِبتُم أَن تَدخُلُوا الجَنَّةَ وَلَمَّا يَعلَمِ ا للهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنكُم وَيَعلَمَ الصَّابِرِينَ﴾ الآية ، وأمثالها من الآيات ، فالعلم فيها علم الظهور أي فليظهرن ذلك حتى يوجد معلوماً ، فهو علم الظهور الذي يقع به الجزاء وذلك أن الناس في علم ا لله منهم المؤمن والكافر والبر والفاجر ولكن هذا من العلم الأزلي لا يعاقب عليه العبد وإنما يعاقب بعد ظهور العلم السابق فيه ووقوعه ؛ ومن ذلك اختبار أهل الفترة يوم القيامة فا لله عالمٌ بهم وعالمٌ بعاقبتهم ؛ ولكن ليظهر معلومه فيهم فيستحقوا الجزاء بعد ذلك. ((زاد المسير)) : (٤١١/٧) (٢٥٥/٦) ؛ ((شفاء العليل)) : ص (٦٥ ، ٦٦).

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((ما من مولودٍ إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه ، كما تنتجون البهيمة ، هل تجدون فيها من جدعاء حتى تكونوا أنتم تجدعونها ، قالوا : يا رسول الله ، أفرأيت من يموت وهو صغير ؟ ، قال : الله أعلم بما كانوا عاملين))[1].

وفي صحيح مسلم أن علياً ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ ذات يومٍ جالساً وفي يده عودٌ ينكت به ، فرفع رأسه فقال : ((ما منكم من نفسٍ إلا وقد علم منزلها من الجنة والنار)) قالوا : يا رسول الله ، فلِمَ نعمل ؟ أفلا نتّكِل ؟ قال : لا اعملوا فكلٌّ ميسرٌ لما خُلِقَ له، ثم قرأ : ﴿**فَأَمَّا مَن أَعطَى وَاتَّقَى وَصَدَّقَ بِالحُسنَى فَسَنُيَسِّرُهُ لِليُسرَى** ..﴾ -الآيات-))[2].

---

(١) ((البخاري)) : كتاب القدر ، باب الله أعلم بما كانوا عاملين : ح(٦٦٠٠) (٤/٢٠٩) ؛ ((مسلم)) : كتاب القدر ، باب معنى كل مولودٍ يولد على الفطرة : ح(٢٦٥٨) (٤/٢٠٤٨).

(٢) أخرجه ((مسلم في صحيحه)) : كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي من بطن أمه ، وكتابة رزقه.. : ح(٢٦٤٧) (٤/٢٠٤٠).

المرتبة الثانية

الكتابة

وهي نوعان :

النوع الأول :

كتابة أزلية

النوع الثاني :

كتابة عمرية

المرتبة الثانية
الكــتــابــة

الإيمان بالكتابة هو جزء من الإيمان بالقدر.. فمرتبة الكتابة من مراتب الإيمان بالقدر.. ولن يتم الإيمان بالقدر إلا بالإيمان بمراتبه الأربع.. ومن أنواع الكتابة :

الكتابة الأزلية :

وهي الكتابة الأزلية التفصيلية في اللوح المحفوظ ، فأول ما خلق ا لله القلم قال له : اكتب. قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب كل ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ، فكتب ا لله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة ، وهذه الكتابة هي أم الكتاب ﴿يَمحُو ا للهُ مَا يَشَاءُ وَيُثبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الكِتَابِ﴾[1].

---

(١) سورة الرعد ، آية : (٣٩) ، ظاهر هذه الآية أن المكتوب يتغير وأن هناك محواً لبعض المكتوب ، فاختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على أقوالٍ كثيرة ملخصها ومرجع كثيرٍ منها إلى ثلاثة أقوال :

الأول : أن الآية عامة في كل شيءٍ مما في الكتاب فيمحو ا لله ما يشاء ، فيكون المحو والتغيير حتى في أصل الكتابة التي هي أم الكتاب (اللوح المحفوظ)) ، وهذا القول رجحه القرطبي ((الجامع لأحكام القرآن)) : (٩/٢١٦) ؛ والشوكاني ((فتح القدير)) : (٣/٨٨).

الثاني : أن معنى ذلك أن ا لله يمحو من قد حان أجله ، ويثبت من لم يجيء أجلهُ إلى أجلِه.. فليس هناك تغيير وإنما من جاء أجله يمحى ويموت ، ويثبت الذي هو حي و لم يأتِ أجله ، وهذا القول رجحه الطبري ((تفسير الطبري)) : (١٦/٤٨٨).

الثالث : أن ا لله يمحو ما يشاء مما يقيده الحفظة وتكتبه الملائكة من أعمال اليوم والليلة ومن الكتابة العمرية ونحو ذلك ، وهذا القول رجحه ابن عطية ((المحرر الوجيز)) : (١٠/٤٩) ؛ والسعدي ((تيسير الكريم الرحمن)) : (٢/٤٧٦) وهذا القول هو أرجح الأقوال وأولاها بالصواب وهو الذي تجتمع فيه الأدلة وتأتلف فيه النصوص ؛ فإن ا لله ﷺ أول ما خلق القلم قال له اكتب. قال : ما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائنٌ إلى يوم القيامة ﴿أَلَم تَعلَم أَنَّ ا للهَ يَعلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى ا للهِ يَسِيرٌ﴾ ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُعَمَّرٍ وَلاَ يُنقَصُ مِن عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى ا للهِ يَسِيرٌ﴾ وهذه الكتابة هي التي سبقت في علم ا لله الأزلي في أم الكتاب فلا تتغير ولا تتبدل. وما ثبت في الصحيحين من حديث أنس بن مالك رضي ا لله عنه أن النبي ﷺ قال : ((من سره أن يُبسط له في رزقه وأن يُنسأ له في أثره فليصل رحمه)) فهذا التغيير من البسط في الرزق والزيادة في العمر في تقييد الحفظة وكتابة الملائكة من الكتابة العمرية وفي ليلة القدر وأما ما في أم الكتاب (اللوح المحفوظ)) فلا يتغير ولا يتبدل فيمحو ا لله ما يشاء ويثبت في غير أم الكتاب ، قال ابن عباسٍ رضي ا لله عنهما : ((هما كتابان ، كتاب سوى أم الكتاب يمحو منه ما يشاء ويثبت ، وعنده أم الكتاب لا يغيَّر منه شيء)) ((تفسير الطبري)) : (١٦/٤٨٠) ؛ وقال شيخ الإسلام ابن تيمية : ((الأجل أجلان : أجل مطلق يعلمه ا لله ، وأجل مقيد وبهذا يتبين معنى قوله ﷺ ((من سره أن يُبسط له في رزقه وينسأ له في أثره فليصل رحمه)) فإن ا لله أمر الملَك أن يكتب له أجلاً وقال : ((إن وصل رحمه زدته كذا وكذا)) والملك لا يعلم أيزداد أم لا ، لكن ا لله يعلم ما يستقر عليه الأمر فإذا جاء ذلك لا يتقدم ولا يتأخر)) ، ((مجموع الفتاوى)) : (٨/٥١٧)=

الكتابة العمرية :

وهي الكتابة التي تكتب في العمر مرةً واحدةً ، وذلك إذا خلق جسد الجنين وقبل نفخ الروح فيه جاءه ملك وكتب رزقه وأجله وعمله وشقيٌّ هو أو سعيد(١).

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((ثم كتب الله في اللوح المحفوظ مقادير الخلق.. وإذا خلق جسد الجنين قبل نفخ الروح فيه بعث إليه ملكاً ، فيؤمر بأربع كلمات ، فيقال له : اكتب رزقه ، وأجله ، وعمله ، وشقي أو سعيد))(٢).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال حنبل(٣) : قلت له [أي الإمام أحمد] : ((الشقاء والسعادة مكتوبان على العبد؟ قال : نعم سابقٌ في علم الله وهما في اللوح المحفوظ))(٤).

قال أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((وأجمعوا على أنه تعالى قد قدر جميع أفعال الخلق... وأثبت في اللوح المحفوظ جميع ما هو كائن منهم إلى يوم يبعثون))(٥).

وقال أيضاً -رحمه الله- [بعد ذكره لأحاديث في القدر] : ((هذه الأحاديث تدل على أن الله ﷻ علم ما يكون أنه يكون وكتبه ، وأنه قد كتب أهل الجنة وأهل النار))(٦).

= وانظر أيضاً : (٨/٥٤٠). ولا شك أن هذا الجمع به تجتمع الأدلة ؛ وتأتلف النصوص.

(١) هاتان الكتابتان هما اللتان نقل شيخ الإسلام فيهما الإجماع ، وهناك الكتابة الحولية واليومية قد ذكرها بعض أهل العلم واستدل لها.. ولكن لم أقف على كلامٍ لابن تيمية في الإجماع فيها. انظر ((شفاء العليل)) : (١١-٤٤) و ((معارج القبول)) : (٢/٢٣٠-٢٣٨).

(٢) ((الواسطية)) مجموع الفتاوى : (٣/١٤٨ ، ١٤٩).

(٣) أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ، الإمام الحافظ ابن عم الإمام أحمد وتلميذه ، توفي سنة ثلاث وسبعين ومائتين. ((السير)) : (١٣/٥١).

(٤) ((طبقات الحنابلة)) : (١/٢٧).

(٥) ((رسالة إلى أهل الثغر)) : ص (٢٤٧).

(٦) ((الإبانة عن أصول الديانة)) : ص (١٧٢).

ذكر مستند الإجماع على الإيمان بالكتابة :

قال الله تعالى : ﴿أَلَم تعلَم أَنَّ الله يَعلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالأَرضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾(١) فكل شيءٍ مكتوبٌ حتى الورقة تتساقط من الشجرة في مكانٍ لا يراه أحدٌ قد كتبها الله ﷻ ﴿وَمَا تَسقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرضِ وَلاَ رَطبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾(٢) ، وقال تعالى : ﴿وَمَا يُعمَّرُ من مُعمَّرٍ ولا ينقصُ مِن عُمُرِهِ إِلاَّ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ﴾(٣).

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال وعرشه على الماء))(٤).

وعن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((إن أوَّل ما خلق الله القلم، فقال له : اكتب ، قال : وماذا أكتب ؟ قال : اكتب مقادير كلِّ شيءٍ حتى تقوم الساعة))(٥).

وهذان الحديثان في الكتابة الأزلية وأما دليل الكتابة العمرية حديث ابن مسعود رضي الله عنه في الصحيحين قال : حدثنا رسول الله ﷺ -وهو الصادق المصدوق- : ((إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم

(١) سورة الحج ، آية : (٧٠).

(٢) سورة الأنعام ، آية : (٥٩).

(٣) سورة فاطر ، آية : (١١).

(٤) ((صحيح مسلم)) : كتاب القدر باب ، حجاج آدم وموسى عليهما السلام : ح(٢٦٥٣) (٤/٢٠٤٤).

(٥) ((سنن أبي داود)) : كتاب السنة باب في القدر : ح(٤٧٠٠) (٥/٧٦). وصححه الألباني. انظر : ((السلسلة الصحيحة)) : ح(١٣٣) (١/٢٠٧).

يكون مضغةً مثل ذلك ، ثم يُرسل الملك فينفخ فيه الروح ويؤمر بأربع كلمات : بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد))[١].

(١) ((صحيح البخاري)) ، كتاب القدر ، في أوله ، ح(٦٥٩٤) (٢٠٨/٤). ((صحيح مسلم)) ، كتاب القدر ، باب كيفية خلق الآدمي ح (٢٦٤٣) (٢٠٣٦/٤).

المرتبة الثالثة

المشيئة

المرتبة الثالثة
المشيئة

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن كل ما في الكون بمشيئة الله(١) ، فما شاء كان وما لم يشأ لم يكن ، فهو سبحانه يفعل ما يشاء ، ولا نشاء إلا أن يشاء الله ، إنَّ الله كان عليماً حكيماً.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((...خلافاً لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن))(٢).

---

(١) خالف في هذه المرتبة المعتزلةُ ومن وافقهم فقالوا : أفعال العباد حادثةٌ بمشيئتهم والله ﷻ لم يردها ، فلا تعلق له بها ، قال القاضي عبدالجبار : ((فصل في أنه تعالى لا يجوز أن يكون مريداً للمعاصي ، فإن الإرادة فعل من الأفعال ، ومتى تعلقت بالقبيح فتحب لا محالة، وكونه تعالى عدلاً يقتضي أن تنفى عنه هذه الإرادة)) ((شرح الأصول الخمسة)) : ص (٤٣١).
وهذا المعتقد مخالفٌ لما أجمع عليه المسلمون إجماعاً قطعياً أنَّ ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولو قدر أنَّ شيئاً وقع بغير مشيئة الله فهل وقع عن علم من الله أو عن غير علم ، فإن أقروا بالعلم خصموا وإن أنكروه كفروا كما قال ذلك غيرُ واحدٍ من الأئمة ، وذلك أنهم إذا قالوا إنه وقع عن علم من الله ومن غير مشيئته لزم من ذلك أن يكون واقعاً عن غفلةٍ من الله أو إكراهٍ، وكلا الأمرين ممتنعٌ ، فالله ﷻ منزه عن الغفلة ﴿وَمَا كُنَّا عَنِ الْخَلْقِ غَافِلِينَ﴾ ﴿وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ ولا مكره له كما في الصحيح مرفوعاً ((..فإن الله لا مكره له)) ، ((صحيح البخاري)) ، كتاب التوحيد ، باب في المشيئة والإرادة : ح(٧٤٧٧) (٣٩٩/٤). وإذا قالوا وقع عن غير علمٍ من الله فنفي العلم كفرٌ صريح. ومنشأ الضلال في هذا عدم التفريق بين الإرادة الكونية (المشيئة) والإرادة الشرعية (المحبة) والتسوية بينهما ، فالجبرية قالت : كل ما يقع قد أراده الله ، والمعتزلة قالت ليست المعاصي مرادة لله ولا مقدَّرة ، وكلا الفريقين ضل عن الهداية ، فأصاب من وجه وأخطأ من وجه وعند التفصيل يتبين الحق. فالإرادة تنقسم إلى قسمين إرادة كونية قدرية وإرادة شرعية أمرية ، والإرادة الكونية هي المشيئة الشاملة لجميع الموجودات ولابد من وقوعها ولا يلزم محبتها ، والإرادة الشرعية متضمنةٌ للمحبة والرضى ولا يجب وقوعها، ولا خروج لأحدٍ عن الإرادة الكونية القدرية ، وأما الإرادة الشرعية فيعصيها الفجّار والفسّاق ، وعلى هذا نقول : إن المعاصي أرادها الله كوناً فقدَّرها وشاءها و لم يردها شرعاً فيرضاها ويحبها.

(٢) ((بيان تلبيس الجهمية)) : (٤٢٠/١).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- : ((أصحاب الحديث كلهم مجمعون على أن ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لا يكون))[1].

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((...خلافاً لما أجمع عليه المسلمون من أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن))[2].

وقال أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله- : ((مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة... ويقولون ما يقوله المسلمون بأسرهم -ما شاء الله كان وما لا يشاء لا يكون))[3].

وقال الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله- : ((أهل التوحيد مجمعون على أنه ليس شيءٌ كان ، ولا شيءٌ يكون في السموات ولا في الأرض إلا ما أراده الله ﷻ وشاءه وقضاه[4].

وقال أبو عثمان الصابوني -رحمه الله- : ((ومن مذهب أهل السنة : أن الله ﷻ مريد لجميع أعمال العباد خيرها وشرها ، ولم يؤمن أحدٌ إلا بمشيئته... فكفر الكافرين وإيمان المؤمنين بقضائه سبحانه وتعالى وقدره ، وإرادته ، ومشيئته ، أراد كل ذلك وشاءه وقضاه))[5].

وانظر ما قاله الإمام الطبري في كتابيه صريح السنة[6] ، والتبصير بمعالم الدين[7] ؛ والخلال في السنة[8] ؛ وأبو جعفر الطحاوي في متن العقيدة الطحاوية[9] ؛ والآجري في

---

(١) ((تأويل مختلف الحديث)) : ص (١٤).

(٢) ((الإبانة عن أصول الديانة)) : ص (١٢).

(٣) ((اعتقاد أئمة الحديث)) : ص (٥٧).

(٤) ((الشرح والإبانة)) : ص (١٩٥).

(٥) ((عقيدة السلف)) للصابوني : ص (٢٨٥).

(٦) ص : (٢١).

(٧) ص : (١٣٠).

(٨) (٥٥٩/٣).

(٩) ص (١٣).

الشريعة[١] ؛ والبيهقي في الاعتقاد والهداية[٢] ؛ والإمام أبو إسماعيل الأصبهاني في كتابه الحجة في بيان المحجة[٣].

مستند الإجماع على المشيئة :

قال تعالى : ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ ا للهُ**﴾[٤] ، وقال تعالى : ﴿**يَفعَلُ ا للهُ مَا يَشَاءُ**﴾[٥] ، فكل شيءٍ بمشيئة ا لله مشيئة عامة كونية شاملة لجميع المخلوقات ، وقال تعالى : ﴿**وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِن أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذنِ ا للهِ**﴾[٦] فلن يقع ضرر لأحدٍ لم يأذن به ا لله ويقدره ، وقال تعالى : ﴿**وَكَذَلِكَ جَعَلنَا لِكُلِّ نَبِيٍ عَدُوّاً شَيَاطِينَ الإِنسِ وَالجِنِّ يُوحِي بَعضُهُم إِلَى بَعضٍ زُخرُفَ القَولِ غُرُوراً وَلَو شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرهُم وَمَا يَفتَرُونَ**﴾[٧].

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول ا لله ﷺ : ((لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ، ارحمني إن شئت ، ارزقني إن شئت ، وليعزم مسألته إن ا لله يفعل ما يشاء لا مكره له))[٨].

---

(١) (٢/٧١٨).

(٢) ص : (١٠٦).

(٣) (٢/٤٣٤).

(٤) سورة الإنسان ، آية : (٣٠).

(٥) سورة آل عمران ، آية : (٤٠).

(٦) سورة البقرة ، آية : (١٠٢).

(٧) سورة الأنعام ، آية : (١١٢).

(٨) ((صحيح البخاري)) كتاب التوحيد ، باب في المشيئة والإرادة : ح(٧٤٧٧) (٤/٣٩٩).

المرتبة الرابعة

الخلق

وفيه مطلبان :

المطلب الأول :

خلق أفعال العباد

المطلب الثاني :

قدرة العباد ومشيئتهم على أفعالهم

المطلب الأول
خلق أفعال العباد

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن الله ﷻ خالق كل شيء.. خالقٌ لأعيان المخلوقات وذواتهم وخالقٌ لصفاتها من طول وقصروشدة ولين ، وخالق لأحوالها من علم وجهل وصحة ومرض وخالق لما يصدر عنها من أقوال وأفعال ، فأفعال العباد تسند إلى العباد فعلاً وتسند إلى الله خلقاً[1] ، وخالق لآثارها من عمران وخراب فكل ما في الكون خلقه الله فهو الخالق وما سواه مخلوق.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((أفعال العباد مخلوقة باتفاق سلف الأمة وأئمتها))[2].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((وأجمعوا على أنه تعالى قد قدَّر جميع أفعال الخلق وآجالهم وأرزاقهم قبل خلقه لهم)).

---

(١) خالف في هذه المسألة ثلاث طوائف :

- الطائفة الأولى : الجبرية : قالوا إن العبد مجبور على فعله ، فالله ﷻ هو الفاعل لفعل العبد ، كما أنه هو الخالق له ، فلا فعل ولا عمل لأحدٍ غير الله تعالى ، وإنما تنسب الأعمال إلى المخلوقين على المجاز ، كما يقال : زالت الشمس ودارت الرحى من غير أن يكونا فاعلين أو مستطيعين لذلك. ((الفرق بين الفرق)) : (١٩٤) ؛ ((الملل والنحل)) : (١/١١٠).
- الطائفة الثانية : المعتزلة : نفوا تعلق أعمال العباد بالله ﷻ وأنكروا أن يكون الله خالقاً لها وأن تكون تحت مشيئته ، وإنما يحدثها العبد استقلالاً ((شرح الأصول الخمسة)) للقاضي عبدالجبار : (٣٣٢) ؛ ((المختصر في أصول الدين)) للقاضي عبدالجبار : (١/٢٠٢).
- الطائفة الثالثة : الأشاعرة : أراد الأشاعرة أن يوفقوا بين القولين السابقين فجاءوا بنظرية الكسب التي تكون في مآلها جبراً محضاً ، فقالوا للعبد قدرة حادثةٌ غير مؤثرة في الفعل لامتناع اجتماع قدرتين مؤثرتين على أثر واحدٍ ، وإنما أجرى الله العادة بخلق مقدورها مقارناً لها. ((شرح جوهرة التوحيد)) : ص (٢٠٥) ؛ ((المواقف)) : (٣١٢) ؛ قال ابن القيم : ((يقال : محالات الكلام ثلاثة : كسب الأشعري ، وأحوال أبي هاشم ، وطفرة النظام)) ، ((شفاء العليل)) : (٩٢).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) : (٨/٤٠٦).

وقال الإمام اللالكائي -رحمه الله- : ((سياق.. ما نُقِل من إجماع الصحابة والتابعين... أن أفعال العباد كلها مخلوقةٌ لله ﷻ طاعاتها ومعاصيها... وهو مذهب أهل السنة والجماعة يتوارثونه خلفاً عن سلف من لدن رسول الله ﷺ بلا شك ولا ريب))[١].

وقال الإمام ابن حزمٍ -رحمه الله- : ((اتفقوا أن الله ﷻ وحده لا شريك له ، خالق كل شيءٍ غيره... خلق الأشياء كلها كما شاء... والعالم كله مخلوق))[٢].

وقال الإمام ابن عبدالبر -رحمه الله- في معرض شرحه لحديث تحاج آدم وموسى : ((وفيه الأصل الجسيم الذي أجمع عليه أهل الحق ، وهو أن الله ﷻ قد فرغ من أعمال العباد ، فكلٌّ يجري فيما قُدِّر له ، وسبق في علم الله تبارك اسمه))[٣].

وانظر أيضاً خلق أفعال العباد للبخاري[٤] ؛ والتبصير في معالم الدين[٥] ، وصريح السنة[٦] كلاهما للطبري ؛ والسنة للخلال[٧] ؛ والطحاوية لأبي جعفر الطحاوي[٨]؛ والإبانة عن أصول الديانة لأبي الحسن الأشعري[٩] ؛ واعتقاد أئمة الحديث

---

(١) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي : (٣/٥٨٩ ، ٥٩٤).

(٢) ((مراتب الإجماع)) : ص (٢٦٧).

(٣) ((فتح البر)) : (٢/٢٨٣).

(٤) ص (٣٩).

(٥) ص (١٦٧ ، ١٧٠).

(٦) ص (٢١).

(٧) (٣/٥٤٤).

(٨) ص (١٣).

(٩) ص (٢٠)

للإسماعيلي[١] ؛ والقيروانية لابن أبي زيد[٢] ؛ وعقيدة السلف للصابوني[٣] ؛ والمحلى لابن حزم[٤] ؛ والاعتقاد والهداية للبيهقي[٥] ؛ والحجة في بيان المحجة للأصبهاني[٦].

ذكر مستند الإجماع على خلق أفعال العباد :

قال تعالى : ﴿ا للهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيل﴾[٧] فالآية عامةٌ تشمل كل شيءٍ سوى ا لله فأعيان المخلوقات وأفعالها وآثارها جميعها مخلوقة ، فلا ثَمَّ إلا خالقٌ ومخلوق ؛ فا لله ﷻ هو الخالق وما سواه مخلوق.

وقال تعالى : ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُ تَقْدِيراً﴾[٨] وقال تعالى : ﴿أَتَعْبُدُونَ مَا تَنحِتُونَ وَا للهُ خَلَقَكُم وَمَا تَعمَلُون﴾[٩] ، أي وا لله خلقكم وخلق الذي تعملونه[١٠]

---

(١) ص (٦٠).

(٢) ((شرح القيروانية)) : ص (٣٥).

(٣) ص (٢٧٩).

(٤) (٣٧/١).

(٥) ص (٩١).

(٦) (٤٥٧/١ ، ٦٧/٢).

(٧) سورة الزمر ، آية : (٦٢).

(٨) سورة الفرقان ، آية : (٢).

(٩) سورة الصافات ، آية : (٩٦).

(١٠) فـ﴿ مَا ﴾ في الآية موصولة أي خلقكم وخلق الذي تعملون وهي الأصنام ، فـا لله خـالق للعـابد والمعبـود .. فكيف تصرف العبادة لغيره !؟ وحمل ﴿ مَا ﴾ في الآية على المصدرية أي وا لله خلقكم وعملكم ضعيفٌ جداً ، و لم يكن فيه مـا يقتضي ذمهم على الشرك ، بل قد يقال إنه إقامة عذر لهم. يقول شيخ الإسلام : ((فذمهم وأنكر عليهم عبادة ما ينحتونه من الأصنام ثم ذكر أن ا لله خالق للعابد والمعبود المنحوت ، وهو سبحانه الذي يستحق أن يُعبد ، ولـو أريـد : (وا لله خلقكـم وأعمـالكم كلهـا) لم يكن هذا مناسباً ، فإنه قد ذمهم على العبادة ، وهي من أعمالهم، فلم يكن في ذكر كونه خالقاً لأعمالهم ما يناسـب الـذم ، بـل هو إلى العذر أقرب)) ، ((منهاج السنة)) : (٢٦٠/٣) ، ويقـول ابـن القيـم : ((ظـن كثـير مـن النـاس أن قولـه تعـالى : ﴿وَا للهُ خَلَقَكُم وَمَا تَعمَلُون﴾ أنها مصدرية واحتجوا بها على خلق الأعمال ، وليست مصدرية ؛ وإنما هـي موصولـة ، والمعنـى (وا لله خلقكم وخلق الذي تعملونه وتنحتونه من الأصنام) فكيف تعبدونه وهو مخلـوق لله ولـو كـانت مصدريـة لكـان الكـلام إلى أن يكون حجة لهم أقرب من أن يكون حجةً عليهم ، إذ يكون المعنى (أتعبدون ما تنحتون وا لله خلق عبادتكم لهـا) فـأي معنـى في هذا وأي حجة عليهم. ((بدائع الفوائد)) : (١٤٣/١) ؛ ((شفاء العليل)) : (١٠٠).

والآية دليل على خلق أفعال العباد وإن كانت ﴿ مَا ﴾ موصولة.. ووجه ذلك كما ذكـره البخاري في شـرح حديـث حذيفـة ، ص : (١٧٨).

كما قال النبي ﷺ في حديث حذيفة ﷺ : ((إن الله يصنع كل صانعٍ وصنعته))[١] قال البخاري -رحمه الله- : ((فأخبر أن الصناعات وأهلها مخلوقةٌ ، وإذا كان الله خالقاً للصناعات لزم أن يكون هو الخالق للتأليف الذي أحدثوه فيها ، فإنما صارت الصناعات وتكونت بهذا التأليف، والتأليف هو فعل العبد ، فأفعال العباد مخلوقةٌ))[٢].

(١) ((خلق أفعال العباد)) : ح(١١٧) (ص٣٩) ، وصححه الألباني ((الأحاديث الصحيحة)) : ح(١٦٣٧) (١٨١/٤).

(٢) ((خلق أفعال العباد)) : ص (٣٩).

المطلب الثاني
قدرة العباد ومشيئتهم على أفعالهم

مع اعتقاد أهل السنة والجماعة أن الله ﷻ خلق العباد وأعمالهم.. فهم يعتقدون أيضاً بأن العباد لهم قدرةٌ ومشيئةٌ على أعمالهم ويفرقون بين ما يفعله العبد اضطراراً وما يفعله اختياراً ، فللعبد قدرة ومشيئة على أفعاله.. والله ﷻ هو الذي خلق قدرته ومشيئته وفعله.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((ومما اتفق عليه سلف الأمة وأئمتها مع إيمانهم بالقضاء والقدر... أن العباد لهم مشيئةٌ وقدرة يفعلون بمشيئتهم وقدرتهم ما أقدرهم الله عليه مع قولهم إن العباد لا يشاؤون إلا أن يشاء الله))(١).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- : ((وعدل القول في القدر... أن العباد يستطيعون ويعملون ويجزون بما يكسبون))(٢).

وأكثر من دوّن معتقد أهل السنة.. يرد على المعتزلة الذين ينفون خلق الله لأفعال العباد ويجعلونها بقدرتهم ومشيئتهم استقلالاً.. ولهذا لا يتعرض أكثرهم لبيان المقابل لهذا وأن مع خلق الله لأفعال العباد فهي صادرة بمشيئتهم وقدرتهم فهم الفاعلون والمختارون لها ، والله ﷻ هو الذي خلقها.

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٨/٤٥٩).

(٢) ((الاختلاف في اللفظ)) : ص (٣٥).

ذكر مستند الإجماع على أن العباد لهم مشيئةٌ وقدرة على أفعالهم :

قال تعالى : ﴿**لِمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَستَقِيمَ ۝ وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ رَبُّ العَالَمِينَ**﴾(١) فأثبت الله ﷻ أن للعبد مشيئةً بقوله ﴿**لِمَن شَاءَ**﴾ وأثبت له قدرةً بقوله ﴿**أَن يَستَقِيمَ**﴾ قال الشيخ عبدالرحمن بن سعدي -رحمه الله- : ((فقوله : ﴿**لِمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَستَقِيمَ**﴾ أثبت أن لهم مشيئةً حقيقية وفعلاً حقيقياً وهو الاستقامة باختيارهم))(٢).

ولكنها مشيئة وقدرة تابعة لمشيئة الله فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللهُ**﴾ ، وقال تعالى : ﴿**فَمَن شَاءَ فَليُؤمِن وَمَن شَاءَ فَليَكفُر**﴾(٣) ففي الآية إثبات أن للعباد مشيئةً وقدرة على أفعالهم فأسند لهم المشيئة والفعل فهم الذين يشاؤون فيؤمنون أو يكفرون ، وقال تعالى ﴿**لِمَن شَاءَ مِنكُم أَن يَتَقَدَّمَ أَو يَتَأَخَّرَ**﴾(٤).

وقال تعالى : ﴿**إِنَّ هَذِهِ تَذكِرَه فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً**﴾(٥) وغير ذلك من الآيات الكثيرة التي يسند الله فيها المشيئة والأعمال للعباد فأثبت لهم مشيئة وقدرة على أفعالهم ولكنها مشيئة وقدره تابعة لمشيئة الله فهي غير مستقلة فأعمال العباد تسند إلى العبد فعلاً واختياراً وتسند إلى الله خلقاً وإيجاداً ، فهي من فعل العبد بمشيئته وقدرته ولكنَّ الله هو الذي خلق المشيئة والقدرة وهي السبب في فعل العبد وخالق السبب التام خالقٌ للمسبب ، فالله ﷻ خلق العباد وأعمالهم وما يعملون.

---

(١) سورة التكوير ، آية : (٢٨ ، ٢٩).

(٢) ((الدرة البهية شرح القصيدة التائية في حل المشكلة القدرية)) : ص (٢١).

(٣) سورة الكهف ، آية : (٢٩).

(٤) سورة المدثر ، آية : (٣٧).

(٥) سورة المزمل ، آية : (١٩).

الفصل الثالث
مسائل متنوعة متعلقة بالقدر

وفيه أربعة مباحث :

المبحث الأول :
تنزيه الله عن الظلم

المبحث الثاني :
الهدى والضلال بيد الله تعالى وحده

المبحث الثالث :
إثبات الأسباب

المبحث الرابع :
بطلان الاحتجاج بالقدر على المعاصي

المبحث الأول

تنزيه الله عن الظلم

المبحث الأول
تنزيه الله عن الظلم

جميع أعمال الله ﷻ دائرة بين الفضل والعدل وليس فيها ظلم إطلاقاً ، فإن أعطى وأنعم فبفضله ، وإن منع وعذب فبعدله. والظلم هو وضع الشيء في غير موضعه ، ينزَّه الله عنه ، والعدل هو وضع الشيء في موضعه ومن تمام عدله ﷻ أن أتقن صنعَه ، وشرعَه ، وجزاءَه ﴿صُنعَ اللهِ الذِي أَتقَنَ كُلَّ شَيءٍ﴾ فهو العدل الكامل في عدله.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((اتفق المسلمون[١] وغيرهم على أن الله منزه عن الظلم))[٢].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- : ((وعدل القول في القدر أن تعلم أن الله عدلٌ لا يجور كيف خلق ، وكيف قدَّر ، وكيف أعطى وكيف منع))[٣].

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي -رحمه الله- : ((وكل شيءٍ يجري بمشيئة الله تعالى.. يفعل ما يشاء وهو غير ظالمٍ أبداً))[٤].

---

(١) هذا الاتفاق من حيث الجملة.. وبدون تفسير ، يقول شيخ الإسلام : ((هذا متفق عليه بين المسلمين من حيث الجملة... ولكن النزاع في تفسير ذلك)) ((منهاج السنة)) : (٢/٢٩٤).

- فقالت المعتزلة : الظلم من الله نظير الظلم من المخلوقين.. فشبهوا الله تعالى بخلقه ، وأفعاله بأفعال المخلوقين ((شرح الأصول الخمسة)) : ص (٣٤٥) ؛ ((مجموع الفتاوى)) : (٨/٥٠٥) ((منهاج السنة)) : (٢/٢٩٤).

- وقالت الأشاعرة : لو عذب الله أولياءه وكرَّم أعداءه لم يكن ظالماً وكان ذلك منه حسناً لأنه لا يُسألُ عمَّا يفعل ، وقدرته متعلقة بكل ممكن فيفعل ما يشاء ولأنه تصرف في ملكه ، ولا ملك إلا ملكه فيكون الظلم ممتنعاً عليه. ((شرح جوهرة التوحيد)) : (٢٢٨) ؛ ((مجموع الفتاوى)) : (٨/٥٠٦) ؛ ((درء تعارض العقل والنقل)) : (٨/٢٢).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) : (٨/٥٠٥).

(٣) ((الاختلاف في اللفظ)) : ص (٣٥).

(٤) ((الطحاوية)) : ص (٢٧) فقرة (٨٨).

وقال أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((وأجمعوا على أنه عادلٌ في جميع أفعاله وأحكامه ساءنا ذلك أم سرنا ، نفعنا أو ضرنا))[١].

وقال الإمام ابن حزم -رحمه الله- : ((وكل أفعاله تعالى عدلٌ وحكمةٌ لأن الله تعالى واضع كل موجود في موضعه وهو الحاكم الذي لا حاكم عليه ولا معقب لحكمه))[٢].

ذكر مستند الإجماع على أن الله منزه عن الظلم :

دلت النصوص الكثيرة من الكتاب والسنة على تنزيه الله عن الظلم كما حكى ذلك عن نفسه ﷻ قائلاً : ﴿إِنَّ اللهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً﴾[٣] فنفى عن نفسه الظلم جهةً وقدراً ، نفياً عاماً فهو لا يظلم أحداً كما قال تعالى : ﴿وَلاَ يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً﴾[٤] وقال تعالى : ﴿وَمَا أَنَا بِظَلاَّمٍ لِلعَبِيدِ﴾[٥] وهو لا يظلم ولو قدر مثقال الذرة كما قال تعالى : ﴿إِن اللهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾[٦] ﴿وَلاَ يُظْلَمُونَ نَقِيراً﴾[٧] ﴿وَلاَ تُظْلَمُونَ فَتِيلاً﴾[٨].

وقد أخبر جل وعلا أنه لا يريد ظلماً للعالمين ، قال تعالى : ﴿وَمَا اللهُ يُرِيدُ ظُلْماً لِلعَالَمِينَ﴾[٩].

---

(١) ((رسالة إلى أهل الثغر)) : ص (٢٤٥).

(٢) ((المحلى)) : (٣٨/١).

(٣) سورة يونس ، آية : (٤٤).

(٤) سورة الكهف ، آية : (٤٩).

(٥) سورة ق ، آية : (٢٩).

(٦) سورة النساء ، آية : (٤٠).

(٧) سورة النساء ، آية : (١٢٤).

(٨) سورة النساء ، آية : (٧٧).

(٩) سورة آل عمران ، آية : (١٠٨).

بل أعظم من هذا أنه حرَّم الظلم على نفسه كما في الصحيح من حديث أبي ذرٍ رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى أنه قال : ((يا عبادي إنِّي حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا...))[1] الحديث.

وعندما جاء ابن الديلمي إلى أبي بن كعب فقال له : ((وقع في نفسي شيءٌ من القدر فحدثني بشيءٍ لعل الله تعالى أن يذهبه من قلبي. فقال : لو أن الله تعالى عذَّب أهل سمواته وأهل أرضه عذبهم وهو غير ظالمٍ لهم ، ولو رحمهم كانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم ، ولو أنفقت مثل أحدٍ ذهباً في سبيل الله تعالى ما قبله الله تعالى منك حتى تؤمن بالقدر ، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك ، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك ولو مت على غير هذا لدخلت النار. قال : ثم أتيت عبدالله بن مسعود فقال مثل ذلك. قال : ثم أتيت حذيفة بن اليمان فقال مثل ذلك. قال : ثم أتيت زيد بن ثابت فحدثني عن النبي ﷺ مثل ذلك))[2].

---

(١) ((صحيح مسلم)) ، كتاب البر والصلة والآداب ، باب تحريم الظلم : ح(٢٥٧٧) (١٩٩٤/٤).

(٢) أخرجه ((أبو داود)) ، كتاب السنة ، باب في القدر : ح(٤٦٩٩) (٧٥/٥) ؛ وصححه الألباني : ((ظلال الجنة في تخريج السنة)) : ح(٢٤٥) (١٠٩/١).

المبحث الثاني

الهدى والضلال بيد الله تعالى وحده

المبحث الثاني

الهدى والضلال بيد الله تعالى وحده

يرى أهل السنة والجماعة أنَّ الهداية والضلالة على نوعين اثنين وذلك باعتبار النصوص الواردة فيها ، فهداية وضلالة بيد ا لله لا يملكها إلا ا لله ﷻ .. من يهد ا لله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له.. وهي التي نُقِل الإجماعُ فيها ، وهداية وضلالة في الدلالة والتوجيه فهذه بيد المخلوق.. يوجه غيره ويدله إلى ما يراه ويعتقده.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه ا لله- : ((أهل السنة متفقون على أن غير ا لله لا يقدر على جعل الهُدى أو الضلال في قلب أحد))[١].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه ا لله- : ((وأجمعوا... على أنه تعالى يُضل من يشاء ، ويهدي من يشاء))[٢].

وقال الإمام اللالكائي -رحمه ا لله- : ((بعد ذكره لخطبة عمر بن الخطاب رضي ا لله عنه في دمشق وقوله فيها- : من يضلل ا لله فلا هادي له ، ومن يهدي فلا مضل له، فقال جاثليق النصارى : إن ا لله لا يضل أحداً. فأنكر الصحابة ذلك عليه، فقال عمر لأصحاب رسول ا لله ﷺ ما يقول ؟ قالوا : يا أمير المؤمنين يزعم أن ا لله لا يضل أحداً. فقال عمر : كذبت بل ا لله خلقك وا لله أضلك ثم يميتك فيدخلك النار إن شاء

(١) ((درء تعارض العقل والنقل)) : (٨/٣٧٩).

(٢) ((رسالة إلى أهل الثغر)) : ص (٢٤٠).

ا لله.. فتفرق الناس وما يختلف في القدر اثنان -قال الإمام اللالكائي- : ((فإن كان في الدنيا إجماعٌ بانتشار من غير إنكار فهو في هذه المسألة))[١].

وقال الإمام أبو جعفر الطحاوي -رحمه ا لله- : ((يهدي من يشاء ويعصم ويعافي فضلاً ، ويضل من يشاء ، ويخذل ويبتلي عدلاً))[٢].

وانظر أيضاً الإبانة عن أصول الديانة[٣] ؛ والشريعة للآجري[٤] ؛ واعتقاد أئمة الحديث للإسماعيلي[٥] ؛ وشرح مذاهب أهل السنة لابن شاهين[٦] ؛ والقيروانية لابن أبي زيد القيرواني[٧] ؛ وعقيدة السلف للصابوني[٨].

ذكر مستند الإجماع على أن الهداية والضلالة بيد ا لله :

هداية الشخص أو إضلاله بيد ا لله لا يقدر عليها غيرُه. وإنما الدعاة إلى الخير أو الشر بيدهم الطريق والبيان إلى الهداية أو الضلالة ، ولهذا يقول تعالى : ﴿**مَن يَشَأِ ا للهُ يُضلِلهُ وَمَن يَشَأ يَجعَلهُ عَلَى صِرَاطٍ مُستَقِيم**﴾[٩] ، ويقول تعالى : ﴿**يُضِلُّ ا للهُ مَن يَشَاءُ وَيَهدِي مَن يَشَاء**﴾[١٠] ويقول مخاطباً نبيه وصفوته من خلقه : ﴿**إِنَّكَ لاَ تَهدِي مَن أَحبَبتَ وَلَكِنَّ ا للهَ يَهدِي مَن يَشَاء**﴾[١١] و ﴿**لَيسَ عَلَيكَ هُدَاهُم وَلَكِنَّ ا للهَ يَهدِي مَن يَشَاءُ**﴾[١٢] وهداية الطريق وبيانه قد بينها النبي ﷺ كما في قوله تعالى :

---

(١) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي : (٣/٧٢٥).
(٢) ((الطحاوية)) : ص (٥).
(٣) ص (١٦١)
(٤) (٢/٧٠٨).
(٥) ص (٦٠).
(٦) ص (٣١٩).
(٧) ((شرح القيروانية)) : ص (٣٥).
(٨) ص (٢٨٠ ، ٢٩٥).
(٩) سورة الأنعام ، آية : (٣٩).
(١٠) سورة المدثر ، آية : (٣١).
(١١) سورة القصص ، آية : (٥٦).
(١٢) سورة البقرة ، آية : (٢٧٢).

﴿وَإِنَّكَ لَتَهدِي إِلَى صِرَاطٍ مُستَقِيم﴾[١] فلم تكن هي المنفيّة عنه وإنما هداية الشخص إلى الإيمان وتوفيقه إلى الخير ، هذه بيد الله لا يملكها ملَكٌ مُقرَّب ولا نبيٌّ مُرسل ﴿وَلَو شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الأَرضِ كُلُّهُم جَمِيعاً﴾[٢].

(١) سورة الشورى ، آية : (٥٢).

(٢) سورة يونس ، آية : (٩٩).

المبحث الثالث

إثبات الأسباب

المبحث الثالث

إثبات الأسباب

يؤمن أهل السنة والجماعة بتأثير الأسباب بمسبباتها ، ولكنه تأثير بقدرة الله ﷻ.. فلو شاء لسلب هذا التأثير.. فلا ينكرون الأسباب وتأثيرها ، ولا يعتمدون عليها ويرون استقلال تأثيرها دون الله ، ولا يعرضون عنها لعلمهم أن لكل شيءٍ سبباً[١].

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((فالسلف والأئمة متفقون على إثبات الأسباب والحِكَم خلقاً وأمراً))[٢].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

إثبات الأسباب وتأثيرها على مسبباتها لا يجهله حتى عوام الناس ، فضلاً عن علمائهم فكل ذي عقلٍ يعلم بأثر الأسباب على مسبباتها وأن النار تحرق والسيف يقتل.. وأن دار النعيم في الآخرة بسبب الأعمال الصالحة ، ودار الجحيم بسبب الذنوب والمعاصي.. فجعل الله لكل شيءٍ سبباً.. لهذا البيان والوضوح في هذه المسألة ولضرورة العلم فيها لم أقف على من نقل الإجماع من السلف المتقدمين قبل شيخ الإسلام ابن تيمية.

ذكر مستند الإجماع على إثبات الأسباب :

جعل الله تبارك وتعالى لكل شيءٍ سبباً ، وهو الذي خلق الأسباب والمسببات يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((ليس في الدنيا والآخرة شيءٌ إلا بسبب))[٣] ،

---

(١) خالف في ذلك الأشاعرة وقالوا لا تؤثر الأسباب في مسبباتها بطبعها أو بقوةٍ فيها ، ومن قال بذلك فقد كفر.. ومن قال إن الأسباب تؤثر بمسبباتها بقوة خلقها الله فيها ففي كفره قولان !.. وذلك لامتناع اجتماع مؤثرين على شيءٍ واحدٍ، وإنما المؤثر الله وبين السبب والمسبب يكون تلازماً عادياً، فانكسرت الزجاجة عند الحجر لا بها. ((شرح جوهرة التوحيد)) : ص (١٩٧).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) : (٤٨٥/٨).

(٣) المصدر نفسه : (٧٠/٨).

ولهذا عندما ذكر الله ﷻ ذا القرنين قال عنه : ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبَاً﴾[١] ، والجنة وهي أعظم نعيمٍ في الكون يدخلها أهلها بسبب أعمالهم قال تعالى : ﴿وَنُودُوا أَن تِلكُمُ الجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُم تَعمَلُونَ﴾[٢] أي بسبب أعمالكم، وقال تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا أَقَلَّت سَحَابَاً ثِقَالاً سُقنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنزَلنَا بِهِ المَاءَ فَأَخرَجنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾[٣] أي أنزلنا بسببه ، وأخرجنا بسببه ، وقال تعالى ﴿يَهدِي بِهِ اللهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضوَانَهُ سُبُلَ السَّلاَمِ﴾[٤] وقال ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيراً وَيَهدِي بِهِ كَثِيراً﴾[٥] والآيات التي تنص على سببية شيءٍ لشيء كثيرة جداً ، فمن أنكر السبب وتأثيره فقد خالف ماجاء به القرآن ، ومن بالغ في إثبات السبب وجعل تأثيره مستقلاً فقد وقع في الشرك ، فمع إيمان أهل السنة بالأسباب وتأثيرها ، فهم يعتقدون أن الأسباب ليست مستقلةً بتأثيرها فهي بقدرة الله ومشيئته ، فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فهو خالق الأسباب والمسببات فالنار تحرق وتهلك بطبعها فهي سبب للإحراق والإهلاك ولو شاء الله لسلبها ذلك كما في نار إبراهيم قال تعالى : ﴿قُلنَا يَا نَارُ كُونِي بَردَاً وَسَلاَمَاً عَلَى إِبرَاهِيمَ﴾[٦] برداً ضد الإحراق ، وسلاماً ضد الإهلاك، ولهذا قال طائفةٌ من العلماء : الالتفات إلى الأسباب شرك في التوحيد ، ومحو الأسباب أن تكون أسباباً نقص في العقل والإعراض عن الأسباب بالكلية قدح في الشرع[٧].

---

(١) سورة الكهف ، آية : (٨٤).

(٢) سورة الأعراف ، آية : (٤٣).

(٣) سورة الأعراف ، آية : (٥٧).

(٤) سورة المائدة ، آية : (١٦).

(٥) سورة البقرة ، آية : (٢٦).

(٦) سورة الأنبياء ، آية : (٦٩).

(٧) ((مجموع الفتاوى)) : (١٦٩/٨).

المبحث الرابع

بطلان الاحتجاج بالقدر على المعاصي

المبحث الرابع

بطلان الاحتجاج بالقدر على المعاصي

يعتقد أهل السنة والجماعة بأن العبد له قدرة وإرادة على أفعاله.. فأفعاله وأقواله صادرة عن قدرة وإرادة.. ولهذا يحاسَبُ ويُجازَى عليها ولا يصح الاحتجاج بالقدر عليها بخلاف الأفعال التي يكون مكرها عليها وبغير اختياره ﴿**إلاَّ مَن أُكرِهَ وَقَلبُهُ مُطمَئِنٌ بِالإيمَان**﴾ نعم قد يحتج العبد بالقدر على المصائب التي تصيبه فهي بقدر ا لله ولا حيلة له فيها ، وأما على المعائب والذنوب التي يرتكبها فلا حجةَ له ، وليس له إلا التوبة النصوح التي تجب ما قبلها[١].

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه ا لله- : ((فإن الاحتجاج بالقدر باطلٌ باتفاق أهل الملل وذوي العقول))[٢].

---

(١) احتج بالقدر طائفتان من القدرية :

- القدرية المشركة :

الذين جعلوا القضاء والقدر موافقاً للأمر والنهي.. فحقيقتهم إنكار الأمر والنهي ومآل أمرهم إلى تعطيل الشرائع.. و لم يميزوا بين إيمان وكفر ، ولا عرفان ولا نكر ، ولا حق ولا باطل ، ولا ولي لله ولا عدو.. ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أَشرَكُوا لَو شَاءَ ا للهُ مَا أَشرَكنَا وَلا آبَاؤنَا وَلاَ حَرَّمنَا مِن شَيءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم حَتَّى ذَاقُوا بَأسَنَا**﴾ [الأنعام :١٤٨] ، قال شيخ الإسلام : ((وهؤلاء ليسوا طائفة معدودة من طوائف أهل المقالات ، وإنما يقوله كثيرٌ من جهال الناس ، ويبتلى به -كثيراً- طوائف من الصوفية ، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى)) ((مجموع الفتاوى)) : (١٠٣/٨ ، ٢٥٦ ، ٢٨٩ ، ٤٤٥).

- القدرية الإبليسية :

نسبة إلى إبليس فهو أول من عارض الأمر والنهي بالقضاء والقدر.. وهم خصماء ا لله وأعداؤه ، أقروا بالقضاء والقدر والأمر والنهي ولكن جعلوه متناقضاً وطعنوا في عدل ا لله وحكمته ، وقالوا في الأمر والقدر ، جهل وظلم. يقول شيخ الإسلام : ((وهو كثيرٌ في أهل الأقوال والأفعال من سفهاء الشعراء ونحوهم من الزنادقة)) ((مجموع الفتاوى)) : (٨/ ٢٦٠ ، ٤٤٦).

(٢) ((منهاج السنة)) : (٢٣/٣).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله- : ((ويقولون [أي أهل السنة] إن الله يهدي من يشاء ويضل من يشاء ، لا حجة لمن أضله الله ﷻ ، ولا عذر))(١).

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني -رحمه الله- : ((..ويشهدون [أي أهل السنة] أن الله تعالى يهدي من يشاء لدينه ، ويُضل من يشاء عنه ، لا حجة لمن أضله الله عليه، ولا عذر له لديه))(٢).

وقال الإمام ابن حزم -رحمه الله- : ((ولا عذر لأحدٍ بما قدره الله ﷻ من ذلك، لا في الدنيا ولا في الآخرة))(٣).

وانظر أيضاً الاختلاف في اللفظ لابن قتيبة(٤) ؛ والدرة فيما يجب اعتقاده لابن حزم(٥) ؛ والتمهيد لابن عبدالبر(٦).

ذكر مستند الإجماع على بطلان الاحتجاج بالقدر :

بطلان الاحتجاج بالقدر على الذنوب والمعاصي ظاهر من وجوه عديدة عند سائر العقلاء ومن أظهر هذه الوجوه أن القدر لو كان حجةً لصاحبه لرُفِعَ الملام عن كل مجرم وتُركت العقوبات والحدود عن الجناة والمجرمين ؛ وذلك لاحتجاجهم بالقدر وعدم خروجهم عنه ، فكل ما فعلوه من قتلٍ وزنىً وسرقة وإفسادٍ للناس فهو تحت قدر الله.

فهل يمكن رفع الملام جميعه ... عن الناس طراً عند كل قبيحةِ
وترك عقوبات الذين قد اعتدوا ... وترك الورى الإنصاف بين الرعيةِ

(١) ((اعتقاد أئمة الحديث)) : ص (٦٠).
(٢) ((عقيدة السلف وأصحاب الحديث)) : ص (٢٨٠).
(٣) ((المحلى)) : (١/٣٨).
(٤) ص (٣٥).
(٥) ص (٣٠٩).
(٦) ((فتح البر)) : (٢/٢٨٥).

فلا تضمنن نفس ومال بمثله ... ولا يعقبن عاد بمثل الجريمةِ

وهل في عقول الناس أو في طباعهم ... قبولٌ لقول النذل ما وجه حيلتي[(١)]

ومن الوجوه الظاهرة أيضاً في بطلان الاحتجاج بالقدر أن نفس المحتج بالقدر لو اعتُدِي عليه ، ثم احتج المعتدي بالقدر لما قَبِل احتجاجه.. لماذا ؟ ما الفرق ؟ فبهذين الوجهين وغيرهما يتبين بطلان الاحتجاج بالقدر.

ومن الأدلة النقلية التي تدل على ذلك قوله تعالى : ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَو شَاءَ اللهُ مَا عَبَدنَا مِن دُونِهِ مِن شَيءٍ نَحنُ وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمنَا مِن دُونِهِ مِن شَيءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم فَهَل عَلَى الرُّسُلِ إِلاَّ البَلاَغُ المُبِينُ**﴾[(٢)] فبين الله ﷻ أن الاحتجاج بالقدر حجة المشركين مقتدين بمن هم على شاكلتهم من قبلهم. وقال تعالى : ﴿**سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشرَكُوا لَو شَاءَ اللهُ مَا أَشرَكنَا وَلاَ آبَاؤُنَا وَلاَ حَرَّمنَا مِن شَيءٍ**﴾[(٣)] ثم حكم الله على هذا الاحتجاج بالكذب مبيناً أنه احتجاج أشباههم وأمثالهم من المشركين السابقين قال تعالى : ﴿**كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبلِهِم حَتَّى ذَاقُوا بَأسَنَا قُل هَل عِندَكُم مِن عِلمٍ فَتُخرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلا الظَّنَّ وَإِن أَنتُم إِلاَّ تَخرُصُونَ**﴾[(٤)].

ومن الأدلة على ذلك بعثة الرسل قال تعالى : ﴿**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبعَثَ رَسُولاً**﴾[(٥)] فالعذاب لا يحصل إلا بعد بعثة الرسل فإذا بعث الله رسله لم تكن حجة

---

(١) جزء من قصيدة طويلة لشيخ الإسلام ابن تيمية يرد فيها على السائل الذي يسأل ويعرض شبهةً في القدر ، وكان مطلع سؤاله :

أيا علماء الدين ذمي دينكم ... تحير دلوه بأوضح حجة

إذا ما قضى ربي بكفري بزعمكم ... ولم يرضه مني فما وجه حيلتي

((مجموع الفتاوى)) : (٨/٢٤٥).

(٢) سورة النحل ، آية : (٣٥).

(٣) سورة الأنعام ، آية : (١٤٨).

(٤) سورة الأنعام ، آية : (١٤٨).

(٥) سورة الإسراء ، آية : (١٥).

لأحدٍ بعد ذلك ولهذا يخبر الله ﷻ أنه لو أهلك الناس بعذاب قبل بعثة رسله لهم لاحتجوا عليه بأن لم يبعث رسولاً قال تعالى : ﴿**وَلَو أَنَّا أَهلَكنَاهُم بِعَذَابٍ مِن قَبلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَولاَ أَرسَلتَ إِلَينَا رَسُولاً فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِن قَبلِ أَن نَذِلَّ وَنَخزَى**﴾(١) وهذا يدل على سقوط الحجج كلها ببعثة الرسل ويؤكد الله ﷻ هذه القضية بقوله : ﴿**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعدَ الرُّسُلِ**﴾(٢) ، فبعث الله رسله لتقوم الحجة على العباد ولا تبقى لهم حجة بعد ذلك في عدم إيمانهم ، فمن احتج بالقدر فقد كذب الله ﷻ بإسقاط الحجة بعد بعثة الرسل.

---

(١) سورة طه ، آية : (١٣٤).

(٢) سورة النساء ، آية : (١٦٥).

الباب الثالث

اليوم الآخر

وفيه خمسة فصول :

الفصل الأول :
البعث والنشور

الفصل الثاني :
القبر وأحواله

الفصل الثالث :
الشفاعة

الفصل الرابع :
مسائل متنوعة متعلقة باليوم الآخر

الفصل الخامس :
أبدية الجنة والنار

اليــوم الآخــر

تمهيد :

اليوم الآخر هو الذي لا يوم بعده فهو آخر الأيام ، وبه تنقطع مرحلة الدنيا ويدخل الإنسان مرحلةً أخرى ، وهي آخر المراحل له.. ولقد مرت عليه المرحلة الأولى فلم يكن شيئاً مذكورا ﴿**هَل أَتَى عَلَى الإِنسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهرِ لَم يَكُن شَيئاً مَذكُوراً**﴾[١] ثم انتقل إلى مرحلة أخرى ﴿**يَخلُقُكُم فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم خَلقاً مِن بَعدِ خَلقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاَث**﴾[٢] وهي مرحلة الحمل.

ثم جاءت مرحلة الاختبار والابتلاء والعبادة ﴿**وَمَا خَلَقتُ الجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعبُدُون**﴾[٣] ، وهي مرحلة الكد والكبد في طلب العلم والرزق والعبادة.. ﴿**وَاللهُ أَخرَجَكُم مِن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُم لاَ تَعلَمُونَ شَيئاً**﴾[٤].

ثم توسطت مرحلة بين الدنيا والآخرة وهي مرحلة الحياة البرزخية ﴿**وَمِن وَرَائِهِم بَرزَخٌ إِلَى يومِ يُبعَثُون**﴾[٥].

ثم آخر المراحل وبها يحط الإنسان رحله ، ويبعث بعد موته ﴿**ثُمَّ إِنَّكُم يَومَ القِيَامَةِ تُبعَثُون**﴾[٦] مرحلة الآخرة ، فمن زحزح عن النار فيها وأدخل الجنة فقد فاز.. ومن أجل هذه المرحلة ، ولمثل ما فيها من الفوز والنعيم فليعمل العاملون.

---

(١) سورة الإنسان ، آية : (١).

(٢) سورة الزمر ، آية : (٦).

(٣) سورة الذاريات ، آية :(٥٦).

(٤) سورة النحل ، آية : (٧٨).

(٥) سورة المؤمنون ، آية : (١٠٠).

(٦) سورة المؤمنون ، آية : (١٦).

الفصل الأول

البعث والنشور

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :
وجوب الإيمان بمعاد الأبدان

المبحث الثاني :
وجوب الإيمان باليوم الآخر

المبحث الثالث :
كفر من ينكر إعادة الخلق

المبحث الأول

وجوب الإيمان بمعاد الأبدان

المبحث الأول
وجوب الإيمان بمعاد الأبدان

أخبر الله ﷻ في محكم كتابه بإعادة الخلق والإحياء بعد الإماتة ﴿**قُلِ اللهُ يُحيِيكُم ثُمَّ يُمِيتُكُم ثُمَّ يَجمَعُكُم إِلَى يَومِ القِيَامَةِ لاَ رَيبَ فِيه**﴾[١] والإحياء أي رد الأرواح إلى الأجساد والبعث من القبور فجميع المسلمين يؤمنون بذلك[٢].

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((ومعاد الأبدان متفقٌ عليه عند المسلمين واليهود والنصارى))[٣].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

إعادة الأبدان وبعثها بعد الموت من القضايا المعروفة والمسلمة عند المسلمين.. وقد نصَّ عليها كثير من أهل العلم.

فقال الحافظان الرازيان -رحمهما الله- : ((أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً - فكان من مذهبهم.. والبعث من بعد الموت حق))[٤].

وقال أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((وأجمعوا على... أن الأجساد التي أطاعت وعصت هي التي تبعث يوم القيامة))[٥].

---

(١) سورة الجاثية ، آية : (٢٦).

(٢) ذكر ابن حزم في الفصل : أن أبا العاص حكم بن المنذر القاضي أخبره عن إسماعيل بن عبدالله الرعيني أنه كان ينكر بعث الأجساد ويقول إن النفس حال فراقها الجسد تصير إلى معادها في الجنة أو النار. وقد ردَّ عليه ابن حزم -رحمه الله- مبيناً أن العظام بنص القرآن هي التي تحيا ثم قال -رحمه الله- : ((فصح بنص القرآن أن العظام هي التي تحيا يوم القيامة ، ومن أنكر ما جاء به القرآن فلا حظَّ له في الإسلام ونعوذ بالله من الخذلان)) ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) : (٤/٨٠،٨١).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) : (٤/٢٨٤).

(٤) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : (١/١٩٩).

(٥) ((رسالة إلى أهل الثغر)) : ص (٢٨٢).

وقال ابن حزمٍ -رحمه الله- : ((واتفقوا أن البعث حق وأن الناس كلهم يبعثون))[١].

وانظر أيضاً ما نقل وروي عن سفيان بن عيينة[٢] في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة[٣]، وعن أبي جعفر الطحاوي في العقيدة الطحاوية [٤] ، والبربهاري في شرح السنة[٥]، وأبي الحسن الأشعري في الإبانة من أصول الديانة[٦]، وابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة[٧] ، وابن أبي زيد القيرواني في القيروانية[٨]، وابن حزم في المحلى[٩].

ذكر مستند الإجماع على وجوب الإيمان بمعاد الأبدان :

قال تعالى : ﴿**وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَاماً وَرُفَاتاً أَئِنَّا لَمَبعُوثُونَ خَلقاً جَدِيداً ۞ قُل كُونُوا حِجَارَةً أَو حَدِيداً أَو خَلقاً مِمَّا يَكبُرُ فِي صُدُورِكُم فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُم أَوَّلَ مَرَّةٍ**﴾[١٠].

أنكر مشركو قريش البعث بعد الموت وإعادة الأبدان بشبهة أن العظام والرفات كيف تعود إلى خلقتها الأولى ، فأمر الله نبينا محمداً ﷺ أن يقول لهم كونوا حجارةً أو حديداً ، وهي أعظم من العظام والرفات التي ينكرون إعادتها ، فضرب الله لهم مثلاً

(١) ((مراتب الإجماع)) : ص (٢٧٢).

(٢) أبو محمد سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي الكوفي ، الإمام الكبير حافظ العصر المحدِّث ، ولد بالكوفة سنة سبع ومائة ، وتوفي سنة ثمان وتسعين ومائة. ((السير)) : (٨/٤٥٤).

(٣) (١/١٧٥).

(٤) ص : (١١).

(٥) ص : (٨٥).

(٦) ص : (٢٤).

(٧) ص : (٣١٩).

(٨) ((شرح القيروانية)) : ص (٤٢).

(٩) (١/١٤).

(١٠) سورة الإسراء ، آيتي : (٤٩ ، ٥٠).

بما هو أشد مما ينكرونه ، بل قال لهم ﷺ كونوا أيَّ خلقٍ مما يكبر في صدوركم فإني سأعيدكم وأحيي أجسادكم.

قال ابن جرير الطبري -رحمه الله- في تأويل هذه الآية : ((يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ : قل يا محمد للمكذبين بالبعث بعد الممات من قومك.. كونوا إن عجبتم من إنشاء الله إياكم ، وأعادته أجسامكم ، خلقاً جديداً ، أو خلقاً مما يكبر في صدوركم إن قدرتم على ذلك ، فإني أحييكم وأبعثكم خلقاً جديداً بعد مصيركم كذلك كما بدأتكم أول مرة))[1].

وقال تعالى : ﴿**أَئِذَا مِتنَا وَكُنَّا تُرَابَاً وَعِظَامَاً أَئِنَّا لَمَبعُوثُونَ ۞ أَوَ ءابَاؤُنَا الأَوَّلُونَ ۞ قُل نَعَم وَأَنتُم دَاخِرُونَ**﴾[2].

والذي أنشأ الخلق أول مرة قادرٌ على إعادته.. ﴿**قَالَ مَن يُحيِي العِظَامَ وَهِيَ رَمِيم ۞ قُل يُحيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلقٍ عَلِيم**﴾[3] بل إن إعادة الخلق أهون عليه من إنشائه أول مرة ، كما قال تعالى : ﴿**هُوَ الَّذِي يَبدَؤُ الخَلقَ ثُمَّ يُعِيدُه وَهُوَ أَهوَنُ عَلَيه**﴾[4].

وفي الصحيح من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : إن رسول ﷺ قال : قال الله تعالى : ((كذبني ابن آدم و لم يكن له ذلك ، وشتمني و لم يكن له ذلك ، فأما تكذيبه إياي فقوله : لن يعيدني كما بدأني ، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولداً ، وأنا الأحد الصمد لم ألِد و لم أولَد و لم يكن لي كفواً أحد))[5].

---

(١) ((تفسير الطبري)) : (٨٩/٨).

(٢) سورة الصافات ، الآيات : (١٦ ، ١٧ ، ١٨).

(٣) سورة يس ، آيتي : (٧٨ ، ٧٩).

(٤) سورة الروم ، آية : (٢٧).

(٥) ((صحيح البخاري)) كتاب التفسير باب قوله ﴿الله الصَّمَد﴾ ، ح(٤٩٧٤) : (٣٣٤/٣).

المبحث الثاني

وجوب الإيمان باليوم الآخر

المبحث الثاني
وجوب الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر ركنٌ من أركان الإيمان الستة ، وقد اتفق على الإيمان به جميع المسلمين سنيهم وبدعيهم.. ولم ينكره إلا شواذ الناس ممن تغيرت فطرتهم، فاجتالتهم الشياطين عن طريق الهداية.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((المسلمون سنيهم وبدعيهم متفقون على وجوب الإيمان بالله... واليوم الآخر))(١).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

الإيمان بيوم القيامة لم ينكره مسلم قط سنياً كان أو بدعياً... ولهذا نص علىوجوب الإيمان به سائر من صنف في اعتقاد أهل السنة.. سواء كان نصاً على البعث كما تقدم في بعث الأبدان(٢) ، أو نصاً على أحداثِ يومِ القيامة مثل الحساب والميزان والصراط والجنة والنار وغير ذلك من أهوال يوم القيامة وأحداثها ، فإن الإيمان بها يتضمن الإيمان باليوم الآخر.

قال الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني -رحمه الله- : ((يؤمن أهل الدين والسنة بالبعث بعد الموت يوم القيامة))(٣).

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٧/٣٥٧).

(٢) وذلك أن من آمن ببعث الأبدان فقطعا هو مؤمن بيوم القيامة كما قال تعالى ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُبْعَثُونَ﴾ [سورة المؤمنون ، آيتي : (١٥ ، ١٦)] .. لكن قد يؤمن بيوم القيامة من لم يؤمن ببعث الأبدان كما حكى ذلك ابن حزم عن إسماعيل الرعيني ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) : (٤/٨٠).

(٣) ((عقيدة السلف وأصحاب الحديث)) : ص (٢٥٧).

وقال الإمام ابن حزم –رحمه الله– : ((اتفق جميع أهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث في القيامة))(١).

وانظر أيضاً السنة لابن أبي عاصم(٢) (٣) ؛ والإيمان لابن مندة(٤) ؛ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي(٥) ؛ والاعتقاد والهداية للبيهقي(٦).

ذكر مستند الإجماع على وجوب الإيمان باليوم الآخر :

قال تعالى : ﴿اللهُ لاَ إِلَه إِلاَّ هُوَ لَيَجمَعَنَّكُم إِلَى يَومِ القِيَامَةِ لاَ رَيبَ فِيه﴾(٧).

وقال تعالى : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللهَ هُوَ الحَقُّ وَأَنَّهُ يُحيِي المَوتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيءٍ قَدِير ۞ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَ رَيبَ فِيهَا وَأَنَّ اللهَ يَبعَثُ مَن فِي القُبُور﴾(٨) فالإيمان باليوم الآخر لا ريب فيه ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَومٍ لاَ رَيبَ فِيه﴾(٩) والإيمان به ركن من أركان وفرائض الإيمان ، ففي الصحيح من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال في الإيمان : ((أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره))(١٠).

(١) ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) : (٤/٧٩).

(٢) أبو بكر أحمد بن عمرو بن أبي العاص الضحاك بن مخلد الشيباني الحافظ الكبير الإمام ، قال الذهبي : ((إمام بارعٌ متبع للآثار، كثير التصانيف)) ولد في شوال سنة ست ومائتين ، وتوفي سنة سبع وثمانين ومائتين. ((السير)) : (١٣/٤٣٠).

(٣) (٢/٤١٦).

(٤) (١/١٣٣).

(٥) (٥/١٢٣٠).

(٦) ص (١٣٥).

(٧) سورة النساء ، آية : (٨٧).

(٨) سورة الحج ، آيتي : (٦ ، ٧).

(٩) سورة آل عمران ، آية : (٩).

(١٠) حديث جبريل المشهور ، ((صحيح مسلم)) ، كتاب الإيمان ، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان : ح(٨) (١/٣٦).

المبحث الثالث

كفر من أنكر إعادة الخلق

المبحث الثالث
كفر من أنكر إعادة الخلق

لما كان الإيمان باليوم الآخر ركناً من أركان الإيمان الستة.. لا يقوم الإيمان ولا يصح إلا بالإيمان بها.. كان من أنكر ذلك فهو من الكافرين بإجماع أهل العلم والدين.

نص كلام شيخ الإسلام -رحمه الله- :

قال -رحمه الله- في معرض حديثه عن الرجل الذي أمر بنيه أن يحرقوه إذا مات حتى لا يبعثه الله : « ..فهذا رجلٌ شك في قدرة الله ، وفي إعادته إذا ذُرِي ، بل اعتقد أنه لا يعاد ، وهذا كفرٌ باتفاق المسلمين»(١).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله- : «ونحن الآن ذاكرون شرح السنة... مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة مذ بعث الله نبيه ﷺ إلى وقتنا هذا... [فذكر جملة من المعتقد ثم قال] ثم من بعد ذلك الإيمان بالصيحة للنشور بصوت إسرافيل للقيام من القبور ، من أنكر ذلك كان به كافراً»(٢).

وقال ابن حزم -رحمه الله- : «اتفق جميع أهل القبلة على تنابذ فرقهم على القول بالبعث في القيامة ، وعلى تكفير من أنكر ذلك»(٣).

---

(١) «مجموع الفتاوى» : (٣/٢٣١).

(٢) «الشرح والإبانة» : ص (٢٠٠).

(٣) «الفصل في الملل والأهواء والنحل» : (٤/٧٩).

ذكر مستند الإجماع على كفر من أنكر إعادة الخلق :

قال تعالى : ﴿**زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَن يُبعَثُوا قُل بَلَى وَرَبِّي لَتُبعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلتُم وَذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِير**﴾[١].

وقال تعالى : ﴿**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَأتِينَا السَّاعَةُ قُل بَلَى وَرَبِّي لَتَأتِيَنَّكُم**﴾[٢].

وقال تعالى : ﴿**وَأَقسَمُوا بِاللهِ جَهدَ أَيمَانِهِم لاَ يَبعَثُ اللهُ مَن يَمُوتُ بَلَى وَعداً عَلَيهِ حَقّاً وَلَكِنَّ أَكثَرَ النَّاسِ لاَ يَعلَمُون**﴾[٣].

يخبر الله ﷻ في هذه الآيات وغيرها على تحقق يوم القيامة ووقوعه.. فمن أنكر ذلك اليوم وإعادة الخلق فقد كذب القرآن ، ومن كذب القرآن فهو من الكافرين.

---

(١) سورة التغابن ، آية : (٧).

(٢) سورة سبأ ، آية : (٣).

(٣) سورة النحل ، آية : (٣٨).

الفصل الثاني

القبر وأحواله

وفيه مبحثان :

المبحث الأول :
فـتـنـة الـقـبـر

المبحث الثاني :
عذاب القبر ونعيمه

المبحث الأول

فتنة القبر

المبحث الأول
فتنة القبر

يؤمن أهل السنة والجماعة بسؤال الملكين للميت في قبره.. وهي فتنة القبر ، يسأل عن ربه ودينه ونبيه فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت.. وأما المنافق فيقول هاه.. هاه.. لا أدري.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((الجنة والنار... وفتنة القبر... فإن هذه الأصول كلها متفقٌ عليها بين أهل السنة والجماعة))[١].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((وأجمعوا على... أن الناس يفتنون في قبورهم))[٢].

وقال الإمام أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله- : ((مذهب أهل الحديث ، أهل السنة والجماعة [ثم ذكر جملةً من مذهبهم إلى أن قال] ويؤمنون بمسألة منكر ونكيرٍ على ما ثبت به الخبر عن رسول الله ﷺ))[٣].

وقال حافظ المغرب العلامة ابن عبدالبر -رحمه الله- : ((فتنة الملكين : منكر ونكير... الآثار في هذا متواترة ، وأهل السنة والجماعة كلهم على الإيمان بذلك ، ولا ينكره إلا أهل البدع))[٤].

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٤٨٦/١١).

(٢) ((رسالة إلى أهل الثغر)) : ص (٢٧٩).

(٣) ((اعتقاد أئمة الحديث)) : ص (٧٠).

(٤) ((فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبدالبر)) : (١٣٠/٢).

وانظر أيضاً ما ذكره إسماعيل المزني في شرح السنة[١] ؛ والطحاوي في عقيدته الموسومة بالطحاوية[٢] ؛ والبربهاري في شرح السنة[٣] ؛ والآجري في الشريعة[٤] ؛ وابن بطة في الشرح والإبانة[٥] ؛ وأبو الحسن الأشعري في الإبانة عن أصول الديانة[٦]؛ وابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة[٧] ؛ وابن أبي زيد في القيروانية[٨] ؛ وابن مندة في الإيمان[٩] ؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة[١٠] ؛ وابن حزم في المحلى[١١] ؛ وقوام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة[١٢].

ذكر مستند الإجماع على فتنة القبر :

قال تعالى : **﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَولِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾**[١٣] هذه الآية نصٌّ في سؤال الملكين في القبر.. وذلك بتفسير النبي ﷺ لها كما في حديث البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال : **﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَولِ الثَّابِتِ﴾** قال : ((نزلت في عذاب القبر. فيقال له : من ربُّك ؟ فيقول : ربي الله ونبيي محمد ﷺ فذلك قوله ﷻ : **﴿يُثَبِّتُ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالقَولِ الثَّابِتِ فِي الحَيَاةِ الدُّنيَا وَفِي الآخِرَةِ﴾**))[١٤].

---

(١) ص (٨٠).
(٢) ص (١٢).
(٣) ص (٧٢ ، ٩٢).
(٤) (١٢٨٨/٣).
(٥) ص (١٩٧ ، ٢٠٠).
(٦) ص (٢٧).
(٧) ص (٣٢٠).
(٨) ص (٦٨).
(٩) (٩٦٢/٢).
(١٠) (١١٩٩/٥).
(١١) (٢١/١).
(١٢) (٥١٣/١) (٢٨١/٢ ، ٤٣٤).
(١٣) سورة إبراهيم ، آية : (٢٧).
(١٤) ((صحيح مسلم)) ، كتاب الجنة ، باب عرض مقعد الميت من الجنة ، ح(٢٨٧١) (٢٢٠١/٤).

وعن أنس بن مالك ﷺ أن رسول الله ﷺ قال : ((إن العبد إذا وضع في قبره وتولّى عنه أصحابه -وإنه ليسمع قرع نعالهم- أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ لمحمد ﷺ. فأما المؤمن فيقول : أشهد أنه عبدا لله ورسوله. فيقال له : انظر إلى مقعدك من النار ، قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة فيراهما جميعاً... وأما المنافق والكافر فيقال له : ما كنت تقول في هذا الرجل ؟ فيقول : لا أدري ، كنت أقول ما يقول الناس. فيقال : لا دريت ولا تليت ، ويضرب بمطارق من حديد ضربه، فيصيح صيحة يسمعها من يليه غير الثقلين))[1].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها قالت : ((قام رسول الله ﷺ خطيباً فذكر فتنة القبر التي يفتتن فيها المرء))[2].

(١) ((صحيح البخاري)) ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، ح(١٣٧٤) (١/٤٢٢).

(٢) ((صحيح البخاري)) ، كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، ح(١٣٧٣) (١/٤٢٢).

المبحث الثاني

عذاب القبر ونعيمه

المبحث الثاني
عذاب القبر ونعيمه

يعتقد أهل السنة والجماعة أن الميت يعذَّب وينعَّم في قبره[١].. وأن العذاب والنعيم يكون على النفس وعلى البدن.. وأن هذه الفترة بين موت المرء إلى البعث والنشور هي حياةٌ برزخية الله أعلم في كنهها وحقيقتها.. وأن العذاب فيها يسمعه كل من على وجه الأرض إلا الثقلين.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة والجماعة ، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن ، وتعذب متصلةً بالبدن ، والبدن متصل بها))[٢].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام ابن قتيبة -رحمه الله- : ((أصحاب الحديث كلهم مجمعون... على الإيمان بعذاب القبر))[٣].

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((وأجمعوا على أن عذاب القبر حق))[٤].

---

(١) المشهور عن المعتزلة أنهم ينكرون عذاب القبر ، قال أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- [في عذاب القبر] : ((ومنهم من نفاه وهم المعتزلة والخوارج)) ((مقالات الإسلاميين)) : (١١٦/٢).. ولكن القاضي عبدالجبار في كتابه ((شرح الأصول الخمسة)) : ص (٧٣٠) يفند هذه الدعوى بقوله : ((فصل في عذاب القبر ، وجملة ذلك أنه لا خلاف فيه بين الأمة ، إلا شيء يحكى عن ضرار بن عمرو وكان من أصحاب المعتزلة ثم التحق بالمجبرة ، ولهذا ترى ابن الراوندي يشنع علينا ويقول : إن المعتزلة ينكرون عذاب القبر ولا يقرون به)) ثم ذكر أدلة عذاب القبر وفائدته وبعض التفصيلات التي يخالفه فيها أهل السنة.

(٢) ((مجموع الفتاوى)) : (٢٨٢/٤).

(٣) ((تأويل مختلف الحديث)) : ص (١٤).

(٤) ((رسالة إلى أهل الثغر)) : ص (٢٧٩).

وقال الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله- : ((ونحن الآن ذاكرون شرح السنة... مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة... [فذكر جملةً من المعتقد إلى أن قال] ثم الإيمان بعذاب القبر))(١).

وانظر أيضاً ما قاله الإمام أحمد وسفيان بن عيينة(٢) ؛ وأبو حاتم الرازي(٣) ؛ كما في نقل اللالكائي لاعتقادهم في كتابه ، وابن أبي عاصم في السنة(٤) ؛ والطبري في التبصير في معالم الدين(٥) ؛ والطحاوي في العقيدة الطحاوية(٦) ؛ والبربهاري في شرح السنة(٧) ؛ والآجري في الشريعة(٨) ؛ والإسماعيلي في اعتقاد أئمة الحديث(٩) ؛ واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة(١٠) ؛ والبيهقي في الاعتقاد والهداية(١١) ؛ وقوام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة(١٢).

ذكر مستند الإجماع على عذاب القبر ونعيمه :

قال تعالى : ﴿**وَحَاقَ بِآلِ فِرعَونَ سُوءُ العَذَابِ ۞ النَّارُ يُعرَضُونَ عَلَيهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَومَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدخِلُوا آلَ فِرعَونَ أَشَدَّ العَذَابِ**﴾(١٣) عذاب آل فرعون بعرض النار عليهم في أول النهار وآخره إلى قيام الساعة وهو من عذاب القبر ثم يوم تقوم الساعة يعذبون في النار أشد العذاب.

---

(١) ((الشرح والإبانة)) : ص (١٩٧).
(٢) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : (١/١٧٥).
(٣) المصدر نفسه : (١/٢٠٣).
(٤) (٢/٤٠١ ، ٤٠٧).
(٥) ص (٢٠٧).
(٦) ص (١٢).
(٧) ص (٧٢ ، ٩٢).
(٨) (٣/١٢٧٢).
(٩) ص (٦٩).
(١٠) (٥/١١٩٩).
(١١) ص (١٤٥).
(١٢) (١/٤٨٦ ، ٥١٣) (٢/٢٨١).
(١٣) سورة غافر ، آية : (٤٥ ، ٤٦).

وقال تعالى : ﴿كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾(١) البرزخ أي الحياة البرزخية قبل البعث.. ينعَّم الإنسان فيها أو يُعذَّب ألى يوم البعث.

وعندما دخلت المرأة اليهودية على عائشة فذكرت عذاب القبر ، فقالت لها : أعاذك الله من عذاب القبر. فسألت عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ عن عذاب القبر. فقال : ((نعم ، عذاب القبر حق. قالت : عائشة رضي الله عنها : فما رأيت رسول الله ﷺ بعدُ صلَّى صلاةً إلا تعوَّذ من عذاب القبر))(٢).

وفي الصحيحين من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال : مر النبي ﷺ بحائطٍ من حيطان المدينة -أو مكة- فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما ، فقال النبي ﷺ : ((يعذبان ، وما يعذبان في كبير -ثم قال- بلى ، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة ثم دعا بجريدة فكسرها كسرتين ، فوضع على كل قبرٍ منهما كسرة. فقيل له : يا رسول الله لم فعلت هذا ؟ قال : لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا)) أو ((إلى أن ييبسا))(٣).

---

(١) سورة المؤمنون ، آية : (١٠٠).

(٢) ((صحيح البخاري)) كتاب الجنائز ، باب ما جاء في عذاب القبر ، ح(١٣٧٢) (١/٤٢١).

(٣) ((صحيح البخاري)) كتاب الوضوء ، باب من الكبائر أن لا يستتر من بوله ح (٢١٦) (١/٨٩). ((صحيح مسلم)) كتاب الطهارة ، باب الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه (٢٩٢) (١/٢٤٠).

الفصل الثالث
الشفاعة

وهي أنواع :

النوع الأول :

الشفاعة العظمى في الموقف

النوع الثاني :

الشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة

النوع الثالث :

الشفاعة لمن استحق النار ألا يدخلها

النوع الرابع :

الشفاعة لمن دخل النار أن يخرج منها

النوع الخامس :

الشفاعة لأهل الجنة في زيادة الثواب ورفعة الدرجات

الفصل الثالث

الشفاعة

اتفق أهل السنة والجماعة على إثبات الشفاعة(١) يوم القيامة وأنها ملكٌ لله يأذن لمن يشاء من أوليائه فيشفعون لمن ارتضى من عباده ، الموحدين المخلصين المذنبين.. وأما المشركون الظالمون فما لهم من شافعين ولا صديقٍ حميم ، وأن أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ يوم القيامة من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه أو نفسه(٢) ، وهي أنواع :

الشفاعة العظمى :

يؤمن أهل السنة والجماعة بشفاعة نبينا ﷺ يوم القيامة لأهل الموقف بعد طول المقام وإلجام الناس بالعرق ، فيطلب الناس الشفاعة من الأنبياء ، فيشفع النبي ﷺ فيهم بعد أن يذهب الناس إلى الأنبياء : آدم ثم نوح ثم إبراهيم... حتى ينتهي الأمر إلى النبي ﷺ فيشفع لفصل الله بينهم وقضائه ، وهي شفاعة خاصة بالنبي ﷺ .

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((وله ﷺ -في القيامة- ثلاث شفاعات : أما الشفاعة الأولى : فيشفع في أهل الموقف حتى يقضى بينهم بعد أن تتراجع الأنبياء آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى بن مريم الشفاعة حتى تنتهي إليه))(٣).

---

(١) خالفت الوعيدية (الخوارج والمعتزلة) في إثبات الشفاعة يوم القيامة للمسلمين الموحدين الذين دخلوا النار أن يخرجوا منها.. وذلك لأن إثباتها لهذا يخالف أصلاً من أصولهم وهو خلود الفساق المذنبين من المسلمين في النار ، وعدم خروجهم. وجعلت الشفاعة خاصة بالتائبين المنيبين في زيادة ثوابهم ورفعة منزلتهم. انظر : ((شرح الأصول الخمسة)) : ص (٦٨٨) ؛ ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) : (٤/٦٣).

(٢) ((صحيح البخاري)) ، كتاب العلم ، باب الحرص على الحديث ، ح(٩٩) (١/٥٢).

(٣) ((الواسطية)) بمجموع الفتاوى : (٣/١٤٧).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام ابن خزيمة –رحمه الله– : ((باب ذكر الشفاعة التي خص الله بها النبي ﷺ ، دون غيره من الأنبياء –صلى الله عليهم وسلم– وهي الشفاعة الأولى التي يشفع بها لأمته، ليخلصهم الله من الموقف الذي قد جمعوا فيه يوم القيامة))(١).

وقال الإمام أبوبكر الآجري –رحمه الله– : ((باب ذكر ما خص الله ﷻ به النبي ﷺ من المقام المحمود يوم القيامة... يزيده شرفاً وفضلاً... من الشفاعة للخلق والجلوس على العرش ، خص الله الكريم به نبيه ﷺ ... من الكرامة العظيمة والفضيلة الجميلة، تلقاها العلماء بأحسن قبول ، فالحمد لله على ذلك))(٢).

ذكر مستند الإجماع على الشفاعة العظمى :

قال تعالى : ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾(٣) ، والمقام المحمود هو الشفاعة العظمى ، كما قال ابن عمر رضي الله عنهما : ((إن الناس يصيرون يوم القيامة جُثا ، كل أمة تتبع نبيها ، يقولون : يا فلان اشفع ، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود))(٤).

وقال ابن جرير في تأويل الآية : ((قال أكثر أهل العلم : ذلك هو المقام الذي يقومه ﷺ يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم))(٥).

وعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((يجمع الله الناس يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا على ربنا حتى يريحنا من مكاننا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت الذي خلقك الله بيده ، ونفخ فيك من روحه ، وأمر الملائكة فسجدوا لك ، فاشفع لنا عند

(١) ((التوحيد)) لابن خزيمة : (٢/٥٨٩).
(٢) ((الشريعة)) : (٤/١٦٠٤).
(٣) سورة الإسراء ، آية : (٧٩).
(٤) ((صحيح البخاري)) ، كتاب التفسير ، باب ﴿عَسَى أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا﴾ ، ح(٤٧١٨) (٣/٢٥٢).
(٥) ((تفسير الطبري)) : (٨/١٣١).

ربنا. فيقول : لست هناكم ، ويذكر خطيئته ، ويقول : ائتوا نوحاً أول رسول بعثه الله... -إلى ان قال- فيأتون -عيسى- فيقول : لست هناكم ، ائتوا محمداً ﷺ فقد غُفِر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، فيأتوني فأستأذن على ربي ، فإذا رأيته ، وقعت له ساجداً ، فيدعني ما شاء الله ، ثم يقال لي : ارفع رأسك ، وسل تعطه ، وقُل يُسمع ، واشفع تشفع))(١).

الشفاعة لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة :

يؤمن أهل السنة والجماعة بشفاعة نبينا ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة ؛ وذلك بعد أن عبروا الصراط وهذبوا ومحصوا وأزلفت لهم الجنة.. يشفع النبي ﷺ عند الله في الدخول في الجنة ، فيكون هو أول من تفتح له أبوابها ، وأمته أول الأمم دخولاً لها. وهذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ .

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات : ...وأما الشفاعة الثانية، فيشفع في أهل الجنة أن يدخلوا الجنة))(٢).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

ورد النص في هذه الشفاعة صحيح وصريح.. و لم أقف على من نقل الإجماع من أهل العلم فيها قبل شيخ الإسلام.

---

(١) ((صحيح البخاري)) ، كتاب الرقاق ، باب صفة الجنة والنار ، ح(٦٥٦٥) (٢٠٢/٤) ، قال ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- : ((والعجب كل العجب من إيراد الأئمة لهذا الحديث من أكثر طرقه ، لا يذكرون أمر الشفاعة الأولى ، في مأتى الرب سبحانه وتعالى لفصل القضاء كما ورد هذا في حديث الصور فإنه المقصود في هذا المقام ومقتضى سياق أول الحديث.. إلخ ((شرح العقيدة الطحاوية)) : ص (٢٣١).

(٢) ((الواسطية)) مجموع الفتاوى : (١٤٧/٣).

ذكر مستند الإجماع على شفاعته عليه الصلاة والسلام لأهل الجنة أن يدخلوا الجنة :

يتكرر ذهاب الناس إلى الأنبياء ابتداءً بآدم عليه السلام إلى أن يصلوا إلى نبينا محمد ﷺ حتى في هذه الشفاعة.. ولقد كانوا قبل ذلك طلبوا من الأنبياء أن يشفعوا عند الله في فصل القضاء فقط (الشفاعة العظمى) و لم يقم بها إلا النبي ﷺ ، وهنا طلبوا من الأنبياء الشفاعة في دخول الجنة وذلك بعد أن أُزلِفَت لهم فيعتذر الجميع حتى يقوم النبي ﷺ فيشفع عند الله فيشفع له في ذلك.

قال الصحابيان الجليلان أبو هريرة وحذيفة رضي الله عنهما : قال رسول الله ﷺ يجمع الله تبارك وتعالى الناس ، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ، فيأتون آدم فيقولون : يا أبانا استفتح لنا الجنة ، فيقول : وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم ، لست بصاحب ذلك ، اذهبوا إلى ابني إبراهيم.. -إلى أن قال- فيأتون عيسى عليه السلام فيقول عيسى لست بصاحب ذلك، فيأتون محمداً ﷺ، فيقوم فيؤذن له...))[1].

الشفاعة للمؤمنين يوم القيامة بزيادة الثواب ورفعة الدرجات :

يؤمن أهل السنة والجماعة بشفاعة النبي ﷺ للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفعة الدرجات. وهذه الشفاعة لا تنكرها المعتزلة ، وتوافق أهل السنة على إثباتها[2]، وهي شفاعةٌ عامة للنبي ﷺ ولمن يشاء من أوليائه المتقين.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((...شفاعته ﷺ للمؤمنين يوم القيامة في زيادة الثواب ورفع الدرجات متفق عليه بين المسلمين))[3].

---

(١) ((صحيح مسلم)) ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلة ، ح (١٩٥) (١/١٨٦).

(٢) ((شرح الأصول الخمسة)) : (٦٨٨).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) : (١/١٤٨).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم ممن سبق شيخ الإسلام :

لم أقف على من نقل الإجماع من أهل العلم في هذه المسألة.. وإنما يثبتون الشفاعة مطلقاً.. وتدخل فيها الشفاعة في زيادة الثواب ورفعة الدرجات قال الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله- [في معرض ذكره لما أجمع عليه أهل الإسلام وسائر الأمة] : ((ثم الإيمان... بالشفاعة))(١).

وقال الإمام قوام السنة الأصبهاني -رحمه الله- : ((والمؤمنون كلهم... يؤمنون بملائكة الله... والشفاعة))(٢).

ذكر مستند الإجماع على الشفاعة للمؤمنين في زيادة الثواب ورِفْعَةِ الدرجات(٣) :

عن أم سلمة رضي الله عنها قالت : دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة ، وقد شقَّ بصره ، فأغمضه. ثم قال : ((إن الروح إذا قبض تبعه البصر)) وقال : ((اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين واخلفه في عقبه في الغابرين ، واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له في قبره ، ونوِّر له فيه))(٤).

---

(١) ((الشرح والإبانة)) : ص (٢٠٣).

(٢) ((الحجة في بيان المحجة)) : (٢/٢٣٤).

(٣) بعد تتبع مظان أدلة الشفاعة لم أجد حديثاً صريحاً صحيحاً في هذا النوع من الشفاعة وهو زيادة الثواب ولا النوع الذي يليه الشفاعة فيمن استحق دخول النار أن لا يدخلها ثم وجدت كلاماً لابن القيم -رحمه الله- يؤكد هذا فقال [وهو يعدد أنواع الشفاعة] : وبقي نوعان يذكرهما كثيرٌ من الناس ، أحدهما : في قومٍ استوجبوا النار فيشفع فيهم أن لا يدخلوها. وهذا النوع لم أقف إلى الآن على حديث يدل عليه ، وأكثر الأحاديث صريحة في أن الشفاعة في أهل التوحيد من أرباب الكبائر إنما تكون بعد دخولهم النار ، وأما أن يشفع فيهم قبل الدخول ، فلا يدخلون فلم أظفر فيه بنص.

والنوع الثاني : شفاعته ﷺ لقومٍ من المؤمنين في زيادة الثواب ورفعة الدرجات ، وهذا قد يستدل عليه بدعاء النبي ﷺ لأبي سلمة وقوله : ((اللهم اغفر لأبي سلمة ، وارفع درجته في المهديين)) وقوله في حديث أبي موسى ((اللهم اغفر لعبيد أبي عامر ، واجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك)) ((عون المعبود مع شرح ابن القيم)) : (١٣/٧٧).

(٤) ((صحيح مسلم)) ، كتاب الجنائز ، باب في إغماض الميت والدعاء له إذا حضر. ح(٩٢٠) (٢/٦٣٤).

والدعاء من الشفاعة كما في حديث صلاة المؤمنين على الميت ودعائهم له قال عليه الصلاة والسلام في آخره ((إلا شفعهم الله فيه))[١].. وقد دعا النبي ﷺ لأبي سلمة برفع درجته.

الشفاعة لمن استحق النار ألا يدخلها :

يؤمن أهل السنة والجماعة بالشفاعة يوم القيامة لأهل الذنوب والمعاصي من الموحدين المسلمين ، وقد استحقوا دخول النار فيشفع لهم ألا يدخلوها. وهي شفاعة عامة تكون للنبي ﷺ ولغيره من المتقين الصالحين.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((... وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات... وأما الشفاعة الثالثة فيشفع فيمن استحق النار ألاّ يدخلها))[٢].

وقال -رحمه الله- : ((وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها من الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم))[٣].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أونص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

لم أقف على من نقل الإجماع من أهل العلم في هذه المسألة.. ولكنها تدخل في عموم من يثبت الشفاعة من السلف..

قال الإمامان الحافظان الرازيان -رحمهما الله- : ((أدركنا العلماء في جميع الأمصار... فكان من مذهبهم الإيمان قول وعمل.. والشفاعة حق))[٤].

---

(١) ((صحيح مسلم)) كتاب الجنائز ، باب من صلى عليه أربعون شفعوا فيه ح(٩٤٨) (٢/٦٥٥).

(٢) ((الواسطية)) مجموع الفتاوى : (٣/١٤٧).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) : (١/١٤٨).

(٤) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي : (١/١٩٨).

ذكر مستند الإجماع على الشفاعة لمن استحق النار ألا يدخلها :

قال الشيخ محمد بن صالح العثيمين[١] -رحمه الله- : ((وهذه الشفاعة قد يستدل عليها بقول الرسول ﷺ : ((ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته أربعون رجلاً لا يشركون بالله شيئاً إلا شفعهم الله فيه))[٢] فإن هذه الشفاعة قبل أن يدخل النار فيشفعهم الله في ذلك))[٣].

الشفاعة لمن دخل النار أن يخرج منها :

يؤمن أهل السنة والجماعة بالشفاعة يوم القيامة لأهل الذنوب والمعاصي من الموحدين المسلمين الذين دخلوا النار أن يخرجوا منها. وهذه الشفاعة تواترت فيها النصوص وتعددت فيها أقوال أهل العلم ونقلهم للإجماع عليها ، وهي شفاعة عامة للنبي ﷺ ولغيره.. وهي التي خالف فيها (الوعيدية من الخوارج والمعتزلة) فعارضت أصلهم الفاسد في تكفير صاحب الكبيرة وبالتالي خلوده في النار فلا يخرج منها سواء بشفاعة أو بغيرها.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((وله ﷺ في القيامة ثلاث شفاعات ... وأما الشفاعة الثالثة... فيشفع فيمن دخل النار أن يخرج منها))[٤].

---

(١) أبو عبدالله محمد بن صالح بن محمد بن عثيمين الوهيبي التميمي.. فقيه عصره ومن كبار العلماء في وقته.. حلقته في العلم والتدريس مشهورة يحضرها الجم الغفير من الطلبة ، وُلِد في مدينة عنيزة في اليوم السابع والعشرين من رمضان سنة سبع وأربعين وثلاث مائة وألف ، وتوفي في مدينة جدة مساء يوم الأربعاء الخامس عشر من شوال سنة إحدى وعشرين وأربع مائة وألف ، وعمره أربع وسبعون سنة وثمانية عشر يوماً ، وصُلِّي عليه بعد صلاة العصر في المسجد الحرام في مكة ، يوم الخميس السادس عشر من شوال ودفن فيها جوار شيخه وإمام عصره الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمهما الله رحمةً واسعةً ورفع درجتهما ونوَّر ضريحهما ، وأسكنهما الفردوس الأعلى من الجنة.

(٢) سبق تخريجه ص : (٢٢٦).

(٣) ((القول المفيد على كتاب التوحيد)) : (٣٣٤/١).

(٤) ((الواسطية)) مجموع الفتاوى : (١٤٧/٣).

وقال -رحمه الله- : ((وأما شفاعته لأهل الذنوب من أمته فمتفق عليها بين الصحابة والتابعين لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين الأربعة وغيرهم))(١).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((وأجمعوا على أن شفاعة النبي ﷺ لأهل الكبائر من أمته ، وعلى أنه يُخرِج من النار قوماً من أمته بعدما صاروا حمماً فيطرحون في نهر الحياة فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل))(٢).

وقال الإمام ابن عبدالبر -رحمه الله- [بعد ذكره لأحاديث الشفاعة] : ((كل هذا يكذب به جميع طوائف أهل البدع : الخوارج والمعتزلة والجهمية ، وسائل الفرق المبتدعة ، وأما أهل السنة أئمة الفقه والأثر في جميع الأمصار ، فيؤمنون بذلك كله ، ويصدقونه وهم أهل الحق والله المستعان))(٣).

وقال الإمام أبو بكر الآجري -رحمه الله- : ((إن المكذب بالشفاعة أخطأ في تأويله خطأ فاحشاً ، خرج به عن الكتاب والسنة ، وذلك أنه عمد إلى آياتٍ من القرآن نزلت في أهل الكفر ، أخبر الله ﷻ أنهم إذا دخلوا النار أنهم غير خارجين منها، فجعلها المكذب بالشفاعة في الموحدين ، ولم يلتفت إلى أخبار رسول الله ﷺ في إثبات الشفاعة أنها إنما هي لأهل الكبائر ، والقرآن يدل على هذا ، فخرج بقوله السوء عن جملة ما عليه أهل الإيمان ، واتبع غير سبيلهم ، قال الله ﷻ ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ الرَّسُولَ مِن بَعدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ وَيَتَّبِع غَيرَ سَبِيلِ الْمُؤمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّى وَنُصلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَت مَصِيراً**﴾(٤)))(٥).

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (١٤٨/١).

(٢) ((رسالة إلى أهل الثغر)) : ص (٢٨٨).

(٣) ((فتح البر)) : (١٠٨/٢).

(٤) سورة النساء ، آية : (١١٥).

(٥) ((الشريعة)) : (١٢٠٥/٣).

وقال الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني -رحمه الله- : ((ويؤمن أهل الدين والسنة بشفاعة الرسول ﷺ لمذنبي أهل التوحيد ، ومرتكبي الكبائر)) [١].

وانظر أيضاً ما نقله اللالكائي في معتقد سفيان بن عيينه[٢] والإمام أحمد[٣] ، وما ذكره ابن أبي عاصم في السنة[٤] ، والطحاوي في العقيدة الطحاوية[٥] ، والبربهاري في شرح السنة[٦] ، والإسماعيلي في اعتقاد أئمة الحديث[٧] ، وابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة[٨] ، وابن أبي زيد القيرواني في القيروانية[٩] ، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة[١٠] ، والبيهقي في الاعتقاد والهداية[١١] ، وقوام السنة الأصبهاني في الحجة في بيان المحجة[١٢].

ذكر مستند الإجماع على الشفاعة لمن دخل النار أن يخرج منها :

قال تعالى : ﴿وَلاَ يَشفَعُونَ إلاَّ لِمَنِ ارتَضَى﴾[١٣] ، وقال تعالى : ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشفَعُ عِندَهُ إلاَّ بِإذنِه﴾[١٤] فأثبت الله الشفاعة يوم القيامة بهذين الشرطين : الرضا عن المشفوع، والإذن للشافع وفي الصحيحين من حديث أنس بن مالك ﷺ -في حديث طويل فيه أيضاً ذهاب الناس إلى الأنبياء وطلب الشفاعة منهم حتى يصلوا إلى

---

(١) ((عقيدة السلف وأصحاب الحديث)) : ص (٢٥٨).
(٢) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : (١/١٧٥).
(٣) المصدر نفسه : (١/١٧٨).
(٤) (٢/٣٥٠).
(٥) ص (١٥).
(٦) ص (٧٣).
(٧) ص (٦٨).
(٨) ص (٣٢٠).
(٩) ((شرح القيروانية)) : ص (٤٩).
(١٠) (٥/١١٦٠).
(١١) ص (١٢٥).
(١٢) (١/٤٩٧).
(١٣) سورة الأنبياء ، آية : (٢٨).
(١٤) سورة البقرة ، آية : (٢٥٥).

النبي ﷺ – فقال عليه الصلاة والسلام : ((ثم أشفع ، فيُحد لي حداً فأخرجهم من النار ، وأدخلهم الجنة ثم أعود ثم أشفع فيحد لي حداً فأدخلهم الجنة.. ثم أعود الرابعة فأقول : ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود))[1].

وعن أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم (أو قال بخطاياهم) فأماتهم إماتة حتى إذا كانوا فحماً ، أُذن بالشفاعة ، فجيء بهم ضبائر ضبائر))[2].

(١) ((صحيح البخاري)) ، كتاب التفسير ، باب قول الله ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ ، ح(٤٤٧٦) (١٨٩/٣). ((صحيح مسلم)) ، كتاب الإيمان ، باب أدنى أهل الجنة منزلةً ، ح(١٩٣) (١٨٠/١).

(٢) ((صحيح مسلم)) ، كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، ح(١٨٥) (١٧٢/١).

الفصل الرابع
مسائل متنوعة متعلقة باليوم الآخر

وفيه ثمانية مسائل :

المسألة الأولى

بعث الناس حفاة عراة غرلا

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن الناس يحشرون حفاةً عراةً غرلاً كما بدأهم الله ﷻ أول خلق يعيده. فيكونون حفاةً : أي لا نعال ولا خفاف عليهم. وعراةً : أي لا لباس عليهم. وغرلاً : جمع أغرل وهو الذي لم يختن فتعود له تلك القلفة التي قطعت منه في صغره فيعود كما خلقه الله كامل الخلقة.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((... وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله ، وأجمع عليها المسلمون ، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاةً عراةً غرلاً))[1].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((وأجمعوا على.. أن الله يعيدهم كما بدأهم حفاةً عراةً غرلاً))[2].

ذكر مستند الإجماع على بعث الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلا :

قال تعالى : ﴿**كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ**﴾[3] فقد نص الله ﷻ وصرَّح بأنه يعيد الخلق كما بدأه.. أول خلقه حافياً عارياً أغرل.. وقد فسَّر النبي ﷺ الآية بذلك ، ففي الصحيحين من حديث ابن عباسٍ رضي الله عنهما قال :

---

(١) ((الواسطية)) مجموع الفتاوى : (١٤٥/٣).

(٢) ((رسالة إلى أهل الثغر)) : (٢٨١).

(٣) سورة الأنبياء ، آية : (١٠٤).

قال النبي ﷺ : ((إنكم محشورون حفاةً عـراةً غُـرلاً ، ثـم قـرأ ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعدًا عَلَينَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ﴾))[1].

(١) ((صحيح البخاري)) : كتاب الأنبياء ، باب قول الله تعالى : ﴿وَاتَّخَذَ اللهُ إِبرَاهِيمَ خَلِيلاً﴾ ، ح(٣٣٤٩) (٢/٤٥٩).
((صحيح مسلم)) : كتاب الجنة باب فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة ، ح(٢٨٦٠) (٤/٢١٩٤).

المسألة الثانية

دنو الشمس ولجوم العرق

يحشر الله الناسَ في الموقف وتدنو منهم الشمس قدر ميل في يومٍ كان مقداره خمسين ألف سنة فيشق على الناس هذا اليوم العظيم ويبلغ فيهم العرق مبلغاً عظيماً فيلجمهم ، أي يصل إلى افواههم كما أشار بذلك النبي ﷺ إلى فيه. وبعضهم يصل إلى حقويه ، وبعضهم إلى ركبتيه.. وإلى كعبيه ، وذلك بحسب أعمالهم ولا ينجو من هذا العرق إلا من كتب الله له النجاة من ذلك ، ومن هؤلاء السبعة الذين يظلهم الله في ظله فيكونون تحت ظل الله الذي يخلقه(١) يوم لا ظل إلا ظله.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((... وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله ، وأجمع عليها المسلمون ، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاةً عراة غرلاً وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق))(٢).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

لم أقف فيه على من نقل الإجماع من أهل العلم.. ولكن الحديث فيه صحيح صريح.

ذكر مستند الإجماع على دنو الشمس من الناس يوم القيامة ولجومهم بالعرق :

روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث المقداد بن الأسود قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((تُدنَى الشمس يوم القيامة من الخلق ، حتى يكون منهم كمقدار ميل ،

---

(١) فهو ظلٌ يخلقه الله ، وليس ظل الله وذلك لكي لا يستلزم أن تكون الشمس فوق الله وأعلى منه. انظر : مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ((شرح العقيدة الواسطية)) : (٨/٤٩٧).

(٢) ((الواسطية)) مجموع الفتاوى : (٣/١٤٥).

فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق ، فمنهم من يكون إلى كعبيه ، ومنهم من يكون إلى ركبتيه ، ومنهم من يكون إلى حقويه ، ومنهم من يُلجمه العرق إلجاماً وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه))[1].

(١) كتاب الجنة ، باب في صفة يوم القيامة ، ح(٢٨٦٤) (٤/٢١٩٦).

المسألة الثالثة

الميزان

يؤمن أهل السنة والجماعة بنصب الموازين يوم القيامة فتوزن فيها أعمال العباد ، ﴿فَمَن ثَقُلَت مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُون ۞ وَمَن خَفَّت مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم فِي جَهَنَّمَ خَالِدُون﴾(١). وظاهر النصوص أن هناك ميزاناً حسياً حقيقياً توزن فيه أعمال العباد.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((... وتنصب الموازين ، فتوزن فيها أعمال العباد))(٢).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نصَّ على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمامان الرازيان أبو حاتم وأبو زرعة -رحمهما الله- : ((أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازاً وعراقاً وشاماً ويمنا فكان من مذهبهم.. والميزان حق)) (٣).

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((وأجمعوا على... أن الله تعالى ينصب الموازين لوزن أعمال العباد))(٤).

وقال الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله- : ((ونحن الآن ذاكرون شرح السنة... مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة -[فذكر جملةً من معتقد أهل السنة] ثم قال- : ثم الإيمان بالموازين كما قال تعالى ﴿وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسطَ لِيَومِ القِيَامَةِ﴾))(٥).

---

(١) سورة المؤمنون ، آيتي : (١٠٢ ، ١٠٣).

(٢) ((الواسطية)) مجموع الفتاوى : (١٤٥/٣).

(٣) المصدر نفسه : (١٩٩/١).

(٤) ((رسالة إلى أهل الثغر)) : ص (٢٨٣).

(٥) ((الشرح والإبانة)) : ص (٢٠٢).

وانظر أيضاً ما قاله الإمام سفيان بن عيينة[١] والإمام أحمد[٢] ، وأبو الحسن البربهاري في شرح السنة[٣] ، وابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة[٤] ، وابن حزم في المحلى[٥].

ذكر مستند الإجماع على الميزان :

قال تعالى : ﴿**وَالوَزنُ يَومَئِذٍ الحَقُّ فَمَن ثَقُلَت مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ المُفلِحُونَ ۞ وَمَن خَفَّت مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظلِمُون**﴾[٦].

وقال تعالى : ﴿**وَنَضَعُ المَوَازِينَ القِسطَ لِيَومِ القِيَامَةِ فَلاَ تُظلَمُ نَفسٌ شَيئاً**﴾[٧].

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : ((كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان في الميزان ، حبيبتان إلى الرحمن ، سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم))[٨].

وقال في حق الكافرين : ﴿**أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِم وَلِقَائِهِ فَحَبِطَت أَعمَالُهُم فَلاَ نُقِيمُ لَهُم يَومَ القِيَامَةِ وَزناً**﴾[٩].

---

(١) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : (١/١٧٥).

(٢) المصدر نفسه : (١/١٧٨).

(٣) ص (٧٢).

(٤) ص (٣٢٠).

(٥) (١/١٦).

(٦) سورة الأعراف ، آيتي : (٨ ، ٩).

(٧) سورة الأنبياء ، آية : (٤٧).

(٨) ((صحيح البخاري)) : كتاب الدعوات ، باب فضل التسبيح ، ح(٦٤٠٦) (٤/١٧٣). ((صحيح مسلم)) : كتاب الذكر ، باب فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، ح(٢٦٩٤) (٤/٢٠٧٢).

(٩) سورة الكهف ، آية : (١٠٥).

المسألة الرابعة

نشر الصحف

يؤمن أهل السنة والجماعة بنشر الصحف يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَت﴾(١) فتنشر دواوين الناس وتتطاير صحفهم.. فمنهم من يأخذ كتابه بيمينه ، وهم المؤمنون وذلك تكريماً لهم.. ومنهم من يأخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره وهم الكفار وذلك زيادة توبيخ وإهانةٍ لهم.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((... تنشر الدواوين -وهي صحائف الأعمال- فآخذٌ كتابه بيمينه ، وآخذٌ كتابه بشماله ، أو من وراء ظهره))(٢).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((وأجمعوا على... أن الخلق يؤتون يوم القيامة بصحائف فيها أعمالهم ، فمن أوتي كتابه بيمينه حوسب حساباً يسيراً ، ومن أوتي كتابه بشماله فأولئك يصلون سعيراً))(٣).

وقال الإمام ابن حزمٍ -رحمه الله- : ((وأن الصحف التي تكتب فيها أعمال العباد حقٌ نؤمن بها ولا ندري كيف هي... وأن الناس يُعطون كتبهم يوم القيامة))(٤).

---

(١) سورة التكوير ، آية : (١٠).

(٢) ((الواسطية)) مجموع الفتاوى : (١٤٦/٣).

(٣) ((رسالة إلى أهل الثغر)) : ص (٢٨٥).

(٤) ((المحلى)) : (١٧/١).

ذكر مستند الإجماع على نشر الدواوين :

قال تعالى : ﴿**وَكُلَّ إِنسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عُنُقِهِ وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَاباً يَلْقَاهُ مَنشُوراً ۞ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيباً**﴾[(١)].

فينظر المرء إلى كتابه منشوراً أمامه ، فيقرأه ، فيحاسب نفسه وهذا من تمام العدل والإنصاف فلقد أنصفك من جعلك حسيب نفسك !.

وقال تعالى : ﴿**وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ**﴾[(٢)].

وأخبر تعالى عن المؤمنين الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم أنهم يحاسبون حساباً يسيراً ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَاباً يَسِيراً**﴾ وهو عرض الحساب دون مناقشته.

وقال عن الكافرين الذين يؤتون كتبهم بشمالهم ومن وراء ظهورهم ﴿**وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ۞ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُوراً ۞ وَيَصْلَى سَعِيراً**﴾[(٣)].

---

(١) سورة الإسراء ، آيتي : (١٣ ، ١٤).

(٢) سورة التكوير ، آية : (١٠).

(٣) سورة الانشقاق ، آية : (١٠-١٢).

المسألة الخامسة

الحساب

يؤمن أهل السنة والجماعة بالحساب يوم القيامة ، وأن الله ﷻ يخلو بعبده المؤمن ويدنو منه فيقرره بذنوبه ويعرضها عليه.. ولو ناقشه فيها لهلك ، وأما الكافر فتعد أعمالهم وتحصى فيوقفون عليها ويجزون بها.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((... الجنة والنار والبعث والحساب... فإن هذه الأصول كلها متفقٌ عليها بين أهل السنة والجماعة))(١).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله- : ((ونحن الآن ذاكرون شرح السنة... مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة [فذكر جملة من معتقد أهل السنة] ثم قال : ثم الإيمان بالمساءلة أن الله ﷻ يسأل العباد عن كل قليل وكثير في الموقف وعن كل ما اجترموا... ويأخذ للمظلومين من الظالمين))(٢).

وقال الإمام أبو محمد الحسن البربهاري -رحمه الله- : ((والإيمان بالرؤية يوم القيامة يرون الله ﷻ بأبصار رؤوسهم وهو يحاسبهم بلا حجاب ولا ترجمان))(٣).

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((ونؤمن بعذاب القبر... وأن الله ﷻ يوقف العباد في الموقف ويحاسب المؤمنين))(٤).

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٤٨٦/١١).

(٢) ((الشرح والإبانة)) : ص (٢٠٤).

(٣) ((الإبانة عن أصول الديانة)) : ص (٢٤).

(٤) ((شرح السنة)) : ص (٧٢).

ذكر مستند الإجماع على الحساب :

قال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾[١] والحساب اليسير هو عرضه دون مناقشته.. ففي الصحيحين من حديث عائشة رضي الله عنها أنها قالت : قال النبي ﷺ : ((ليس أحدٌ يُحاسب يوم القيامة إلا هلك. فقلت : يا رسول الله ، أليس قد قال الله تعالى : ﴿فَأَمَّا مَن أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۞ فَسَوفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ فقال رسول الله ﷺ : إنما ذلك العرض ، وليس أحدٌ يُناقش الحساب يوم القيامة إلا عُذِّب))[٢].

---

(١) سورة الانشقاق ، آيتي : (٧ ، ٨).

(٢) ((صحيح البخاري)) كتاب الرقاق ، باب من نوقش عُذِّب : (٦٥٣٧) (٤/١٩٨). ((صحيح مسلم)) كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب إثبات الحساب (٢٨٧٦) (٤/٢٢٠٤).

المسألة السادسة

الحوض

يؤمن أهل السنة والجماعة بنهر الكوثر الذي أعطاه الله ﷻ نبيَّه ﷺ وهو الحوض المورود طوله مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منه فلا يظمأ أبداً.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((الجنة والنار والبعث ... والحوض ... فإن هذه الأصول كلها متفق عليها بين أهل السنة والجماعة))[1].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((وأجمعوا... على أن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترده أمته لا يظمأ من شرب منه))[2].

وقال الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله- : ((ونحن الآن ذاكرون شرح السنة... مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة -[فذكر جملةً من معتقد أهل السنة] ثم قال - : ثم الإيمان بالحوض))[3].

وقال الإمام سفيان بن عيينة -رحمه الله- : ((السنة عشرة فمن كن فيه فقد استكمل السنة ومن ترك شيئاً فقد ترك السنة ، إثبات القدر ... والحوض))[4].

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٤٨٦/١١).

(٢) ((رسالة إلى أهل الثغر)) : ص (٢٨٩).

(٣) ((الشرح والإبانة)) : ص (٢٠٣).

(٤) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي : (١٧٥/١).

وقال الإمام أحمد -رحمه الله- : ((ومن السنة اللازمة التي من ترك منها خصلةً لم يقلها ويؤمن بها لم يكن من أهلها... والإيمان بالحوض وأن لرسول الله ﷺ حوضاً يوم القيامة ترد عليه أمته...))[١].

وانظر أيضاً ما قاله أبو محمد البربهاري في شرح السنة[٢] ، وأبو الحسن الأشعري في الإبانة عن أصول الديانة[٣] ، وابن أبي زيد القيرواني في القيروانية[٤] ، وابن حزمٍ في المحلى[٥].

ذكر مستند الإجماع على الحوض :

قال تعالى : ﴿إِنَّا أَعطَينَاكَ الكَوثَر﴾[٦].

والكوثر هو الحوض الذي أعطاه الله ﷻ لنبيه محمد ﷺ ، قالت عائشة رضي الله عنها -لمن سألها عن الكوثر- : ((هو نهر أعطيَه نبيكم ﷺ ، شاطئاه عليه دُرٌّ مجوَّف آنيته كعدد النجوم))[٧].

وقال ابن عباسٍ رضي الله عنهما في نهر الكوثر : ((هو الخير الذي أعطاه الله إياه))[٨].

وعن أنس ﷺ قال : ((لما عُرِج بالنبي ﷺ إلى السماء قال : أتيت على نهرٍ حافتاه قبابُ اللؤلؤ مجوَّف ، فقلت ما هذا يا جبريل ؟ قال : هذا الكوثر))[٩].

---

(١) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي : (١٧٥/١).

(٢) ص (٧٢).

(٣) ص (٢٣ ، ١٧٩).

(٤) ((شرح القيروانية)) : ص (٦٠).

(٥) (١٦/١).

(٦) سورة الكوثر ، آية : (١).

(٧) ((صحيح البخاري)) كتاب التفسير ، باب ﴿إِنَّا أَعطَينَاكَ الكَوثَر﴾ ، ح(٤٩٦٥) (٣٣١/٣).

(٨) المصدر نفسه : ح(٤٩٦٦) (٣٣١/٣).

(٩) المصدر نفسه : ح(٤٩٦٤) (٣٣١/٣).

وعن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قال : قال النبي ﷺ : ((حوضي مسيرة شهر ، ماؤه أبيض من اللبن ، وريحه أطيب من المسك ، وكيزانه كنجوم السماء ، من شرب منها فلا يظمأ أبداً))(١).

(١) ((صحيح البخاري)) كتاب الرقاق ، باب في الحوض ، ح(٦٥٧٩) (٢٠٥/٤). ((صحيح مسلم)) ، كتاب الفضائل ، باب إثبات حوض نبينا ﷺ ، ح(٢٢٩٢) (١٧٩٣/٤).

المسألة السابعة

الصراط

يؤمن أهل السنة والجماعة بالصراط وهو جسر منصوب على متن جهنم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم ، فمنهم من يمر كالبرق ، ومنهم من يمر كالريح ، ومنهم من يمر كأجاويد الخيل والركاب ، فناجٍ مسلَّم ، وناجٍ مخدوش ، ومكدوس في نار جهنم.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((والصراط منصوبٌ على متن جهنم -وهو الجسر الذي بين الجنة والنار- يمر الناس عليه على قدر أعمالهم ، فمنهم من يمر كلمح البصر ، ومنهم من يمر كالبرق الخاطف... ومنهم من يخطف فيلقى في جهنم ، فإن الجسر عليه كلاليب تخطف الناس بأعمالهم ، فمن مرَّ على الصراط دخل الجنة))(١).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمامان الرازيان -رحمهما الله- : ((أدركنا العلماء في جميع الأمصار حجازا وعراقاً وشاماً ويمناً فكان من مذهبهم... والصراط حق))(٢).

وقال الإمام أبو الحسن الأشعري -رحمه الله- : ((وأجمعوا على أن الصراط جسر ممدود على جهنم يجوز عليه العباد بقدر أعمالهم ، وأنهم يتفاوتون في السرعة والإبطاء على قدر ذلك))(٣).

---

(١) ((الواسطية)) مجموع الفتاوى : (١٤٦/٣).

(٢) المصدر نفسه : (١٩٩/١).

(٣) ((رسالة إلى أهل الثغر)) : ص (٢٨٦).

وقال الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله- : ((ونحن الآن ذاكرون شرح السنة... مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة -[فذكر جملةً من معتقد أهل السنة] ثم قال - : ثم الإيمان بالبعث والصراط وشعار المؤمنين يومئذٍ سلِّم سلِّم))[١].

وانظر ما قاله الإمام سفيان بن عيينة[٢] ، والبربهاري في شرح السنة[٣] ، وابن شاهين في شرح مذاهب أهل السنة[٤] ، وابن أبي زيد القيرواني في القيروانية[٥] ، وابن حزم في المحلى[٦].

ذكر مستند الإجماع على الصراط :

قال تعالى : ﴿**وَإِن مِنكُم إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتماً مَقضِيّاً ۞ ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيّاً**﴾[٧].

وفي الصحيحين من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال النبي ﷺ : ((يؤتى بالجسر فيُجعل بين ظهري جهنم ، قلنا : يا رسول الله وما الجسر ؟ قال : مدحضةٌ مَزِلة عليه خطاطيف وكلاليب وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان ، المؤمن عليها كالطرف وكالبرق وكالريح وكأجاويد الخيل والركاب فناجٍ مخدوش ومكدوس في نار جهنم))[٨].

---

(١) ((الشرح والإبانة)) : ص (٢٠١).

(٢) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : (١/١٧٥).

(٣) ص (٧٤).

(٤) ص (٣٢٠).

(٥) ص (٥٨).

(٦) (١/١٥).

(٧) سورة مريم ، آيتي : (٧١ ، ٧٢).

(٨) ((صحيح البخاري)) كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ﴿وُجُوهٌ يَومَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ ، ح(٧٤٣٩) (٤/٣٩٢).
((صحيح مسلم)) كتاب الإيمان ، باب معرفة طريق الرؤية ، ح(١٨٣) (١/١٦٨).

المسألة الثامنة

القنطرة

يؤمن أهل السنة والجماعة بالقنطرة وذلك بعد أن يعبر الناس الصراط يقفون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا وهذا قصاص أخص من القصاص العام في عرصات القيامة وفي هذا القصاص تحصل تنقية القلوب وتطهيرها فيذهب ما فيها من غل وحقد وحسد.. حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((فإذا عبروا عليه (الصراط) وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض ، فإذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة))[١].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص عليه ممن سبق شيخ الإسلام :

لم أقف على من نقل الإجماع من أهل العلم على القنطرة.. وإنما ذكر الإمام أبو محمد الحسن البربهاري -رحمه الله- الإيمان بالقصاص عموماً ويدخل فيها القصاص في القنطرة ، فقال : ((والإيمان بالقصاص يوم القيامة بين الخلق كلهم ، بني آدم ، والسباع، والهوام ، حتى للذرة من الذرة حتى يأخذ الله ﷻ لبعضهم من بعض ، لأهل الجنة من أهل النار وأهل النار من أهل الجنة ، وأهل الجنة بعضهم من بعض ، وأهل النار بعضهم من بعض))[٢].

وقد صح فيها الخبر عن رسول الله ﷺ .

(١) ((الواسطية)) مجموع الفتاوى : (٣/١٤٧).

(٢) ((شرح السنة)) : ص (٨٦).

ذكر مستند الإجماع على القنطرة :

عن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال : ((إذا خَلَص المؤمنون من الصراط حُبسُوا بقنطرةٍ بين الجنة والنار ، فيتقاصون مظالم كانت بينهم في الدنيا ، حتى إذا نُقُّوا وهُذِّبوا أُذن لهم بدخول الجنة ، فوالذي نفسُ محمدٍ بيده ، لأحدهم بمسكنه في الجنة أَدَلُّ بمنزله كان في الدنيا))(١).

(١) ((صحيح البخاري)) ، كتاب المظالم والغصب ، باب قصاص المظالم ، ح(٢٤٤٠) (٢/١٨٩).

الفصل الخامس

أبدية الجنة والنار

وفيه مبحثان :

المبحث الأول :
عدم فناء الجنة

المبحث الثاني :
عدم فناء النار

المبحث الأول

عدم فناء الجنة

المبحث الأول

عدم فناء الجنة

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن الله ﷻ أعدَّ لعباده المؤمنين جنة عرضها السموات والأرض يدخلها المؤمن فينعم ولا ييأس ويخلد ولا يموت وأنها دارٌ باقية لا تفنى[١] ولا نهاية لها ﴿عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾[٢].

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية ، كالجنة ..))[٣].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمامان الحافظان ، أبو حاتم وأبو زرعة -رحمهما الله- : ((أدركنا العلماء في جميع الأمصار -حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً- فكان من مذهبهم... الجنة حق والنار حق ، وهما مخلوقان لا يفنيان أبداً))[٤].

وقال الإمام أبو إسماعيل الصابوني -رحمه الله- : ((ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان وإنهما باقيتان لا يفنيان أبداً))[٥].

---

(١) خالف في ذلك الجهم بن صفوان فقال بفناء النعيم ، وأبو الهذيل القائل بفناء الحركات. قال شيخ الإسلام : (وهما قولان شاذان قد اتفق السلف والأئمة وجماهير المسلمين على تضليل القائلين بهما ، ومن أعظم ما أنكره السلف والأئمة على الجهمية قولهم بفناء الجنة)). ((درء تعارض العقل والنقل)) : (٢/٣٥٧).

(٢) سورة هود ، آية : (١٠٨).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) : (١٨/٣٠٧) ؛ ((بيان تلبيس الجهمية)) : (١/٥٨١).

(٤) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي : (١/١٩٩).

(٥) ((عقدية السلف وأصحاب الحديث)) : ص (٢٦٤).

وقال الإمام الحافظ ابن حزم -رحمه الله- : ((الجنة حق ، والنار حق ، وأنهما مخلوقتان مخلدتان هما ومن فيهما بلا نهاية... كل هذا إجماعٌ من جميع أهل الإسلام ، ومن خرج عنه خرج عن الإسلام))(١).

وغير هؤلاء كثير ، ممن نقل الإجماع على أبدية الجنة وعدم فنائها.

ذكر مستند الإجماع على عدم فناء الجنة :

أخبر الله تعالى بأن أهل الجنة خالدون فيها خلوداً مؤبداً ، فقال تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُم خَيرُ البَرِيَّةِ ۞ جَزَاؤُهُم عِندَ رَبِّهِم جَنَّاتُ عَدنٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً**﴾(٢). وقال تعالى : ﴿**وَمَن يُؤمِن بِاللهِ وَيَعمَل صَالِحاً يُكَفِّر عَنهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدخِلهُ جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً ذَلِكَ الفَوزُ العَظِيمُ**﴾(٣) وقال تعالى : ﴿**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدخِلُهُم جَنَّاتٍ تَجرِي مِن تَحتِهَا الأَنهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَعدَ اللهِ حَقّاً وَمَن أَصدَقُ مِنَ اللهِ قِيلاً**﴾(٤).

ووصفهم بعدم الخروج من الجنة ، فقال تعالى : ﴿**وَنَزَعنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّن غِلٍ إِخوَاناً عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ۞ لاَ يَمَسُّهُم فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِنهَا بِمُخرَجِينَ**﴾(٥).

ووصف نعيمهم بعدم الانقطاع ، فقال تعالى : ﴿**وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالأَرضُ إِلاَّ مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءً غَيرَ مَجذُوذ**﴾(٦)

---

(١) ((الدرة فيما يجب اعتقاده)) : ص (٢٧).

(٢) سورة البينة ، آيتي : (٧ ، ٨).

(٣) سورة التغابن ، آية : (٩).

(٤) سورة النساء ، آية : (١٢٢).

(٥) سورة الحِجر ، آيتي : (٤٧ ، ٤٨).

(٦) سورة هود ، آية : (١٠٨).

وقال تعالى : ﴿وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ۞ لاَ مَقطُوعَةٍ ولاَ مَمنُوعَةٍ﴾(١).

وفي الصحيح من حديث أبي سعيدٍ الخدري ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((يجاء بالموت يوم القيامة كأنه كبشٌ أملح فيوقف بين الجنة والنار فيقال : يا أهل الجنة هل تعرفون هذا ؟ فيشرئبون وينظرون ويقولون : نعم ، هذا الموت ،قال فيؤمر به فيذبح. قال ثم يقال : يا أهل الجنة خلود فلا موت ، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت)) قال ثم قرأ رسول الله ﷺ : ﴿وَأَنذِرهُم يَومَ الحَسرَةِ إِذ قُضِيَ الأَمرُ وَهُم فِي غَفلَةٍ وَهُم لاَ يُؤمِنُون﴾(٢) وأشار بيده إلى الدنيا(٣).

---

(١) سورة الواقعة ، آيتي : (٣٢ ، ٣٣).

(٢) سورة مريم ، آية : (١٩).

(٣) ((صحيح مسلم)) ، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها ، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء ، ح(٢٨٤٩) (٢١٨٨/٤).

المبحث الثاني

عدم فناء النار

المبحث الثاني

عدم فناء النار

يعتقد أهل السنة والجماعة أن النار مخلوقة وأعدَّها الله ﷻ لمن يستحقها من عباده.. وأن الكفار والمشركين خالدون فيها أبداً ، وأنها دارٌ باقيةٌ لا تفنى ولا ينقطع عذابها.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية ، كالجنة والنار والعرش))[١].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

نقل الإجماع على عدم فناء النار كثيرٌ من أهل العلم مؤكدين أن عدم فناء النار هو اعتقاد أهل السنة والجماعة.

فقال الإمامان الحافظان الرازيان -رحمهما الله- أبو حاتم وأبو زرعة : ((أدركنا العلماء في جميع الأمصار -حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً- فكان من مذهبهم... الجنة حق والنار حق ، وهما مخلوقان لا يفنيان أبداً))[٢].

وقال الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله- بعد قوله : ((ونحن الآن ذاكرون شرح السنة ووصفها وما هي في نفسها ، وما الذي إذا تمسَّك به العبد ودان الله به سمي بها واستحق الدخول في جملة أهلها وما أن خالفه أو شيئاً منه دخل في جملة من عبناه وذكرناه ، وحذر منه من أهل البدع والزيغ مما أجمع على شرحنا له أهل الإسلام وسائر الأمة مذ بعث الله نبيه ﷺ إلى وقتنا هذا... [فذكر جملةً من معتقد أهل السنة

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٣٠٧/١٨) ؛ ((بيان تلبيس الجهمية)) : (٥٨١/١).

(٢) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : (١٩٩/١).

إلى أن قال] ..وأما عذاب النار فدائمٌ أبداً بدوام الله ، وأهلها فيها مخلدون خالدون))(١).

ونقل ذلك عن أهل السنة أيضاً الإمام أبو إسماعيل عثمان الصابوني -رحمه الله- فقال : ((ويشهد أهل السنة أن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما باقيتان لا يفنيان أبداً ، وأن... أهل النار -الذين هم أهلها خلقوا لها- لا يخرجون منها أبداً))(٢).

وقال الإمام الحافظ ابن حزمٍ -رحمه الله- : ((الجنة حقٌ ، والنار حقٌ داران مخلوقتان مخلدتان هما ومن فيهما بلا نهاية... كل هذا إجماع من جميع أهل الإسلام ، ومن خرج عنه خرج عن الإسلام))(٣).

ويقرِّر ذلك الإمام العلامة حافظ المغرب ابن عبدالبر -رحمه الله- بقوله : ((قال أهل السنة : إن الجنة والنار مخلوقتان وأنهما لا تبيدان))(٤).

ويؤكد ذلك أيضاً الإمام الحافظ قوام السنة أبو القاسم إسماعيل التيمي الأصبهاني -رحمه الله- بقوله : ((أهل السنة يعتقدون أن الجنة والنار خلقتا للبقاء ولا يفنيان أبداً))(٥).

وانظر أيضاً ما قاله الإمام أحمد في الرد على الجهمية(٦) ؛ وابن خزيمة في كتاب التوحيد(٧) ؛ وأبو جعفر الطحاوي في عقيدته المشهورة بالطحاوية(٨) ؛ وأبو الحسن

---

(١) ((الشرح والإبانة)) : ص (٢٠٨).

(٢) ((عقيدة السلف وأصحاب الحديث)) : ص (   ).

(٣) ((الدرة فيما يجب اعتقاده)) : ص (٢٧).

(٤) ((فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبدالبر)) : (٢/١١٦).

(٥) ((الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة)) : (٢/٤٣٤).

(٦) ص (٥٨).

(٧) (٢/٨٧٥).

(٨) ص (٢٦٤).

البربهاري في شرح السنة[١] ؛ والآجري في الشريعة[٢] ، وابن أبي زيد في القيروانية[٣]، وابن حزمٍ في المحلى[٤].

ذكر مستند الإجماع على عدم فناء النار :

أخبر الله تعالى بأن أهل النار خالدون فيها خلوداً مؤبداً ، فقال تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَم يَكُنِ اللهُ لِيَغفِرَ لَهُم وَلاَ لِيَهدِيَهُم طَرِيقاً إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّم خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾[٥].

وقال تعالى : ﴿إِنَّ اللهَ لَعَنَ الكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُم سَعِيراً خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً﴾[٦].

ووصفهم بعدم الخروج من النار ، فقال تعالى : ﴿وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾[٧]، وقال تعالى : ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنهَا وَلَهُم عَذَابٌ مُقِيمٌ﴾[٨].

وقضى عليهم بعدم الموت وعدم تخفيف العذاب ، فقال تعالى : ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُم نَارُ جَهَنَّمَ لاَ يُقضَى عَلَيهِم فَيَمُوتُوا وَلاَ يُخَفَّفُ عَنهُم مِّن عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾[٩].

وحرَّم عليهم دخول الجنة ، فقال تعالى : ﴿إِنَّهُ مَن يُشرِك بِاللهِ فَقَد حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ الجَنَّةَ وَمَأوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن أَنصَارٍ﴾[١٠].

---

(١) ص (٧٤).
(٢) (١٣٤٣/٣ ، ١٣٧١).
(٣) ((شرح القيروانية)) : ص (٥١).
(٤) (١١/١).
(٥) سورة النساء ، آية : (١٦٨).
(٦) سورة الأحزاب ، آية : (٦٤).
(٧) سورة البقرة ، آية : (١٦٧).
(٨) سورة المائدة ، آية : (٣٧).
(٩) سورة فاطر ، آية : (٣٦).
(١٠) سورة المائدة ، آية : (٧٢).

وفي الصحيح من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال : قال النبي ﷺ : ((أما أهل النار الذين هم أهلها ، فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ولكن ناسٌ أصابتهم النار بذنوبهم -أو قال خطاياهم- فأماتتهم إماتة، حتى إذا كانوا فحماً أذن بالشفاعة..))[1] الحديث.

من هذه النقولات والأدلة يتبين لنا أن أهل السنة والجماعة مجمعون على أبدية النار وعدم فنائها.. وقد صرَّح شيخ الإسلام بنقل الاتفاق عن سلف الأمة وأئمتها على ذلك ، ولهذا لم يعقب على الأشعري عندما نقل كلامه في درء تعارض العقل والنقل فقال -رحمه الله- : ((قال الأشعري : قال أهل الإسلام جميعاً : ليس للجنة والنار آخر ، وأنهما لا تزالان باقيتين))[2] ، وكذلك في كتاب نقد مراتب الإجماع فقد نقل ابن حزمٍ -رحمه الله- الاتفاق على : ((أن النار حق ، وأنها دار عذابٍ أبداً لا تفنى ولا يفنى أهلها أبداً بلا نهاية))[3]. فلم يعقب شيخ الإسلام على ذلك و لم ينقد نقله لهذا الاتفاق ، مع نقده لمسائل كثيرة نقل ابن حزم فيها الإجماع.

وقد اشتُهِر عن شيخ الإسلام القول بفناء النار..!!

والجواب عن ذلك من وجوه :

أولاً : أن هذا الذي اشتُهِرَ ، لو سلَّمنا بصحته عن شيخ الإسلام -و لم يُنقل نصٌ صريحٌ بذلك عنه- فإن غاية ما فيه رأيٌ رآه في أول حياته ثم تبيَّن له خلافه ، وذلك جمعاً بين ما ثبت عنه من نقل الاتفاق على عدم فناء النار وما يُنسب له من القول بفنائها ، ولا يمكن أن ينقل الاتفاق على ذلك ثم يقول بخلافه..!! وقد قال شيخ الإسلام بحياة الخضر[4] ثم تبين له بعد ذلك الصواب في خلافه

(١) ((صحيح مسلم)) : كتاب الإيمان ، باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار ، ح(١٨٥) (١٧٢/١).

(٢) ((درء تعارض العقل والنقل)) : (٣٥٨/٢).

(٣) ((مراتب الإجماع)) : ص (٢٦٨).

(٤) ((مجموع الفتاوى)) : (٣٣٩/٤).

فقال -رحمه الله- : ((والصواب الذي عليه المحققون أنه ميت))[١].. ولهذا قال الألباني -رحمه الله- في مسألة فناء النار واعتماد شيخ الإسلام على بعض الآثار الضعيفة : ((ولعل ذلك كان منه إبَّان طلبه للعلم ، وقبل توسعه في دراسة الكتاب والسنة ، وتضلعه بمعرفة الأدلة الشرعية))[٢].

ثانياً : لو قال قائلٌ إننا لا ندري أي القولين قبل الآخر..!! ، فلا يُقال إن هذا رأيٌ رآه في أول حياته ثم تبيَّن له خلافه..!!

فنقول هب أن الأمر كذلك.. فلقد رسم الله ﷻ لنا قاعدةً عظيمةً محكمةً وذلك بقوله ﴿**هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيكَ الكِتَابَ مِنهُ آيَاتٌ مُحكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٍ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم زَيغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنهُ ابتِغَاءَ الفِتنَةِ وَابتِغَاءَ تَأوِيلِهِ وَمَا يَعلَمُ تَأوِيلَهُ إِلاَّ اللهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي العِلمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِن عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلبَابِ**﴾[٣] ، فإذا ورد نصَّان أحدُهما محكم لا يحتمل إلا معنىً واحداً ، والآخر متشابه يحتمل أكثر من معنى فإن حال الراسخين في العلم يردون المتشابه إلى المحكم فيصبح الكل محكماً ، قال محمد بن جرير الطبري -رحمه الله- : ((وقال آخرون : "المحكمات" من آي الكتاب : ما لم يحتمل من التأويل غير وجهٍ واحد ، "والمتشابه" منها : ما احتمل من التأويل أوجهاً))[٤].

وإذا طبَّقنا هذه القاعدة العظيمة على مسألتنا ، نجد أن نقل الاتفاق على عدم فناء النار نصٌّ محكم جلي لا يحتمل إلا وجهاً واحداً ؛ وهو الاتفاق على عدم فناء النار.. وقول البعض إن كلام شيخ الإسلام محمولٌ على القول بعدم فناء الجنة والنار معاً.. قولٌ مردودٌ وذلك أن عبارته صريحةٌ في نقل الاتفاق على الجميع باعتبار كل

---

(١) المصدر السابق : (٢٧/١٠٠).

(٢) ((مقدمة رفع الأستار)) : ص (٢٥).

(٣) سورة آل عمران ، آية : (٧).

(٤) ((تفسير الطبري)) : (٣/١٧٤) ؛ وقال شيخ الإسلام : ((قال الإمام أحمد... والشافعي : المحكم ما لا يحتمل من التأويل إلا وجهاً واحداً ، والمتشابه ما احتمل من التأويل وجوهاً)) ((مجموع الفتاوى)) : (١٧/٤١٧).

واحدةٍ منفصلةٍ فهو يضرب أمثلةً على مخلوقات لا تفنى ولا تعدم بالكلية فيقول -رحمه الله- : ((وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية كالجنة والنار والعرش وغير ذلك))(١).

فهو نصٌ محكمٌ لا يحتمل إلا وجهاً واحداً وهو الاتفاق على عدم فناء النار ، وأما ما ينسب إليه من القول بفناء النار فهو قول متشابه ، ولهذا اختلفت آراء العلماء في توجيهه ، فإذا رددنا المتشابه من قوله إلى المحكم أصبح الكل محكماً ، ويكون قول شيخ الإسلام كسائر أقوال أهل السنة.

ثالثاً : أنه لو سُلِّم أن هذا رأيٌ لشيخ الإسلام وثابتٌ عنه و لم يكن رأياً متقدماً في الزمن -أي في أول حياته- و لم يكن متشابهاً بل كلامٌ محكم، فإنه يكون رأياً له -رحمه الله- ..والحق أحق وأولى بالاتباع.. فهو العَلَم الذي لا يجارى والبحر المتلاطم أمواجه.. ولكنه بشر غير معصوم..!! وهو مأجورٌ على اجتهاده.

بقي أن يقال هل يوجد مخالف من السلف قبل شيخ الإسلام لهذا الإجماع !؟

لم أقف على مخالفٍ لهذا الإجماع.. والإجماع فيها قائمٌ وسالم لا معارض له.. ويدل لذلك أمور :

أولاً : النصوص الكثيرة التي نقلها سلف الأمة وأئمة هذا الدين من الإجماع على عدم فناء النار وخلود الكفار فيها خلوداً مؤبداً ، وقد أشرنا إلى بعضها آنفاً ، مع اختلاف أزمانهم وبلدانهم ولن يتتابع هؤلاء الأئمة في نقل الإجماع على مسألةٍ وفيها من يخالف هذا الإجماع من العلماء فضلاً عن أن يكون المخالف من الصحابة !!.

ثانياً : الذين ذكروا بعض المخالفين لفناء النار.. فقد نقلوا الإجماع على خلود الكفار فيها خلوداً مؤبداً.

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (١٨/٣٠٧).

فيقول ابن القيم -رحمه الله- : ((الذي دلَّ عليه الكتاب والسنة وأجمع عليه السلف أن الجنة والنار مخلوقتان ، وأن أهل النار لا يخرجون منها ولا يخفف عنهم من عذابها ، ولا يفتر عنهم وأنهم خالدون فيها))[١].

ويقول -رحمه الله- : ((الذي دل عليه القرآن أن الكفار خالدون في النار أبداً ، وأنهم غير خارجين منها وهذا كله مما لا نزاع فيه بين الصحابة والتابعين وأئمة المسلمين))[٢].

ثالثاً : الآثار التي استدل بها من يقول بفناء النار.. فقد بيَّن العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني -رحمه الله- في كتابه الموسوم ((رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار)) ومحقق الكتاب العلامة الألباني -رحمه الله- بيَّنا أنها آثار لا تصح والصحيح منها غير صريح ، فهي إما غير صحيحة أو غير صريحة ! فكيف يخالف بها الإجماع المنقول عن سلف الأمة وأئمتها[٣] !!

---

(١) ((حادي الأرواح)) : ص (٣١٤).

(٢) المصدر نفسه : ص (٣١٢).. ولكنه -رحمه الله- لرأيٍ رآه يفرق بين خلود الكفار في النار وبين القول بفناء النار.. فقد قال -رحمه الله- بعد نقله لإجماع السلف على خلود الكفار في النار : ((وليس هذا مورد النزاع ، وإنما النزاع في أمر آخر وهو أنه : هل النار أبدية أو مما كتب عليه الفناء ؟ وأما كون الكفار لا يخرجون منها ولا يفتر عنهم من عذابها... فلم يختلف في ذلك الصحابة ولا التابعون ، ولا أهل السنة)) ((حادي الأرواح)) : ص (٣١٣) ، وقال أيضاً -في النصوص الكثيرة التي تدل على خلود الكفار في النار- : ((إنما تدل أنها ما دامت باقية فهم فيها ، فأين فيها ما يدل على عدم فنائها)) ((شفاء العليل)) : ص (٤٢٩).. وقد استفاض في الرد على هذا الرأي العلامة الصنعاني -رحمه الله- في كتابه ((رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار)) ورد عليه رداً علمياً رصيناً قوياً. ومع تفريق ابن القيم -رحمه الله- بين الخلود في النار وفنائها نجده يقول -رحمه الله- : ((ولما كان الناس على ثلاث طبقات : طيب لا يشينه خبيث ، وخبيث لا طيب فيه ، وآخرون فيهم خبث وطيب ، كانت دورهم ثلاثة : دار الطيب المحض ، ودار الخبيث المحض ، وهاتان الداران لا تفنيان...)) !! ((الوابل الصيب)) : ص (٢٥).

(٣) انظر في هذه المسألة (رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار) للشيخ محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني ، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ، ((كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار)) المنسوب لشيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم الجوزية ، د/ علي بن علي جابر الحربي اليماني ، رسالة لشيخ الإسلام بعنوان (الرد على من قال بفناء الجنة والنار وبيان الأقوال في ذلك) دراسة وتحقيق د/ محمد بن عبدالله السمهري ، تعليق الشيخ د/ عبدالله الدميجي في كتاب الشريعة (٣/١٣٧١-١٣٧٥).

الباب الرابع
الإمامة والخلافة

وفيه فصلان :

الفصل الأول :
الإمامة

الفصل الثاني :
الخلافة

الفصل الأول

الإمامة

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :

إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً

المبحث الثاني :

لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق

المبحث الثالث :

المرأة لا تكون إماماً

المبحث الأول

إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً

المبحث الأول

إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً

من أصول أهل السنة والجماعة ، السمع والطاعة لولاة الأمور ، فيقيمون معهم الحج والجمع والأعياد والجهاد أبراراً كانوا أو فجاراً ، ويصبرون على أذاهم ويحرصون على اجتماع الكلمة ووحدة المسلمين على الحق ، وآثار هذا الأصل والعمل به ظاهرة وعظيمة[(١)].

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((ويرون إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً))[(٢)].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

نقل إجماع أهل السنة وسلف الأمة على هذه المسألة كثيرٌ من أهل العلم ، وذلك لعظم شأنها وكبير أثرها.. فهي من أصول منهج سلفنا الصالح التي تميزه عن غيره من المناهج الغالية أو الجافية.

---

(١) قال عبدا لله بن المبارك -رحمه ا لله- :

إن الجماعة حبل ا لله فاعتصموا ... منه بعروته الوثقى لمن دانا
كم يرفع ا لله بالسلطان مظلمةً ... في ديننا رحمة منه ودنيانا
لولا الخلافة لم تؤمن لنا سبلٌ ... وكان أضعفنا نهباً لأقوانا

((فتح البر)) : (١٢٣/١).

وقد خالف في هذا الأصل المعتزلة فنفوا السمع والطاعة عن أئمة الجور فقال مفسرهم والداعية لهذا المذهب البدعي ، في تفسير قول ا لله تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا ا للهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم﴾ قال : المراد بأولي الأمر منكم أمراء الحق لأن أمراء الجور : ا لله ورسوله بريئان منهم فلا يعطفون على ا لله ورسوله في وجوب الطاعة لهم وإنما يجمع بين ا لله ورسوله والأمراء الموافقين لهما في إيثار العدل واختيار الحق والأمر بهما والنهي عن أضدادهما... ((الكشاف)) للزمخشري (٥٣٥/١) وانظر : ((شرح الأصول الخمسة)) : ص (٧٥٣).

(٢) ((الواسطية)) مجموع الفتاوى : (١٥٨/٣).

وقال الإمام إسماعيل المزني -رحمه الله- : ((ولا يترك حضور صلاة الجمعة ، وصلاتها مع بَرِّ هذه الأمة وفاجرها لازم.. والجهاد مع كل إمام عدلٍ أو جائر والحج.. هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهُدى))[1].

قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله- : ((مذهب أهل الحديث أهل السنة والجماعة [فذكر جملةً من معتقدهم ثم قال] ..ويرون الصلاة -الجمعة وغيرها- خلف كل إمامٍ مسلمٍ براً كان أو فاجراً))[2].

وقال الإمام ابن بطة العكبري -رحمه الله- : ((وقد أجمعت العلماء من أهل الفقه والعلم والنساك والعباد والزهاد من أول هذه الأمة إلى وقتنا هذا : أن صلاة الجمعة والعيدين ومنى وعرفات والغزو والحج والهدي مع كل أمير برٍ أو فاجر))[3].

وقال الإمام أبو عثمان الصابوني -رحمه الله- : ((ويرى أصحاب الحديث الجمعة والعيدين ، وغيرهما من الصلوات خلف كل إمام مسلمٍ ، براً كان أو فاجراً ، ويرون جهاد الكفرة معهم ، وإن كانوا جورة فجرة))[4].

وانظر أيضاً شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي[5] ؛ والسنة للخلال[6] ؛ والطحاوية لأبي جعفر الطحاوي[7] ؛ وشرح السنة للبربهاري[8] ؛

---

(١) ((شرح السنة للمزني)) : ص (٨٧).

(٢) ((اعتقاد أئمة الحديث)) : ص (٧٥).

(٣) ((الشرح والإبانة)) : ص (٢٧٨).

(٤) ((عقيدة السلف وأصحاب الحديث)) : ص (٢٩٤).

(٥) (١٧٣/١).

(٦) (٧٧/١).

(٧) ص (١٢).

(٨) ص (٧٧ ، ١١٣ ، ١١٦ ، ١٣٢).

ورسالة إلى أهل الثغر لأبي الحسن الأشعري[١] ؛ والشريعة للآجري[٢] ؛ والاعتقاد والهداية للبيهقي[٣] ؛ والتمهيد لابن عبدالبر[٤].

ذكر مستند الإجماع على إقامة الحج والجهاد والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً :

من أصول أهل السنة والجماعة السمع والطاعة لولاة الأمر امتثالاً لقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمرِ مِنكُم﴾[٥] ومن طاعتهم إقامة الجمعة والجماعة والحج والجهاد والأعياد معهم.

وقد قال النبي ﷺ : ((يصلون لكم ، فإن أصابوا فلكم ، وإن أخطأوا فلكم وعليهم))[٦]. ولما دخل عبيد الله بن عدي بن خيار على عثمان رضي الله عنه وهو محصور فقال : إنك إمام عامة ، ونزل بك ما نرى ويصلي لنا إمام فتنة ، ونتحرج. فقال : الصلاة أحسن ما يعمل الناس ، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم ، وإذا أساءوا فاجتنب إساءتهم))[٧].

وعندما سأل سلمة بن يزيد الجعفي رسول الله ﷺ فقال : يا نبي الله أرأيت إن قامت علينا أُمراء يسألونا حقَّهم ويمنعونا حقَّنا ، فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه. ثم سأله في الثانية ، أو في الثالثة فجذبه الأشعث بن قيس. فقال رسول الله ﷺ : ((اسمعوا وأطيعوا فإنما عليهم ما حُمِّلوا وعليكم ما حُمِّلتم))[٨].

---

(١) ص (٢٩٧).
(٢) (٣٧١/١).
(٣) ص (١٦٠).
(٤) ((فتح البر)) : (١٢٣/١).
(٥) سورة النساء ، آية : (٥٩).
(٦) ((صحيح البخاري)) ، كتاب الأذان ، باب إذا لم يُتم الإمام وأتم من خلفه ، ح(٦٩٤) (٢٣٠/١).
(٧) ((صحيح البخاري)) ، كتاب الأذان ، باب إمامة المفتون والمبتدع ، ح(٦٩٥) (٢٣١/١).
(٨) ((صحيح مسلم)) كتاب الأمارة ، باب في طاعة الأمراء وإن منعوا الحقوق ، ح(١٨٤٦) (١٤٧٤/٣).

فنسمع ونطيع وإن منعونا حقوقنا أي كانوا ظلمةً لنا ، فظلم الولاة وجورهم لا ينافي السمع والطاعة لهم وخصوصاً في إقامة الجمع والأعياد والجهاد معهم.

وقد صلى ابن عمر رضي الله عنهما خلف الحجاج[1].

(١) ((مصنف ابن أبي شيبة)) : (٢/٨٤/٢) ، وصححه الألباني كما في ((إرواء الغليل)) ، ح(٥٢٥) (٢/٣٠٣).

المبحث الثاني

لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق

المبحث الثاني
لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق

هذه المسألة وهي عدم طاعة أحد في معصية الله مبنية على أصل من أصول أهل السنة والجماعة وهو السمع والطاعة لولاة الأمر.. وهو أصل يميز أهل السنة عن الفرق الذين يرون الخروج على الولاة وعدم طاعتهم لأدنى سبب ، وأما أهل السنة والجماعة فيأمرون بالصبر على الأئمة وتحمل أذاهم وعدم الخروج عليهم ولو كانوا فجاراً ، ما لم يروا كفراً بواحاً(١). وطاعتهم ما لم يأمروا بمعصية.. فإذا أمروا بمعصية فلا سمع ولا طاعة.

---

(١) من الخلط الحاصل عند بعض الناس عدم التفريق بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبين الخروج على الولاة ولهذا قد يصفون من هو آمرٌ بالمعروف وناهٍ عن المنكر وقائلٌ لكلمة الحق لم يخف في الله لومة لائم ، قد يصفونه بأنه خارجي ويتهمونه بفكر الخوارج.. رغم أنه فعل ذلك بكل ضوابطه المقرَّرة عند أهل العلم.. وهما شريعتان وطاعتان لا تعارض بينهما ، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فخيرية هذه الأمة منوطةٌ به ﴿كُنتُم خَيرَ أُمَّةٍ أُخرِجَت لِلنَّاسِ تَأمُرُونَ بِالمَعرُوفِ وَتَنهَونَ عَنِ المُنكَرِ وَتُؤمِنُونَ بِاللهِ﴾ وأما السمع والطاعة وعدم الخروج على الولاة فهو أصل من أصولهم ، ويدل على ذلك حديث عبادة بن الصامت ((بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة... وألا ننازع الأمر أهله وعلى أن نقول بالحق أينما كنا ، لا نخاف في الله لومة لائم)) ، ((صحيح مسلم)) ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء من غير معصية وتحريمها في المعصية ح(١٨٣٤) (١٤٦٥/٣). فهما أمران بايع الصحابة رضي الله عنهم رسول الله ﷺ عليهما سواء .. وفي حديث أم سلمة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال : ((إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون ، فمن أنكر فقد برئ ، ومن كره فقد سلم ، لكن من رضي وتابع. قالوا : يا رسول الله ألا نقاتلهم ؟ قال : لا ما صلوا)) ، ((صحيح مسلم)) ، كتاب الإمارة ، باب وجوب الإنكار على الأمراء فيما يخالف الشرع ، ح(١٨٥٤) (١٤٨١/٣) ، فالبراءة والسلامة في الإنكار والكره وهما لا يعارضان السمع والطاعة ، بدلالة آخر الحديث.. ((ألا نقاتلهم ؟ قال : لا ما صلوا)).

ولهذا تجد سائر من يجمع معتقد أهل السنة والجماعة من المتقدمين يذكر المسألتين مبيناً أنهما من أصول أهل السنة ولا تعارض بينهما.

قال الإمام أبو محمد الحسن بن علي البربهاري -رحمه الله- : ((لا يحل قتال السلطان والخروج عليهم وإن جاروا... وليس في السنة قتال السلطان فإن فيه فساد الدين والدنيا)) (٧٨). ثم قال -رحمه الله- : ((والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجب إلا من خفت سيفه أو عصاه)) (١١٣). وقال -رحمه الله- : ((والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باليد واللسان والقلب بلا سيف)) (١١٤) فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شريعة قائمة لا تعارض بينها وبين السمع والطاعة وعدم الخروج على الولاة.. وقد يُخطئ السني في اجتهاده في إنكار المنكر ولكن هذا لا يكون سبباً في وصفه بالخروج..!!

ثم قال الإمام البربهاري -رحمه الله- : ((إذا رأيت الرجل يدعو على السلطان فاعلم أنه صاحب هوى وإذا رأيت الرجل يدعو للسلطان بالصلاح فاعلم أنه صاحب سنة إن شاء الله)) يقول فضيل بن عياض : ((لو كانت لي دعوة مستجابة ما =

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((التقليد الذي حرمه الله ورسوله وهو أن يتبع غير الرسول فيما خالف فيه الرسول وهذا حرام باتفاق المسلمين على كل أحدٍ فإنه لا طاعة لمخلوقٍ في معصية الخالق))[(١)].

وقال -رحمه الله- : ((..أطيعُ أولي الأمر إذا أمروني بطاعة الله ، فإذا أمروني بمعصية الله فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. هكذا دل عليه الكتاب ، والسنة ، واتفق عليه أئمة الأمة))[(٢)].

= جعلتها إلا في السلطان)) قيل له : يا أبا علي فسِّر لنا هذا ، قال : إذا جعلتها في نفسي لم تعدُني ، وإذا جعلتها في السلطان صلح، فصلح بصلاحه العباد والبلاد.

قال البربهاري : فأمرنا أن ندعوا لهم بالصلاح و لم نؤمر أن ندعوا عليهم ، وإن ظلموا وإن جاروا لأن ظلمهم وجورهم على أنفسهم وصلاحهم لأنفسهم وللمسلمين. ((شرح السنة)) : (١١٦، ١١٧).

وقد قال شيخ الإسلام في معتقد أهل السنة والجماعة والفرقة الناجية بعد أن ذكر جملةً من أصولهم قال -رحمه الله- : ((ثم هم مع هذه الأصول : يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر على ما توجبه الشريعة ، ويرون إقامة الحج والجهاد ، والجمع والأعياد مع الأمراء أبراراً كانوا أو فجاراً ، ويحافظون على الجماعات)) ((مجموع الفتاوى)) : (٣/١٥٨).

وفي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك الأشجعي أن النبي ﷺ قال : ((ألا من ولي عليه والٍ ، فرآه يأتي شيئاً من معصية الله ، فليكره ما يأتي من معصية الله ، ولا ينزعن يداً من طاعة)) كتاب الإمارة ، باب خيار الأئمة وأشرارهم ، ح(١٨٥٥) (٣/١٤٨٢).

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (١٩/٢٦٠).

(٢) المصدر نفسه : (٣/٢٤٩) ثم أضاف شيخ الإسلام بعد ذكره لطاعة أولي الأمر فقال : ((وأن أصبر على جور الأئمة وأن لا أخرج عليهم في فتنةٍ لما في الصحيح عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : ((من رأى من أميره شيئاً يكرهه ، فليصبر عليه فإنه من فارق الجماعة قيد شبر فمات فميتته جاهلية)).

ثم قال -رحمه الله- : [ومأمور أيضاً مع ذلك أن أقول أو أقوم بالحق حيث ما كنت ، لا أخاف في الله لومة لائم ، كما أخرجا في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال : ((بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في يسرنا وعسرنا ، ومنشطنا ومكرهنا ، وأثرة علينا وأن لا ننازع الأمر أهله ، وأن نقول -أو نقوم- بالحق حيث ما كنا لا نخاف في الله لومة لائم)) فبايعهم على هذه الاصول الثلاثة الجامعة وهي الطاعة في طاعة الله وإن كان الأمير ظالماً ، وترك منازعة الأمر أهله ، والقيام بالحق بلا مخافة من الخلق]. ((مجموع الفتاوى)) : (٣/٢٤٩ ، ٢٥٠). رحم الله شيخ الإسلام رحمة واسعة ، فهذا كلامٌ سديدٌ عظيم يؤكد فيه -رحمه الله- عدم التعارض بين هاتين الشعيرتين العظيمتين السمع والطاعة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.. فالعبد مأمور بهما وهما أصلان لابد من القيام بهما.

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال ابن حزمٍ -رحمه الله- : ((واتفقوا أن الإمام الواجبة إمامته ، فإن طاعته في كل ما أمر ، ما لم يكن معصية فرض))[1].

قال ابن عبدالبر -رحمه الله- : ((وأجمع العلماء على أن من أمر بمنكرٍ لا تلزم طاعته))[2].

وانظر أيضاً السنة للخلال[3] ؛ والطحاوية لأبي جعفر الطحاوي[4] ؛ وشرح السنة للبربهاري[5] ؛ والشريعة للآجري[6] ؛ والشرح والإبانة للعكبري[7] ؛ والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني[8].

ذكر مستند الإجماع على أنه لا طاعة للمخلوق في معصية الخالق :

مستند الإجماع على عدم طاعة أحدٍ في معصية الله جليٌّ ونصٌّ من كلام النبي ﷺ ففي حديث ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : ((على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره ، إلا ان يُؤمَر بمعصية ، فإن أُمِرَ بمعصية ، فلا سمع ولا طاعة))[9].

وعندما أوقد الأمير الذي أمره النبي ﷺ على جيش ناراً ، وقال : ادخلوها. فأراد ناسٌ أن يدخلوها. وقال الآخرون : إنا قد فررنا منها. فذُكِرَ ذلك لرسول الله ﷺ ،

---

(١) ((مراتب الإجماع)) : ص (٢٠٩).

(٢) ((فتح البر)) : (١٠٩/١).

(٣) (٧٥/١).

(٤) ص (١١).

(٥) ص (٧٩).

(٦) (٣٧١/١).

(٧) ص (٢٧٩).

(٨) (٥١٣/٢).

(٩) ((صحيح مسلم)) ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، وتحريمها في المعصية ، ح(١٨٣٩) (١٤٦٩/٣).

فقال للذين أرادوا أن يدخلوها : ((لو دخلتموها لم تزالوا فيها إلى يوم القيامة)) وقال للآخرين قولاً حسناً. وقال ((لا طاعةَ لمخلوقٍ في معصية الله ، إنما الطاعة في المعروف))[1].

(١) ((صحيح مسلم)) ، كتاب الإمارة ، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية ، وتحريمها في المعصية ، ح(١٨٤٠) (١٤٦٩/٣).

المبحث الثالث

المرأة لا تكون إمامـاً

المبحث الثالث

المرأة لا تكون إماماً

الإمامة لا يتحمل أعباءها ويتغلب على لأوائها إلا الأقوياء من الرجال.. ولهذا قال النبي ﷺ لأبي ذر : ((يا أبا ذر إني أراك ضعيفاً[١] وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمَّرنَّ على اثنين ، ولا تولَّينَّ مال يتيم))[٢] ، فإذا كان ضعاف الرجال لا تصلح لهم الإمامة والضعف فيهم عارض ، فكيف بمن الضعف لازمٌ لذواتهم ؛ فهم لا يقوون عليها ، ولهذا نفى النبيُ ﷺ الفلاحَ لمن كانت ولايتهم لامرأة.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((.. والمرأة لا تكون إماماً بالنص والإجماع))[٣].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

لم يذكر كثيرٌ من أهل العلم هذه المسألة في مصنفاتهم ، وذلك لاستقرارها في أذهانهم وجلائها في علومهم ، ولم أعثر إلا على نصٍ للإمام الفذ ابن حزمٍ فقال -رحمه الله- : ((واتفقوا أن الإمامة لا تجوز لامرأة))[٤].

ذكر مستند الإجماع على عدم ولاية المرأة :

عن أبي بكرة ﷺ قال : لقد نفعني الله بكلمةٍ أيام الجمل ، لما بلغ النبيَّ ﷺ أن فارساً ملكوا ابنة كِسرى قال : ((لن يُفلِح قومٌ ولَّوا أمرهم امرأة))[٥].

---

(١) أي في الإمارة والولاية.. وأما الإيمان ، فإيمان الصحابة رضي الله عنهم أرسى من الجبال.

(٢) ((صحيح مسلم)) ، كتاب الإمارة ، باب كراهة الإمارة بغير ضرورة ، ح(١٨٢٦) (١٤٥٧/٣).

(٣) ((منهاج السنة)) : (١٣٢/٧).

(٤) ((مراتب الإجماع)) لابن حزم : ص (٢٠٨).

(٥) ((صحيح البخاري)) ، كتاب الفتن ، باب (بدون اسم) ، ح(٧٠٩٩) (٣٢١/٤).

فحكم النبي ﷺ بعدم الفلاح على من ولّى أمرَه لامرأة.. وهذا نصٌ على عدم ولايتها وإمامتها ، أياً كانت هذه الولاية[١].. وأشد الولايات وأعظمها الولاية العامة والإمامة العظمى.

(١) أي على الرجال ، وأما ولايتها على أمثالها من النساء فلا شيء فيه.

الفصل الثاني

الخــــلافـــــة

وفيه مبحثان :

المبحث الأول :

منزلة الخلفاء الراشدين الأربعة

المبحث الثاني :

خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة

المبحث الأول

منزلة الخلفاء الراشدين الأربعة

المبحث الأول

منزلة الخلفاء الراشدين الأربعة

الذي استقر عليه أمر أهل السنة والجماعة أن ترتيب الخلفاء الراشدين الأربعة في الفضل كترتيبهم في الخلافة ، فأبوبكرٍ ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عن صحابة رسول الله ﷺ أجمعين[١].

نص كلام شيخ الإسلام -رحمه الله- :

قال -رحمه الله- : ((ويقرون بما تواتر به النقل عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالبٍ ﷺ -وعن غيره- من أن خير هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر ، ثم عمر، ويثلثون بعثمان ، ويربعون بعلي ﷺ))[٢].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام إسماعيل بن يحيى المزني -رحمه الله- : ((ويقال بفضل خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ﷺ ، فهو أفضل الخلق وأخيرهم بعد النبي ﷺ ، ونثني بعده بالفاروق وهو عمر بن الخطاب ﷺ ... ونثلث بذي النورين عثمان بن عفان ﷺ ، ثم

---

(١) حصل خلافٌ قديم عند أهل السنة في تقديم عثمان على علي بعد اتفاقهم على تقديم أبي بكر ثم عمر فقدم قومٌ عثمان وسكتوا ، وآخرون قدموا عثمان ثم علياً ، وقوم قدموا علياً ثم عثمان وآخرون توقفوا.. لكن بعد ذلك استقر أمر أهل السنة والجماعة على تقديم عثمان ثم علي.. وعليه تحمل النصوص الكثيرة لسلف الأمة في نقل الإجماع على أفضلية أبي بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عن الجميع ، وأن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية في مسألة المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما : ((بعض أهل السنة... اختلفوا في عثمان وعلي رضي الله عنهما ... أيهما أفضل ، فقدم قومٌ عثمان وسكتوا أو ربعوا بعلي ، وقدم قومٌ علياً ، وقومٌ توقفوا ، لكن استقر أمر أهل السنة على تقديم عثمان)) ((مجموع الفتاوى)) : (١٥٣/٣).

وقال الحافظ ابن حجر -رحمه الله- بعد ان ذكر الخلاف القديم عند أهل السنة في المفاضلة بين عثمان وعلي رضي الله عنهما قال بعد ذلك : ((إن الإجماع انعقد بآخرة بين أهل السنة أن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة رضي الله عنهم أجمعين)) ((فتح الباري)) : (٤١/٧).

(٢) ((الواسطية)) مجموع الفتاوى : (١٥٣/٣).

بذي الفضل والتقى علي بن أبي طالبٍ ﷺ أجمعين... هذه مقالات وأفعال اجتمع عليها الماضون الأولون من أئمة الهُدى ، وبتوفيق الله اعتصم بها التابعون قدوةً ورضى))[١].

وقال الإمامان الرازيان أبو زرعة وأبو حاتم -رحمهما الله- : ((أدركنا العلماء في جميع الأمصار -حجازاً وعراقاً وشاماً ويمناً- فكان من مذهبهم : .. وخير هذه الأمة بعد نبيها عليه الصلاة والسلام أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالبٍ))[٢].

وقال الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني -رحمه الله- : ((ويشهدون ويعتقدون أن أفضل أصحاب رسول الله ﷺ أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي))[٣].

وقال الإمام الحافظ أبو بكر القاسم إسماعيل الأصبهاني -رحمه الله- : ((قال علماء السلف : .. وخير الناس بعد رسول الله ﷺ : أبو بكر ، ثم عمر ، ثم عثمان ، ثم علي ﷺ))[٤].

وانظر أيضاً : شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي في عقيدة سفيان الثوري[٥] وابن عيينة[٦] والإمام أحمد[٧] ؛ وشرح السنة للمزني[٨] ؛ وتأويل مختلف الحديث لابن قتيبة[٩] ؛ وصريح السنة للإمام ابن جرير الطبري[١٠] ؛ والسنة للخلال[١١] ؛ وشرح

---

(١) ((شرح السنة)) : ص (٥٨).

(٢) ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة)) للالكائي : (١٩٨/١).

(٣) ((عقيدة السلف وأصحاب الحديث)) للصابوني : ص (٢٨٩).

(٤) ((الحجة في بيان المحجة)) : (٢٨١/٢).

(٥) (١٧١/١).

(٦) (١٧٥/١).

(٧) (١٧٩/١).

(٨) ص (٨٥).

(٩) ص (١٤).

(١٠) ص (٢٤).

(١١) (٣٧٢/٢).

السنة للبربهاري[١] ؛ والشرح والإبانة للعكبري[٢] ؛ والإيمان لابن مندة[٣] ؛ والحجة في بيان المحجة لأبي القاسم الأصبهاني[٤].

ذكر مستند الإجماع على منزلة الخلفاء الراشدين :

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : ((كنَّا نخيِّر بين الناس في زمن النبي ﷺ فنخير أبا بكر ، ثم عمر بن الخطاب ، ثم عثمان بن عفان ﷺ))[٥].

فيحكي ابن عمر رضي الله عنهما وعن سائر الصحابة في زمن النبي ﷺ أنهم يخيرون ويفضلون أبا بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عن الجميع ، ويأتي بعدهم في الفضل إجماعاً علي بن أبي طالب ﷺ ، ولم يقل أحدٌ قط مِن أهل العلم المتقدم منهم والمتأخر أن أحداً من الصحابة أفضل من هؤلاء الأربعة أو من بعضهم.. نعم تحدَّث البعض في فضل عثمان وعلي ؛ ولكن في تقديم أحدهما على الآخر ؛ أما مِن غيرهم ويتقدم عليهم فالأمة مجمعةٌ على فضل هؤلاء على سائر الصحابة.

وعندما سأل محمد بن الحنفية[٦] أباه عليَّ بن أبي طالب ﷺ قال : قلت لأبي : أيُّ الناس خير بعد رسول الله ﷺ ؟ قال : أبو بكر. قلت : ثم من ؟ قال : ثم عمر. وخشيت أن يقول عثمان ، قلت : ثم أنت ؟ قال : ما أنا إلا رجلٌ من المسلمين))[٧].

والأحاديث التي تنص على فضل كل واحدٍ منهم استقلالاً مشهورة وكثيرةٌ ، وفي الصحيح وغيره وهي من مستند الإجماع على ذلك عند أهل السنة والجماعة.

---

(١) ص (١٣٢).

(٢) ص (٢٥٧).

(٣) (٤٠٩/١).

(٤) (٣٧٠/٢ ، ٣٧٤).

(٥) ((صحيح البخاري)) ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ ، ح(٣٦٥٥) (٨/٣).

(٦) أبو القاسم محمد بن علي بن أبي طالب ، المشهور بابن الحنفية نسبةً إلى أمه خولة بنت جعفر الحنفية ، الإمام من كبراء التابعين ولد في العام الذي مات فيه أبوبكر ﷺ وتوفي سنة إحدى وثمانين وله خمس وستون سنة. ((السير)) : (١١٠/٤).

(٧) ((صحيح البخاري)) ، كتاب فضائل الصحابة ، باب فضل أبي بكر بعد النبي ﷺ ، ح(٣٦٧١) (١٢/٣).

المبحث الثاني

خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة

المبحث الثاني

خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة

مسألة الخلافة عند أهل السنة والجماعة لم يحصل فيها خلاف قط.. وكلهم مجمعون على أن ترتيبهم في الخلافة : (أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عن الجميع).. ولهذا قال الإمام أحمد وغيره : ((من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله))[١].. وعليه يحمل كلام الإمام البربهاري –رحمه الله– : ((من قدَّم علياً على عثمان فهو رافضي ، قد رفض أثر أصحاب رسول الله ﷺ))[٢]... وذلك لاختيارهم وتقديمهم عثمان على علي في الخلافة عندما شاورهم عبدالرحمن بن عوف رضي الله عن الجميع.

---

(١) نقلها شيخ الإسلام عنه كما في ((مجموع الفتاوى)) : (١٩/٣٥) ، وهي نص في الخلافة ، وأما الأفضليه فقد قال الخبير في مذهبه الإمام الخلال –رحمه الله– : مذهب أحمد بن حنبل –رحمه الله– الذي هومذهبه أبو بكر وعمر وعثمان ، وهو المشهور عنه وقد حكى المروزي –رحمه الله– وغيره أنه قال لعاصم وأبي عبيد : لست أدفع قولكم في التربيع بعلي. وحكى بعد هذا أيضاً جماعة رؤساء أجله كبار في سنه وقريب من سنه أنه قال : ومن قال : علي فهو صاحب سنة... [ثم قال الخلال] وإنما هذا عندي أنه لم يحب أن يأخذ عنه أهل الشام ما يتقلدونه عنه في ذلك لأنه إمام الناس كلهم في زمانه – لم ينكر ذلك أحدٌ من الناس فلم يحب أن يؤخذ عنه إلا التوسط من القول لأن أهل الشام يغالون في عثمان كما يغالي أهل الكوفة في علي ، وقد كان من سفيان الثوري –رحمه الله– نحو هذا لما قدم اليمن قال : في أي شيءٍ هم مشتهرون به ؟ قيل في النبيذ وفي علي ، فلم يحدث في ذلك بحديث إلى أن خرج من اليمن. فالعلماء لهم بصيرة في الأشياء وتختار ما تراه صواباً للعامة ، وكل هذا القول صحيح جيد. ويحيى بن معين –رحمه الله– وبشر بن الحارث ففي الرواية عنهما نحو الرواية عن أبي عبدالله ، يكرر عنه مرة يقول : وعثمان وحكى عنه مرة يقولون : عثمان وعلي ، وكل هذا صحيح على ما قالوا. ((السنة)) : (٢/٤١٠). ويؤكد كلام الخلال ما نقله أبو يَعلى في طبقات الحنابلة عن محمد بن عوف الحمصي أنه قال : يا أبا عبدالله فإنهم يقولون : إنك وقفت على عثمان ؟ فقال : كذبوا والله علي ، إنما حدثتهم بحديث ابن عمر : ((كنا نفاضل بين أصحاب رسول الله ﷺ ... فلا ينكره)). ولم يقل النبي ﷺ : لا تخايروا بعد هؤلاء بين أحد ، ليس لأحدٍ في ذلك حجة ، فمن وقف على عثمان ولم يُربِّع بعلي فهو على غير السنة يا أبا جعفر)) ((طبقات الحنابلة)) : (١/٣١٣).

وفي صنيع هؤلاء الأئمة الإمام أحمد وسفيان ويحيى بن معين وغيرهم درس وتنبيه لطلبة العلم وأهله الذين يتصدرون للتدريس ووعظ العامة بأن يحدثوا الناس بما يعرفون حتى لا يُكذَّب الله ورسوله..!!

(٢) ((شرح السنة)) : ص (١٣٤).

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((.. وذلك أنهم يؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، ومن طعن في خلافة أحدٍ من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله))(١).

وقال -رحمه الله- : ((قال أحمد : من لم يربع بعلي في الخلافة فهو أضل من حمار أهله ، ونهى عن مناكحته ، وهومتفق عليه بين الفقهاء وعلماء السنة وأهل المعرفة والنصوص ، وهو مذهب العامة))(٢).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام أبو بكر الآجري -رحمه الله- : ((اعلموا رحمنا الله وإياكم أن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان وعلي ﷺ بيانها في كتاب الله ﷻ ، وفي سنة رسول الله ﷺ وبيان من قول أصحاب رسول الله ﷺ ، وبيان من قول التابعين لهم بإحسانٍ ، ولا ينبغي لمسلمٍ عقل عن الله ﷻ أن يشك في هذا))(٣).

وقال الإمام أبو عثمان إسماعيل الصابوني -رحمه الله- : ((ويثبت أصحاب الحديث خلافة أبي بكر ﷺ .. ثم خلافة عمر بن الخطاب ﷺ .. ثم خلافة عثمان ﷺ .. ثم خلافة علي ﷺ))(٤).

وقال الإمام أبو بكر الإسماعيلي -رحمه الله- : ((ويثبتون خلافة أبي بكر ﷺ بعد رسول الله ﷺ باختيار الصحابة إيَّاه ، ثم خلافة عمر بعد أبي بكر ﷺ باستخلاف أبي بكر إيَّاه ، ثم خلافة عثمان ﷺ باجتماع أهل الشورى وسائر المسلمين عليه عن أمر عمر ، ثم خلافة علي بن أبي طالب ﷺ عن بيعة من بايع من البدريين))(٥).

---

(١) ((الواسطية)) مجموع الفتاوى : (٣/١٥٣).

(٢) ((مجموع الفتاوى)) : (٣٥/١٩).

(٣) ((الشريعة)) للآجري : (٤/١٧٠٢).

(٤) ((عقيدة السلف وأصحاب الحديث)) : ص (٢٩٠).

(٥) ((اعتقاد أئمة الحديث)) : ص (٧١).

وانظر أيضاً مسائل الإمام أحمد رواية ابنه أبي الفضل[(١)] [(٢)] ؛ وسيرة الإمام أحمد لابنه أبي الفضل[(٣)] ؛ والسنة لابن أبي عاصم[(٤)] ؛ وصريح السنة للطبري[(٥)] ؛ والطحاوية لأبي جعفر الطحاوي[(٦)] ؛ والشرح والإبانة للعكبري[(٧)] ؛ والاعتقاد والهداية للبيهقي[(٨)].

ذكر مستند الإجماع على خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة :

الأمر في خلافة الخلفاء الراشدين الأربعة وترتيبهم هو أظهر من ترتيبهم في الفضل ولهذا وصف الإمام أحمد وغيره أن من لم يقل بذلك فهو أضل من حمار أهله.

وقد قال شيخ الإسلام : ((مسألة عثمان وعلي [أي في تقديم أحدهما على الآخر في الفضل] ليست من الأصول التي يُضلل المخالف فيها عند جمهور أهل السنة ، لكن المسألة التي يُضلل المخالف فيها هي مسألة الخلافة))[(٩)].

وقد اتفق الصحابة على خلافة أبي بكر ﷺ كما في سقيفة بني ساعدة.

ثم استخلف أبو بكر ﷺ عمر بن الخطاب بعده واتفق الصحابة عليه كذلك ، ثم وكل عمر بن الخطاب ﷺ بالخلافة إلى الستة الذين توفي النبي ﷺ وهو عنهم راضٍ (عثمان – علي – طلحة – الزبير –عبدالرحمن بن عوف – سعد بن أبي وقاص) فاتفقت الأمة على تقديم عثمان رضي ا لله عن الجميع ، ثم استخلف علي بن أبي طالب بعد مقتل واستشهاد عثمان ، فالأمة مجمعةٌ على ترتيب هؤلاء الخلفاء الأربعة ،

---

(١) أبو الفضل صالح بن أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني البغدادي ، الإمام المحدِّث الحافظ الفقيه القاضي ، سمع أباه وتفقه عليه ، ولد سنة ثلاث ومائتين ، وتوفي سنة ست وستين ومائتين. ((السير)) : (٥٢٩/١٢).

(٢) ص (٩٩).

(٣) ص (٧٦).

(٤) (٥٢٠/٢).

(٥) ص (٢٤).

(٦) ص (١٤).

(٧) ص (٢٥٧).

(٨) ص (٢١٨).

(٩) ((مجموع الفتاوى)) : (١٥٣/٣).

وقد أشار إليهم النبي ﷺ بقوله من حديث سفينه مولى رسول الله ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((الخلافة ثلاثون عاماً ، ثم يكون بعد ذلك الملك)) ، قال سفينه : ((أمسك خلافة ابي بكر رضي الله عنه سنتين ، وخلافة عمر رضي الله عنه عشر سنين ، وخلافة عثمان رضي الله عنه اثنتي عشرة سنة ، وخلافة علي رضي الله عنه ست سنين))(١).

---

(١) ((مسند الإمام أحمد)) (٢٨٩/٦) وقد صححه الإمام أحمد كما في المسند من مسائل الإمام أحمد للخلال (مخطوط) نقلاً من كتاب الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة د.عبدالله بن عمر الدميجي. ص (٣٨ ، ٣٩) ؛ ((سنن أبي داود)) ، كتاب السنة ، باب في الخلفاء ، ح(٤٦٤٦) (٣٦/٥). وصححه الألباني كما في السلسلة الصحيحة : ح(٤٥٩) (٧٤٢/١).

الباب الخامس
الفرق

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول

عدم تكفير الفرق (الثنتين وسبعين)
المشار إليها في الحديث

الفصل الثاني :

أحكام قتال بعض الفرق

الفصل الثالث :

أحكام بعض الفرق

الفصل الأول

عدم تكفير جميع الفرق (الثنتين والسبعين) المشار إليها في الحديث

عدم تكفير جميع الفرق (الثنتين وسبعين فرقة) المشار إليها في الحديث

أمر الله ﷻ بالجماعة وحذّر من الفرقة فقال تعالى : ﴿وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللهِ جَمِيعَاً وَلاَ تَفَرَّقُوا﴾[١] فالرحمة والخير في الجماعة ، والنقمة والشر في الفرقة ، والجماعة تكون في الحق والسنة.. والفرقة تكون في الضلال والبدعة.. ولقد حذّر سلفنا الصالح من مجالسة أهل البدع والاستماع لهم ومن الدخول في علم الكلام لما في ذلك من الضرر العظيم على المعتقد والدين ، قال الإمام الشافعي -رحمه الله- : ((لأن يبتلى المرء بما نهى الله عنه خلا الشرك بالله خيرٌ له من أن يُبتلى بالكلام))[٢] وذلك لأن الابتداع في الدين من باب الشبه.. والمعاصي من باب الشهوة ، ومرض الشبهة أخطر من مرض الشهوة.. فالأول يرى أنه على الحق ويدعو بالثبات عليه.. والثاني يرى أنه مذنب ومخطئ ويرجو مغفرة ذنبه والتوبة منه.

ومن قدر الله الكوني وإرادته الكونية والقدرية أن هذه الأمة تفترق إلى اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة.. كما أخبر بذلك الصادق المصدوق ﷺ[٣].. ولم يقل عليه الصلاة والسلام كلها خالدةٌ في النار.. فلو قال ذلك لكان الحكم فيهم أنهم كفار خارجون من الملة.. وإنما قال عليه الصلاة والسلام كلها في النار ومن دخل النار قد يخلد فيها مثل المنافقين والكافرين وقد لا يخلد مثل عصاة الموحدين أهل الشفاعة من أمة محمد ﷺ .

وقد أخبر النبي ﷺ في الحديث نفسه أن فرقة واحدة هي الناجية ، فدلَّ ذلك على أن الحق لا يتعدَّد في أكثر من فرقة.. نعم يكون مع الفرقة جزءٌ من الحق.. ولكن الحق

---

(١) سورة آل عمران ، آية : (١٠٣).

(٢) ((الحجة في بيان المحجة)) : (١/١١٥).

(٣) الحديث أخرجه أبو داود في سننه كتاب السنة ، باب شرح السنة ح (٤٥٩٦) (٤/٥) قال شيخ الإسلام : الحديث صحيح مشهور في السنن والمسانيد. ((مجموع الفتاوي)) : (٣/٣٤٥).

والسلامة والدين يكون في فرقةٍ واحدةٍ هي التي كانت على ما كان عليه النبي ﷺ وصحابته رضي الله عنهم أجمعين.. وكل فرقة وطائفة تخالف هدي رسول الله ﷺ وهدي صحابته رضي الله عنهم.. فهي في النار.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((.. ومن قال إن اثنتين وسبعين فرقة كل واحدٍ منها يكفر كفراً ينقل عن الملة قد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين ، بل وإجماع الأئمة الأربعة وغير الأربعة ، وليس فيهم من كفّر كل واحدٍ من الثنتين وسبعين فرقة ، وإنما يكفر بعضهم بعضاً ببعض المقالات))[1].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

من تتبع أحوال الصحابة رضي الله عنهم وأئمة السلف.. واستقرأ كتب الأئمة في اعتقاد أهل السنة والجماعة.. ابتداء بقول علي بن أبي طالب ﷺ في الخوارج وأنهم فروا من الكفر.. و لم يقاتلهم قتال الكفار المرتدين.. وعدم تكفير السلف للقدرية المنكرين مرتبة المشيئة والخلق دون العلم والكتابة.. فضلاً عن مرجئة الفقهاء وغيرها من فرق القبلة.. يتبين له قطعاً أن الفرق التي أشار إليها النبي ﷺ في حديث افتراق أمته إلى اثنتين وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة أنها ليست كلها فرقاً هالكة خارجة عن الملة وأنها تختلف في قربها وبعدها عن الحق بحسب قربها وبعدها من منهج سلف الأمة وأئمتها.

ذكر مستند الإجماع على عدم تكفير جميع الفرق الثنتين وسبعين فرقة المشار إليها في الحديث :

عن أبي هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : ((افترقت اليهود على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفرقت النصارى على إحدى أو اثنتين وسبعين فرقة ، وتفترق

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٧/٢١٨).

أمتي على ثلاث وسبعين فرقة)) وفي حديث معاوية بن أبي سفيان ﷺ : ((ثنتان وسبعون في النار ، وواحدة في الجنة ، وهي الجماعة))(١).

فحكم النبي ﷺ على سائر الفرق سوى الفرقة الناجية أنهم في النار ، ولم يحكم عليهم بالخلود.

قال شيخ الإسلام : ((الصحابة رضي الله عنهم والتابعون لهم بإحسان لم يكفروهم [أي الخوارج] ولا جعلوهم مرتدين ولا اعتدوا عليهم بقول ولا فعل ، بل اتقوا الله فيهم ، وساروا فيهم السيرة العادلة ، وهكذا سائر فرق أهل البدع والأهواء من الشيعة والمعتزلة وغيرهم ، فمن كفر الثنتين والسبعين فرقة كلهم فقد خالف الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان... وليس قوله ((ثنتان وسبعون في النار وواحدة في الجنة)) بأعظم من قوله تعالى : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَموَالَ الْيَتَامَى ظُلماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِم نَاراً وَسَيَصلَونَ سَعِيراً**﴾ وقوله : ﴿**وَمَن يَفعَل ذَلِكَ عُدوَاناً وَظُلماً فَسَوفَ نُصلِيهِ نَاراً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيراً**﴾ وأمثال ذلك من النصوص الصريحة بدخول من فعل ذلك النار ، ومع هذا فلا نشهد لمعين في النار.. لإمكان أنه تاب ، أو كانت له حسنات محت سيئاته أو كفَّر الله عنه بمصائب))(٢).

---

(١) انظر تخريجه ص (٢٨٩).

(٢) ((منهاج السنة)) : (٢٤٩/٥).

الفصل الثاني
أحكام قتال بعض الفرق

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول :
قتال الخوارج

المبحث الثاني :
قتال وكفر من امتنع عن التزام الفريضة وإن أقرَّ بوجوبها

المبحث الثالث :
ليس كل قتال بين طائفتين من المؤمنين يوجب التبديع والتفسيق

المبحث الأول

قتال الخوارج

المبحث الأول

قتـــال الخـــوارج

الخوارج من أوائل الفرق ظهوراً وخروجاً على جماعة المسلمين ، قال شيخ الإسلام : ((أول من فارق جماعة المسلمين من أهل البدع الخوارج المارقون))(١).

((وكان ابن عمر رضي الله عنهما يراهم شرار الخلق ، وقال : إنهم انطلقوا إلى آياتٍ نزلت في الكفار فجعلوها في المؤمنين))(٢).

ولذلك يكفِّرون صاحب الكبيرة.. وهاتان الصفتان الخروج على الجماعة، وتكفير أصحاب الذنوب ترتب عليها قتلهم لأهل الإسلام ، وتكفيرهم للأئمة الأعلام أمثال علي بن أبي طالب وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان وغيرهم من الصحابة رضي الله عن الجميع..

وقد اتفقت الأمة على تضليلهم وذمهم(٣) وقتالهم ، ويطلق عليهم الحرورية(٤) والمحكِّمة(٥) والشراة(٦) وغير ذلك من الألقاب.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((.. اتفق الصحابة وعلماء المسلمين على قتال الخوارج))(٧).

---

(١) ((مجموع الفتاوي)) : (٣/٣٤٩).

(٢) ((صحيح البخاري)) : (٤/٢٨٠).

(٣) ((مجموع الفتاوي)) : (٢٨/٥١٨).

(٤) لأنهم حين خروجهم على علي بن أبي طالب ﷺ تجمعوا في ((حروراء)) في العراق.

(٥) لأنهم اتهموا علياً بتحكيم الرجال ، وقالوا : لا حكم إلا لله.. وفارقوا المسلمين بسبب قضية التحكيم في صفين.

(٦) لأنهم يزعمون أنهم يشرون أنفسهم (يبيعون أنفسهم) ابتغاء مرضاة الله في قتال المسلمين.

(٧) ((منهاج السنة)) : (١/٦٨).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

قال الإمام أبو محمد البربهاري -رحمه الله- : ((ويحل قتال الخوارج إذا عرضوا للمسلمين في أنفسهم وأموالهم وأهاليهم))(١).

وقال الإمام أبو بكر الآجري -رحمه الله- : ((باب "ذم الخوارج وسوء مذهبهم، وإباحة قتالهم وثواب من قتلهم ، وقتلوه"... لم يختلف العلماء قديماً وحديثاً أن الخوارج قوم سوء عصاة لله تعالى ولرسوله ﷺ وإن صلوا وصاموا واجتهدوا في العبادة فليس ذلك بنافعٍ لهم... قاتلهم علي رضي الله عنه فأكرمه الله تعالى بقتالهم ، وأخبر عن النبي ﷺ بفضل من قتلهم أو قتلوه ، وقاتل معه الصحابة))(٢).

وقال الإمام ابن عبدالبر -رحمه الله- بعد ذكره للآثار المرفوعة والموقوفة في فضل الجماعة- : ((الآثار المرفوعة في هذا الباب كلها تدل على أن مفارقة الجماعة وشق عصا المسلمين ، والخلاف على السلطان المجتمع عليه ، يريق الدم ويبيحه ويوجب قتال من فعل ذلك))(٣).

وانظر أيضاً السنة للخلال(٤) ؛ والسنة لابن أبي عاصم(٥) ؛ شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للالكائي(٦) ؛ والحجة في بيان المحجة للأصبهاني(٧).

ذكر مستند الإجماع على قتال الخوارج :

ثبت في الصحيح عن أبي سعيدٍ الخدري ﷺ قال : بعث علي ﷺ وهو باليمن بذَهَبَةٍ في تربتها إلى رسول الله ﷺ فقسمها الرسول ﷺ بين أربعة نفر... فجاء رجلٌ

---

(١) ((شرح السنة)) للبربهاري : ص (٧٨).
(٢) ((الشريعة)) : (٣٢٥/١ ، ٣٢٦).
(٣) ((فتح البر)) : (١٣١/١).
(٤) (١٤٤/١).
(٥) (٤٢٥/٢).
(٦) (١٣٠٣/٧).
(٧) (٥١٤/٢).

كث اللحية ، مشرف الوجنتين ، غائر العينين ، ناتئ الجبين ، محلوق الرأس فقال : اتقِ الله يا محمد ! قال : فقال رسول الله ﷺ : ((فمن يطع الله إن عصيتُه! أيأمنني على أهل الأرض ولا تأمنوني ؟)) قال : ثم أدبر الرجل. فاستأذن رجلٌ من القوم في قتله (يرون أنه خالد بن الوليد) فقال رسول الله ﷺ : ((إن من ضئضئ هذا قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم ، يقتلون أهل الإسلام ، ويدعون أهل الأوثان ، يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرميَّة ، لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد))[1].

فأخبر النبي ﷺ أنه إن أدرك "الخوارج" ليقتلنهم قتل عاد.. بل أمر عليه الصلاة والسلام بقتالهم ، وأخبر أن في قتلهم أجراً عند الله يوم القيامة ، فأخرج الشيخان رحمهما الله من حديث علي بن أبي طالبٍ ﷺ أنه قال : إذا حدثتكم عن رسول الله ﷺ حديثاً فوالله لأن أخر من السماء أحب إليَّ من أن أكذب عليه ، وإذا حدثتكم فيما بيني وبينكم فإن الحرب خدعة ، وإني سمعت رسول الله ﷺ يقول : ((سيخرج قومٌ في آخر الزمان أحداث الأسنان ، سفهاء الأحلام ، يقولون من خير قول البرية ، لا يجاوز إيمانهم حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، فأينما لقيتموهم فاقتلوهم ، فإن في قتلهم أجراً لمن قتلهم يوم القيامة))[2].

---

(١) ((صحيح مسلم)) كتاب الزكاة ، باب ذكر الخوارج وصفاتهم ح (١٠٦٤) (٢/٧٤١).

(٢) صحيح البخاري ، كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب قتل الخوارج والملحدين بعد إقامة الحجة عليهم ح(٦٩٣٠) (٤/٢٨٠). صحيح مسلم كتاب الزكاة ، باب التحريض على قتل الخوارج ح(١٠٦٦) (٢/٧٤٦).

المبحث الثاني

قتال وكفر من امتنع عن التزام الفريضة

وإن أقرَّ بوجوبها

المبحث الثاني

قتال وكفر من امتنع عن التزام الفريضة وإن أقر بوجوبها

يؤمن أهل السنة والجماعة بقتال وكفر كل فرقةٍ تمتنع عن الالتزام بشريعةٍ من شرائع الإسلام الظاهرة والمتواترة ، ويكون كفر امتناع وإباء عن الانقياد والالتزام بهذه الشريعة الظاهرة وإن كان مقراً بها.. فالكفر قد يكون بإنكار الفريضة وقد يكون بالامتناع عنها وإن أقر(١) بوجوبها. وهنا أقسامٌ ثلاثة :

- إنكار وجوب الفريضة.
- الامتناع عن أدائها وإن كان مقراً بوجوبها.
- ترك الفريضة تهاوناً وكسلاً مع الإقرار بوجوبها.

فالأول والثاني ، كفرٌ باتفاق سلف الأمة وأئمتها.

والثالث قال الإمام أحمد : ((لم أسمع في شيءٍ من الأعمال تركه كفر إلا الصلاة))(٢) وقال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله– : ((وتكفير تارك الصلاة هو المشهور المأثور عن جمهور السلف من الصحابة والتابعين))(٣).

فيكفر تارك الصلاة بالكلية لورود النصوص الخاصة في ذلك وأما بقية الفرائض فلا يكفر بتركها كسلاً وتهاوناً وبخلاً(٤).

---

(١) وكلا المعنيين يطلق عليه جحود ، فالأول جحود الإقرار والتصديق ، فينكر ويكذب ، والثاني جحود الانقياد والالتزام فيتولى ويمتنع ، قال تعالى عن قوم فرعون : ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُم آيَاتُنَا مُبصِرَةً قَالُوا هَذَا سِحرٌ مُبِينٌ ۞ وَجَحَدُوا بِهَا وَاستَيقَنَتهَا أَنفُسُهُم ظُلمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل : ١٣، ١٤] وقال تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ : ﴿قَد نَعلَمُ إِنَّهُ لَيَحزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُم لا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجحَدُونَ﴾ [الأنعام : ٣٣].

(٢) ((أحكام أهل الملل)) : ص (٤٧١).

(٣) ((مجموع الفتاوى)) : (٢٠/٩٧).

(٤) ذكر شيخ الإسلام أقوالاً لأهل العلم في ذلك ، انظر : ((مجموع الفتاوى)) : (٢٠/٩٦).

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- في -حكم تارك الصلاة- : ((الثاني : أن لا يجحد وجوبها ، لكنه ممتنع من التزام فعلها كبراً أو حسداً أو بغضاً لله ورسوله فيقول : اعلم أن الله أوجبها [أي الصلاة] على المسلمين ، والرسول صادقٌ في تبليغ القرآن ، ولكنه ممتنع عن التزام الفعل استكباراً أو حسداً للرسول، أو عصبية لدينه ، أو بغضاً لما جاء به الرسول فهذا أيضاً كافر بالاتفاق))(١).

وقال -رحمه الله- : ((أجمع علماء المسلمين على أن كل طائفةٍ ممتنعةٍ عن شريعةٍ من شرائع الإسلام الظاهرة المتواترة فإنه يجب قتالها حتى يكون الدين كله لله))(٢).

وقال -رحمه الله- : ((وقد اتفق الصحابة والأئمة بعدهم على قتال مانعي الزكاة وإن كانوا يصلُّون الخمس ، ويصومون شهر رمضان ، وهؤلاء لم يكن لهم شبهةٌ سائغةٌ ، فلهذا كانوا مرتدين ، وهم يقاتلون على منعها وإن أقروا بالوجوب))(٣).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

ربما يكون هذا أول إجماعٍ للأمة أو من أوائل الإجماعات بعد وفاة الرسول ﷺ .. فالمهاجرون والأنصار وعلى رأسهم الخليفة الراشد خليفة رسول الله ﷺ أبو بكر الصديق ﷺ .. كلهم اتفقوا على قتال المانعين للزكاة ومعاملتهم معاملة الكفار في سبي نسائهم واغتنام أموالهم وسفك دمائهم وإن كانوا من المصلين والمقرين بوجوب الزكاة. يقول الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام(٤) -رحمه الله- [بعد ذكره للصلاة وأنها من الإيمان] : ((أنزل الله فرض الزكاة في إيمانهم إلى ما قبلها ، فقال : ﴿أَقِيمُوا

---

(١) ((مجموع الفتاوى)) : (٢٠/٩٧).

(٢) المصدر نفسه : (٢٨/٤٦٨).

(٣) المصدر نفسه : (٢٨/٥١٩).

(٤) أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبدالله الإمام الحافظ صاحب كتاب (الإيمان) و (الأموال) ، قال الذهبي : ((صنف التصانيف المُونقة التي سارت بها الركبان)) ولد سنة سبع وخمسين ومائة وتوفي سنة أربع وعشرين ومائتين ((السير)) : (١٠/٤٩٠).

الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾(١) وقال : ﴿خُذ مِن أَموالِهِم صَدَقَةً تُطَهِّرُهُم وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(٢) ، فلو أنهم ممتنعون من الزكاة عند الإقرار وأعطوه ذلك بالألسنة. وأقاموا الصلاة غير أنهم ممتنعون من الزكاة كان ذلك مزيلاً لما قبله ، وناقضاً للإقرار والصلاة كما كان إباء الصلاة قبل ذلك ناقضاً لما تقدم من الإقرار. والمصدِّق لهذا جهاد أبي بكر الصديق رحمة الله عليه بالمهاجرين والأنصار على منع العرب الزكاة ، كجهاد رسول الله ﷺ أهل الشرك سواء لا فرق بينها في سفك الدماء وسبي الذرية واغتنام الأموال ، فإنما كانوا مانعين لها غير جاحدين بها))(٣).

قال معقل بن عبيد الله العبسي(٤) : ((قدمت المدينة فجلست إلى نافع(٥) فقلت له : يا أبا عبدالله.. إنهم [أي المرجئة] يقولون نحن نقر بأن الصلاة فريضة ولا نصلي ، وأن الخمر حرام ونحن نشربها ، وأن نكاح الأمهات حرام ونحن نفعل ، قال : فنتر يده من يدي ثم قال : من فعل هذا فهو كافر))(٦).

وقال الإمام أبو بكر الخلال : أخبرني الميموني(٧) قال : قلت يا أبا عبدالله : ((من منع الزكاة يقاتل ؟ قال : قد قاتلهم أبوبكر ﷺ. قلت : فيورث ويصلى عليه؟ قال : إذا منعوا الزكاة كما منعوا أبا بكر وقاتلوا عليها لم يورثوا و لم يصل عليهم ، فإذا كان الرجل يمنع الزكاة يعني من بخل أو تهاون لم يقاتِل و لم يحارِب على المنع

(١) سورة المزمل ، آية : (٢٠).

(٢) سورة التوبة ، آية : (١٠٣).

(٣) ((الإيمان)) : ص (١٢).

(٤) أبو عبدالله معقل بن عبدالله الجزري المحدِّث مولى بني عبس ، توفي سنة ست وستين ومائة. ((السير)) : (٣١٨/٧).

(٥) أبو محمد نافع بن جبير بن مطعم بن عدي القرشي المدني ، الإمام الفقيه الحجة توفي سنة تسع وتسعين. ((السير)) : (٥٤١/٤).

(٦) ((السنة)) لعبدالله : (٣٨٣/١). و ((الإبانة الكبرى)) : (٨١٠/٢).

(٧) أبو الحسن عبدالملك بن عبدالحميد بن عبدالحميد بن ميمون بن مهران الميموني الرقي الإمام العلامة الحافظ الفقيه تلميذ الإمام أحمد ، قال الذهبي : ((من كبار الأئمة)) توفي سنة أربع وسبعين ومائتين. ((السير)) : (٨٩/١٣).

يورث ويصلى عليه حتى يكون يدفع عنها بالخروج والقتال كما فعل أولئك بأبي بكر فيكون حينئذٍ يحاربون على منعها ولا يورث ولا يصلى عليه))[١].

وانظر أيضاً إلى ما ذكره أبو عمر العدني[٢] -رحمه الله- في الإيمان[٣] ؛ وابن خزيمة -رحمه الله- في صحيحه[٤] ، وأبو الحسن الأشعري -رحمه الله- في رسالته إلى أهل الثغر[٥] ؛ وابن عبدالبر -رحمه الله- في التمهيد[٦].

ذكر مستند الإجماع على قتال وكفر من امتنع عن التزام الفريضة وإن أقرَّ بوجوبها :

الامتناع عن الفريضة هو الانصراف عنها والتولي عن أدائها.. والإيمان تصديق وانقياد.. وضد التصديق التكذيب ، وضد الانقياد والالتزام التولي والامتناع. قال تعالى: ﴿**لا يَصلاهَا إلاَّ الأَشقَى ۞ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾[٧] وقال تعالى : ﴿**فَلاَ صَدَّقَ وَلاَ صَلَّى وَلَكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾[٨].

وقال النبيان الأخوان موسى وهارون عليهما السلام ﴿**إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ العَذَابَ عَلَى مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّى**﴾[٩].. فالكفر يكون في التكذيب ويكون في التولي والامتناع كما أن الإيمان يكون في التصديق والانقياد. يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((ولا يكون مؤمناً إلا بمجموع الأمرين [أي التصديق والانقياد] فمتى ترك

---

(١) ((أحكام أهل الملل)) : ص (٤٨٨).

(٢) أبو عبدالله محمد بن يحيى بن أبي عمر العدني الإمام المحدث الحافظ شيخ الحرم ، توفي سنة ثلاث وأربعين ومائتين. ((السير)) : (٩٦/١٢).

(٣) ص (٦٧).

(٤) (٧/٤).

(٥) ص (٢٧٠).

(٦) ((فتح البر)) : (١٣٢/١).

(٧) سورة الليل ، آية : (١٦).

(٨) سورة القيامة ، آية : (٣٢).

(٩) سورة طه ، آية : (٤٨).

الانقياد كان مستكبراً فصار من الكافرين وإن كان مصدقاً ، فالكفر أعم من التكذيب يكون تكذيباً وجهلاً ، ويكون استكباراً وظلماً))[١] ويقول أيضاً –رحمه الله– : ((من لم ينقد لأمره فهو إما مكذبٌ له أو ممتنعٌ عن الانقياد لربه ، وكلاهما كفر صريح))[٢].

فالتولي عن الفريضة والامتناع عنها كفرٌ ورده.

قال تعالى : ﴿قُلْ أَطِيعُوا اللهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّ اللهَ لاَ يُحِبُّ الكَافِرِينَ﴾[٣] فمن تولَّ وامتنع فهو من الكافرين.

وقال تعالى : ﴿وَقُل لِلَّذِينَ أُوتُوا الكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهتَدَوا وَإِن تَوَلَّوا فَإِنَّمَا عَلَيكَ البَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالعِبَادِ﴾[٤].

فمن تولَّ لم يسلم.. والتولي هو الانصراف والامتناع عن الدين يقول ابن جرير الطبري –رحمه الله– : ((وأصل التولي عن الشيء الانصراف عنه))[٥].

وقد يكون سبب هذا الانصراف والامتناع استكباراً أو إعراضاً أو بغضاً لله ورسوله أو حسداً أو استخفافاً في الشرائع ونحو ذلك.

يقول الإمام البخاري –رحمه الله– باب : ((قتل من أبى قبول الفرائض وما نُسبوا إلى الردة)) [أي ونسبتهم إلى الردة][٦]. ثم ذكر حديث أبي هريرة ﷺ أنه قال : ((لما توفي النبي ﷺ واستخلِف أبو بكر وكفر من كفر من العرب قال عمر : يا أبا بكر كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ : ((أُمرتُ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فمن قال لا إله إلا الله عَصَم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله))

---

(١) ((الصارم المسلول)) : (٩٦٨/٣).

(٢) المصدر نفسه : (٩٦٩/٣).

(٣) سورة آل عمران ، آية : (٣٢).

(٤) سورة آل عمران ، آية : (٢٠).

(٥) ((تفسير الطبري)) : (٥٨٨/٤).

(٦) يقول الحافظ ابن حجر –رحمه الله– : ((قال الكرماني (ما) في قوله (وما نسبوا) نافية كذا قال ، والذي يظهر لي أنها مصدرية أي ونسبتهم إلى الردة وأشار بذلك إلى ما ورد في بعض طرق الحديث الذي أورده)) ((فتح الباري)) : (٢٨٨/١٢) ، يشير إلى حديث أنس عند ابن خزيمة ، كتاب الزكاة ، جماع أبواب التغليظ في منع الزكاة ح (٢٢٤٧) (٧/٤) ((لما توفي رسول الله ﷺ ارتد عامة العرب)) ولما كان هذا الحديث لا يتفق مع شرطه في الصحيح أشار إليه في الترجمة.

قال أبو بكر : وا لله لأقاتلنَّ من فرَّق بين الصلاة والزكاة ، فإن الزكاة حق المال ، وا لله لو منعوني عناقاً كانوا يؤدونها إلى رسول ا لله ﷺ لقاتلتهم على منعها. قال عمر : فوا لله ما هو إلا أن رأيت أن قد شرح ا لله صدر أبي بكر للقتال ، فعرفت أنه الحق))[١].

وقال أبو هريرة ﷺ : ((وا لله الذي لا إله إلا هو لولا أن أبابكر استخلف لما عُبِدَ ا لله)) ، ولما قيل له : مه يا أبا هريرة ! قام بحجة صحة قوله فصدقوا فيه وأقروا به[٢].

(١) ((صحيح البخاري)) : كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم ، باب قتل من أبى قبول الفرائض وما نسبوا إلى الردة ، ح (٦٩٢٤) (٢٧٩/٤).

(٢) ((عقيدة السلف وأصحاب الحديث)) : ص (٢٩١).

المبحث الثالث

ليس كل قتال بين طائفتين من المؤمنين يوجب التبديع والتفسيق

المبحث الثالث

ليس كل قتال بين طائفتين من المؤمنين يوجب التبديع والتفسيق

قد يكون القتال بين طائفتين من المؤمنين من أجل شبهةٍ في تأويل النصوص.. وهذا القتال لا يترتب عليه تبديع ولا تفسيق.. وقد يكون القتال مع أهل البدع كما في قتال الخوارج المذكور سابقاً.. وقد يكون القتال قتال ردة كما في قتال الممتنعين عن الالتزام بالفريضة وشعائر الإسلام الظاهرة المتواترة كما في قتال أبي بكر الصديق ﷺ للمتنعين عن الزكاة من سائر العرب.

فالقتال يكون قتال ردة.. وقتال أهل البدع.. وقتال أهل البغي ، وقد يكون أيضاً قتال المحاربين المفسدين في الأرض وقطاع الطريق.

فقتال الردة يترتب عليه التكفير.

وقتال أهل البدع يترتب عليه التبديع.

وقتال المحاربين يترتب عليه التفسيق.

وأما قتال أهل البغي فقد يكون لشبهة في التأويل فلا يترتب عليه تبديع ولا تفسيق فضلاً عن التكفير.

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال –رحمه الله– : «اتفق أهل السنة على أن لا تفسق واحدة من الطائفتين [أي طائفة علي ومعاوية] وإن قالوا في أحدهما أنهم كانوا بغاةً لأنهم كانوا متأولين

مجتهدين والمجتهد المخطئ لا يكفر ولا يفسق ، وإن تعمد البغي فهو ذنب من الذنوب والذنب يرفع عقابه بأسباب متعددة ، كالتوبة والحسنات الماحية))(١).

وقال -رحمه الله- : ((وقد آل الشر بين السلف إلى الاقتتال مع اتفاق أهل السنة على أن الطائفتين جميعاً مؤمنتان وأن الاقتتال لا يمنع العدالة الثابتة لهم ، لأن المقاتل وإن كان باغياً فهو متأول ، والتأويل يمنع الفسوق))(٢).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

أجمع أهل العلم على أن القتال بين طائفة علي ومعاوية رضي الله عنهما قتال على تأويل القرآن لا تبدّع فيه إحدى الطائفتين ولا تفسّق ولهذا كل ما ترتب عليه من سفك دم أو أخذ مال فإنه هدر ، قال الإمام الزهري -رحمه الله- : ((وقعت الفتنة وأصحاب رسول الله ﷺ متوافرون فأجمعوا أن كل مال أو دم أصيب بتأويل القرآن فإنه هدر))(٣).

وقال الإمام الخطابي -رحمه الله- [في شرح الحديث] : ((إن ابني هذا سيد.. ولعل الله يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين)) : ((وفي الخبر دليل على أن واحداً من الفريقين لم يخرج بما كان منه في تلك الفتنة من قول أو فعلٍ عن ملة الإسلام ، إذ قد جعلهم النبي ﷺ مسلمين ، وهكذا سبيل كل متأول فيما تعاطاه من رأي ومذهب ودعا إليه ، إذ كان قد تأوله بشبهةٍ وإن كان مخطئاً في ذلك))(٤).

ذكر مستند الإجماع على أنه ليس كل قتال بين طائفتين يوجب التبديع والتفسيق :

قال تعالى : **﴿وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ**

(١) ((منهاج السنة)) : (٣٩٤/٤).
(٢) ((مجموع الفتاوي)) : (٢٣٠/٣).
(٣) المصدر نفسه : (٥١٤/٢٨).
(٤) ((معالم السنن)) للخطابي المطبوع مع سنن أبي داود : (٤٩/٥).

فَأَصلِحُوا بَينَهُمَا بِالعَدلِ وَأَقسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ المُقسِطِينَ ۞ إِنَّمَا المُؤمِنُونَ إِخوَةٌ فَأَصلِحُوا بَينَ أَخَوَيكُم وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُم تُرحَمُونَ﴾[1].

فمع الاقتتال هم مؤمنون ولم تنتفِ عنهم الأخوة في الدين. قال ابن كثير : ((سماهم مؤمنين مع الاقتتال))[2] ، فلا يُبَدَّعون ولا يُفسَّقون.

(١) سورة الحجرات : (٩/١٠).

(٢) تفسير ابن كثير : (٣٧٢/٧).

الفصل الثالث

أحكام بعض الفرق

وفيه مبحثان :

المبحث الأول :

فرقة مخالفة ولم يحكم بكفرها

المبحث الثاني :

فرقة مخالفة ويحكم بكفرها

المبحث الأول

فرقة مخالفة ولم يحكم بكفرها وهي

(مرجئة الفقهاء)

المبحث الأول

فرقة مخالفة ولم يُحكَم بكفرها

وهي مرجئة الفقهاء

مرجئة الفقهاء.. وأشهر من يمثلهم هم فقهاء الحنفية أو كثيرٌ منهم ؛ ويقولون إن الإيمان اعتقاد وقول ، وأما العمل فيرجئونه عن الإيمان[1] ويرون أن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ولا يتفاضل أهله فيه.

---

(١) ومن الطوائف التي أرجأت العمل عن الإيمان أيضاً :

الجهمية ، فقالوا : الإيمان هو المعرفة.

والأشاعرة ، فقالوا : الإيمان هو التصديق.

الكرامية ، فقالوا : الإيمان هو القول.

فكل طوائف المرجئة أخروا العمل عن الإيمان.. ولهذا سموا مرجئة [انظر : ((الفرق بين الفرق)) للبغدادي : ص (١٨٧ ، ١٩١) وانظر في أقسام المرجئة : ((الإيمان)) للعدني : ص (٩٦) و ((الإيمان)) لأبي عبيد : ص (٥٠)].

وأما أهل السنة والجماعة فقد أجمعوا على أن الإيمان قولٌ وعمل وأن القول لا يقبل بلا عمل ، والعمل لا يقبل بلا قول ، وأن تارك العمل بالكلية كافر كفراً أكبر مخرجاً من الملة. ومن الذين نقلوا الإجماع على ذلك الإمام العظيم الفقيه محمد بن إدريس الشافعي -رحمه الله- فقال : ((وكان الإجماع من الصحابة والتابعين من بعدهم ، ومن أدركناهم يقولون : الإيمان قولٌ وعمل ونية ، لا يجزئ واحدٌ من الثلاث إلا بالآخر)). ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي : (٥/٩٥٧).

ونقله أيضاً الإمام الحافظ أبو بكر عبداله بن الزبير الحميدي -رحمه الله- فقال : ((أخبرت أن ناساً يقولون : من أقرَّ بالصلاة والزكاة والصوم والحج و لم يفعل من ذلك شيئاً حتى يموت ، أو يصلي مستدبر القبلة حتى يموت ، فهو مؤمنٌ ما لم يكن جاحداً إذا علم أن تركه ذلك فيه إيمانه إذا كان يُقر بالفرائض واستقبال القبلة ، فقلت : هذا الكفر الصراح ، وخلاف كتاب الله وسنة رسوله وفعل المسلمين ، قال تعالى : ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ وقال حنبل : سمعت أبا عبدالله أحمد بن حنبل يقول : من قال هذا فقد كفر بالله ، ورد على الله أمره ، وعلى الرسول ما جاء به)). ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي : (٥/٩٥٧).

وما أعظم وأوضح تقرير الإمام أبي ثور -رحمه الله- للمسألة عندما سُئل عن الإيمان ما هو ؟ وهل يزيد وينقص ؟ فقال : ((فأما الطائفة التي زعمت أن العمل ليس من الإيمان فيقال لهم : ما أراد الله ﷺ من العباد إذ قال لهم : ﴿أَقِيمُوا الصَّلاَةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ ؟ الإقرار بذلك ؟ أو الإقرار والعمل؟ فإن قالت : إن الله أراد الإقرار و لم يرد العمل فقد كفرت ، فإن قالت : أراد منهم الإقرار والعمل ، قيل : فإن أراد منهم الأمرين جميعاً لِمَ زعمتم أنه يكون مؤمناً بأحدهما دون الآخر ؟ وقد أرادهما جميعاً، أرأيتم لو أن رجلاً قال : أعمل جميع ما أمر الله ولا أقرّ به أيكون مؤمناً ؟ فإن قالوا : لا. قيل لهم : فإن قال : أقر بجميع ما أمر الله به ولا أعمل منه شيئاً أيكون مؤمناً ؟ فإن قالوا : نعم. قيل لهم : ما الفرق ؟ وقد زعمتم أن الله ﷺ أراد الأمرين جميعاً ، =

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((.. ثم إن السلف والأئمة اشتد إنكارهم على هؤلاء [مرجئة الفقهاء] وتبديعهم وتغليظ القول فيهم و لم أعلم أحداً منهم نطق بتكفيرهم بل هم متفقون على أنهم لا يكفرون في ذلك))(١).

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

نصوص أهل العلم من أئمة السنة وسلف الأمة المذكورة في كتب السلف المتقدمة لم تكفر هذه الفرقة مع تضليلها لها والتحذير منها وشدة إنكارهم عليها.. بل يقول الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام -رحمه الله- : ((اعلم رحمك الله : أن أهل العلم والعناية بالدين افترقوا في هذا الأمر فرقتين : فقالت إحداهما : الإيمان بالإخلاص لله بالقلوب وشهادة الألسنة وعمل الجوارح. وقالت الفرقة الأخرى : بل الإيمان

= فإن جاز أن يكون بأحدهما مؤمناً إذا ترك الآخر جاز أن يكون بالآخر إذا عمل و لم يقرَّ مؤمناً ، لا فرق بين ذلك)). ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي : (٤/٩٣٢)

ويقول الإمام المحدث شيخ العراق مصنف كتاب الإبانة ((الكبرى والصغرى)) أبو عبدالله عبيد الله بن محمد العكبري المعروف بابن بطة -رحمه الله- : ((فقد تلوت عليكم من كتاب الله ﷺ ما يدل العقلاء من المؤمنين أن الإيمان قول وعمل وأن من صدق بالقول وترك العمل كان مكذباً وخارجاً من الإيمان ، وأن الله لا يقبل قولاً إلا بعمل ولا عملاً إلا بقول)). ((الإبانة الصغرى)) الإيمان : (٢/٧٩٤).

وهناك نصوص عديدة لسلف هذه الأمة وأئمتها قد سطَّرتها لنا كتب أهل السنة المتقدمة وهي تؤكد لنا منهج أهل السنة في الإيمان وأنه قول وعمل لا يقبل أحدهما إلا بالآخر.. وهم -أي سلف الأمة وأئمتها- الميزان والمنهج في فهم النصوص.. قال الإمام الأوزاعي -رحمه الله- : ((اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم ، وقل بما قالوا ، وكف عما كفوا ، واسلك سبيل سلفك الصالح ، فإنه يسعك ما وسعهم)). ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) للالكائي : (١/١٧٤).

وقال الإمام أبو محمد الحسن البربهاري -رحمه الله- : ((فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصةً فلا تعجلن ، ولا تدخلنَّ في شيء منه حتى تسأل وتنظر : هل تكلم به أصحاب رسول الله ﷺ أو أحدٌ من العلماء ؛ فإن وجدت فيه أثراً عنهم فتمسك به ، ولا تجاوزه لشيء ، ولا تختر عليه شيئاً فتسقط في النار)) ((شرح السنة)) : ص(٦٩).

فالهلاك في الاستقلال في فهم النصوص دون فهم السلف.. وهو منهج وسمة لكل فرقةٍ تخالف أهل السنة.. وهذه كتب السنة بين أيدينا المطبوع منها أو المخطوط ، فهل فيها قولٌ لأحد الأئمة في عدم كفر تارك العمل بالكلية ، وإن العبد ينجو باعتقاد القلب والنطق بالشهادة دون العمل.. فضلاً عن اتفاقهم على ذلك !!

(١) ((مجموع الفتاوي)) : (٧/٥٠٧).

بالقلوب والألسنة، فأما الأعمال فإنما هي تقوى وبر ، وليست من الإيمان))[١]. فأطلق عليهم -رحمه الله- بأنهم أهل علم وعناية بالدين.. ثم رد عليهم وبيَّن خطأهم.

ذكر مستند الإجماع على عدم تكفير مرجئة الفقهاء :

مستند الإجماع عدم وجود المستند في تكفيرهم ، والأصل براءة الذمة.. فلم يقولوا أو يعتقدوا أو يعملوا ما يجعلهم خارجين من الملة ، فتكون فرقةً داخلةً في فرق أهل القبلة المنتسبين لهذه الملة. وإن كانوا أخطأوا في فهم بعض النصوص وحملوا بعضها على غير محملها الصحيح ، والله أعلم.

(١) ((الإيمان)) : ص (٩).

المبحث الثاني

فرقة مخالفة ويحكم بكفرها

وهي (النصيرية)

المبحث الثاني
فرقة مخالفة ويُحكَم بكفرها
وهي النصيرية

أتباع محمد بن نصير النميري.. ولهذا يُطلق عليهم "النصيرية" نسبةً وموافقةً للإسم "نصير".. ويطلق عليهم "النميرية" نسبةً وموافقةً للقب "النميري".. ويطلق عليهم "العلويون" وذلك لتأليههم علي بن أبي طالب ، وهم يفضلون هذا الاسم على غيره.

ومن أشهر رجالاتهم بعد محمد بن نصير النميري ، أبو محمد عبدا لله بن محمد الحنان الجنبلاني ثم الحسين بن حمدان الخصيبي ، ويعتبر المرجع الأعلى والشيخ الأعظم عند النصيرية ، وله اليد الطولى في تأسيس الفكر النصيري.. ومركز ثقلهم وتواجدهم في اللاذقية الجبال النصيرية ، وعددهم يزيد على مائتين وثمانين ألفاً في آخر إحصائية لهم[1].

ولا يطلعون أحداً على عقائدهم وعباداتهم وسرِّ دينهم حتى يبلغ الثامنة عشرة من عمره فيلقن سر الدين والعقيدة النصيرية على مراحل وجمعيات ؛ الأولى تسمى المشورة والثانية تسمى المليك ..وهكذا ، لكل مرحلةٍ وجمعية اسم.. ولهم صلاة فيها ست عشرة سورة تتحقق فيها عبادة علي بن أبي طالب.. ونص السورة الأولى (قد أفلح من أصبح بولاية الأجلح ، استفتح بأني عبدٌ ، استفتحت بأول إجابتي ، بحب قدس معنوية أمير النحل علي بن أبي طالب المكنى بجيدرة أبي تراب ، فيه استفتحت

(١) انظر : ((فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها)) د.غالب بن علي عواجي ؛ ((دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين والخوارج الشيعة)) د.أحمد محمد أحمد جلي ؛ ((الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة)) د.ناصر بن عبدا لله الغفاري. د.ناصر بن عبدالكريم العقل.

وفيه استنجحت ، وبذكره أفوز ، وفيه أنجو ، وإليه ألجأ ، وفيه تباركت ، وفيه استعنت ، وفيه بدأت ، وفيه ختمت بصحة الدين وإثبات اليقين...) إلخ السورة[١].

نص كلام شيخ الإسلام في المسألة :

قال -رحمه الله- : ((النصيرية هم من غلاة الرافضة الذين يدَّعون إلهية علي ، وهؤلاء أكفر من اليهود والنصارى باتفاق المسلمين))[٢].

ذكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام :

أول من ذكر فرقة النصيرية من المتقدمين هو أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني ، وذكر من عقائدهم ما يعرف به كفرهم[٣].. وكفر هذه الطائفة يعلم من دين الإسلام بالضرورة ، فإنهم ينكرون الإيمان وشرائع الإسلام ، وسنذكر شيئاً من ذلك في مبحث مستند الإجماع على كفرهم.

ذكر مستند الإجماع على كفر النصيرية :

كفر النصيرية أمر يعلم اضطراراً ، وذلك لتكذيبهم كتاب الله في تقرير الألوهية وإثبات البعث ، وتكذيبهم رسول الله ﷺ بالرسالة وتفاصيل يوم القيامة وإثبات الشرائع وغير ذلك ، ولهذا يقول شيخ الإسلام -رحمه الله- : ((وهم في الحقيقة لا يؤمنون بالله ، ولا برسوله ، ولا بكتابه ، ولا بأمر ولا نهي ، ولا ثواب ولا عقاب ، ولا جنة ولا نار ، ولا بأحدٍ من المرسلين قبل محمد ﷺ ، ولا بملة من الملل السالفة ، بل

---

(١) أظهر هذا وأشهره أحد النصيريين ، تركهم وتنصَّر وهو سليمان بن الشيخ أحمد أفندي الآذني ، ولد في مدينة أنطاكية (١٢٥٠هـ) وسكن مع والده في مدينة آدنه ، وترعرع حتى بلغ من العمر الثامنة عشرة ، يقول : ((ولما بلغت من العمر السنة الثامنة عشرة أخذ بنوا طائفتي يطلعونني على أسرارهم الباطنة التي لا يكشفونها إلا لمن بلغ هذا السن أو سن العشرين..)) وهكذا ذكر عقائد وعبادات وسور النصيريين في كتاب سمَّاه ((الباكورة السليمانية)).. لكن أهله أخذوا يراسلونه ويتلطفون في العبارة معه حتى أمن جانبهم فلما جاءهم أحرقوه حياً.

(٢) ((منهاج السنة)) : (٣/٤٥٢).

(٣) ((الملل والنحل)) : (٢/٢٤ ، ٢٥).

يأخذون كلام الله ورسوله المصدق عند علماء المسلمين يتأولونه على أمور يفترونها ، يدعون أنها ، علم الباطن... ومقصودهم إنكار الإيمان وشرائع الإسلام))[1].

ومن عقائدهم المستوجبة كفرهم قولهم :

- بحلول الله في علي بن أبي طالب.. ولهذا يدينون له بالإلهية ، وهذا الحلول يطلقون على صاحبه الذي حل الله فيه (المعنى) وعلى واسطة هذا الحلول وصورته في الظاهر (الاسم) و (الحجاب) وأما الطريق الذي يوصل إلى المعنى فيطلقون عليه (الباب) :

ويعنون بالمعنى : علي بن أبي طالب رضي الله عنه

ويعنون بالاسم : محمد بن عبدالله صلى الله عليه وسلم

ويعنون بالباب : سلمان الفارسي رضي الله عنه

واتخذوا من ذلك سراً يتكون من أحرف ثلاثة (ع.م.س).

ومن أشعارهم في ذلك :

أشهد أن لا إله إلا ... حيدرة الأنزع البطين

ولا حجاب عليه إلا ... محمد الصادق الأمين

ولا طريق إليه إلا ... سلمان ذو القوة المتين

ويعتقدون أن علياً خلق محمداً ، ومحمداً خلق سلمان ، وسلمان خلق الأيتام الخمسة الذين يملكون زمام الأمور وهم :

١)- المقداد بن الأسود : الموكل بالرعود والصواعق والزلازل.

٢)- أبو ذر الغفاري : الموكل بدوران الكواكب والنجوم.

٣)- عبدالله بن رواحة : الموكل بالرياح وقبض أرواح البشر.

٤)- عثمان بن مظعون : الموكل بالمعدة وحرارة الجسد وأمراض الإنسان.

---

(١) ((مجموع الفتاوي)) : ص (١٤٩).

٥)- قنبر بن كادان : الموكل بنفخ الأرواح في الأجسام.

- وقولهم بتناسخ الأرواح.. فيعتقدون أن المؤمن (وهو من يؤلّه علياً) إذا مات يتحول سبع مرات قبل أن يأخذ مكانه بين النجوم ، وإذا كان الواحد منهم قد أخطأ وضل وأصبح شريراً فإنه يولد من جديد نصرانياً أو مسلماً حتى يتطهر ويكفّر عن سيئاته ، وأما الذين لا يؤلّهون علياً فيولدون من جديد على هيئة كلاب ، أو بغال أو حمير.. وربما على هيئة امرأة عقوبة له.

- وقولهم بإنكار البعث والحساب والجنة والنار.. فلا يعتقدون باليوم الآخر وببعث الأبدان ، وتفاصيل يوم القيامة من حساب وصراط وثواب وعقاب[1].

يقول الشيخان الفاضلان د.ناصر القفاري ، و د.ناصر العقل وفقهما الله : وهذه العقائد.. يكفي في بيان فسادها مجرد عرضها.. فهي لا تتفق بحال مع النقل والعقل ، وتجمع بين الجهل والكفر.. فهي كيدُ جاهل ، وهوس موتور ، وهذيان معتوه ، وهي خلاصة لما أفرزه الكيد الباطني من زندقة وإلحاد ، ولهذا لا تعيش هذه الأفكار إلا في سراديب الكتمان والتخفي وأصحاب هذه العقائد لا يستجيبون لبراهين النقل والعقل[2].

---

(١) انظر : في عقائدهم : ((الملل والنحل للشهرستاني)) : (٢/٢٤،٢٥) ؛ ((مجموع الفتاوي)) : (٣٥/١٤٩) ؛ ((دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين)) : ص (٣١٤-٣١٩) ؛ ((الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة)) : ص (١٣٨) ؛ ((فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها)) : ص (٣٤٤-٣٥٣) ؛ ((الباكورة السليمانية)) مصورة عن المخطوط.

(٢) ((الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة)) : ص (١٣٩).

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ، وبعد هذه الأبواب والفصول والمباحث حول المسائل العقدية المجمع عليها عند سلف الأمة وأئمتها في أبوابٍ من العقيدة نخلص إلى النتائج التالية :

١)- أهمية العودة إلى الأصول والمصادر التي يعتمدها سلف الأمة في الاستدلال والتلقي.. وعدم الاستقلال في فهم النصوص دون الرجوع إلى فهم السلف واعتقادهم.

٢)- مكانة الإجماع وأهميته وأن ذلك يظهر بخصائص أربعة :

- عصمة الأمة أن تجتمع على ضلالة.
- حجية ما أجمعوا عليه ووجوب اتباعه.
- أن الإجماع لابد أن يكون عن مستند.
- تحريم مخالفة الإجماع.

٣)- شدة إنكار السلف على من يخالف الإجماع وأنه يعد من أهل الزيغ والضلال.

٤)- تحرير القول بكفر مخالف الإجماع ؛ وذلك بشروط ثلاثة :

أ- أن يكون الإجماع قطعياً.

ب- إقامة الحجة على مخالف الإجماع.

جـ- انتفاء الشبهة السائغة.

٥)- أن من خالف منهج السلف في الاتباع والتلقي والاستدلال فهو على منهج مخالف وخطأ ولو وافق السلف بالنتيجة.. وأما من كان على جادة السلف في الاستدلال والتلقي فهو على منهجٍ صحيحٍ وسلامةٍ في الاتباع ولو لم يوفق في النتيجة.

٦)- كل ما قرره شيخ الإسلام في العقيدة الواسطية يكون مجمعاً عليه.

٧)- ثبوت نقل شيخ الإسلام للإجماع على عدم فناء النار ، وهذا يبطل ما ينسب إليه من خلاف ذلك.

٨)- أن شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لا تعارض السمع والطاعة لولاة الأمور.. فكلاهما أصل من أصول أهل السنة والجماعة.

٩)- استقرار منهج سلف الأمة على أفضلية عثمان على علي رضي الله عن الجميع.

١٠)- أن الجحود لا يقتصر على جحود القلب من الإنكار وعدم الإقرار بل الامتناع والإعراض والاستكبار يكون جحوداً ﴿**فَإِنَّهُمْ لاَ يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِيْنَ بِآيَاتِ اللهِ يَجْحَدُونَ**﴾.

١١)- أن الكفر يكون بالاعتقاد ويكون بالفعل ويكون بالقول.

١٢)- كفر تارك العمل بالكلية.

وصلى الله وسلم وبارك على نبيه ورسوله محمد بن عبدالله ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،،،

المراجع

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الدار	الطبعة	المحقق
١	الإبانة عن أصول الديانة	أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٣٣٠)	مكتبة دار البيان	الطبعة الأولى	تحقيق / عبدالقادر الأرناؤوط
٢	الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية	أبو عبدالله عبيد الله بن محمد ابن بطة العكبري (٣٨٧)	دار الراية	الطبعة الأولى	تحقيق / رضا بن نعمان معطي
٣	الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان	بكر بن عبدالله أبو زيد	دار العاصمة	الطبعة الأولى	
٤	الآثار الواردة عن أئمة السنة في أبواب الاعتقاد من كتاب سير أعلام النبلاء	جمال بن أحمد	دار الوطن	الطبعة الأولى	
٥	الإجماع	ابن المنذر (٣١٨)	دار الكتب العلمية	الطبعة الأولى	
٦	الإجماع في التفسير	محمد بن عبدالعزيز الخضيري	دار الوطن	الطبعة الأولى	
٧	أحكام أهل الملل	أبوبكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال (٣١١)	دار الكتب العلمية	الطبعة الأولى	تحقيق / سيد كسروي حسن
٨	الأحكام في أصول الأحكام	أبو الحسن علي بن محمد الآمدي (٦٣١)	المكتب الإسلامي	الطبعة الثانية	تعليق / عبدالرزاق عفيفي
٩	الإحكام في أصول الأحكام	أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد ابن حزم (٤٥٦)	دار الكتب العلمية		
١٠	الاختلاف في اللفظ والرد على الجهمية والمشبهة	أبو محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة (٢٧٦)	دار الراية	الطبعة الأولى	تحقيق / د.عمر بن حمود أبو عمر
١١	الأربعين في دلائل التوحيد	أبو إسماعيل الهروي (٤٨١)		الطبعة الأول	تحقيق / د.علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
١٢	إرشاد الفحول	محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠)	دار المعرفة		
١٣	إرواء الغليل	محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢١)	المكتب الإسلامي	الطبعة الثانية	إشراف / زهير الشاويش
١٤	الاستقامة	أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (٧٢٨)	مطبعة جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية	الطبعة الأولى	تحقيق / د.محمد رشاد سالم
١٥	الأسماء والصفات	أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨)	دار الكتب العلمية		
١٦	أصول السنة	أبو بكر عبدالله بن الزبير الحميدي (٢١٩)			

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الدار	الطبعة	المحقق
١٧	الاعتصام	أبو إسحاق إبراهيم بن موسى ابن محمد الشاطبي (٧٩٠)	دار المعرفة		تعريف / محمد رشيد رضا
١٨	اعتقاد أئمة الحديث	أبو بكر أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل الإسماعيلي (٢٧١)	دار العاصمة	الطبعة الأولى	تحقيق / د. محمد بن عبدالرحمن الخميس
١٩	الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد	أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (٤٥٨)	عالم الكتب	الطبعة الثانية	تصحيح وتعليق/ كمال يوسف الحوت
٢٠	الإقناع في بيان ما قيل عن حجية الإجماع	د.عبدالمنعم النجار	مطبعة الأمانة	الطبعة الأولى	
٢١	الإمامة العظمى عند أهل السنة والجماعة	عبدالله بن عمر الدميجي	دار طيبة		
٢٢	الإمامة والرد على الرافضة	أبو نعيم الأصبهاني (٤٣٠)	مكتبة العلوم والحكم	الطبعة الثالثة	تحقيق د.علي الفقيهي
٢٣	الإيمان ومعالمه وسننه واستكمال درجاته	أبو عبدالله القاسم بن سلام (٢٢٤)	المكتب الإسلامي	الطبعة الثانية	
٢٤	الإيمان	محمد بن يحيى العدني (٢٤٣)	الدار السلفية	الطبعة الأولى	تحقيق / حمد بن حمدي الجابري
٢٥	الإيمان	محمد بن إسحاق بن مندة (٣٩٥)	مؤسسة الرسالة	الطبعة الثانية	تحقيق وتخريج وتعليق / د.علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
٢٦	بدائع الفوائد	محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١)	دار الفكر		
٢٧	البداية والنهاية	إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤)	دار الكتب العلمية	الطبعة الثانية	
٢٨	البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع	محمد بن علي بن محمد الشوكاني (١٢٥٠)	دار المعرفة		
٢٩	البدع والنهي عنها	محمد بن وضاح القرطبي (٢٨٦)			
٣٠	بغية المرتاد	أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية (٧٢٨)	مكتبة العلوم والحكم	الطبعة الأولى	
٣١	بيان تلبيس الجهمية في تأسيس بدعهم الكلامية	أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية (٧٢٨)	مؤسسة قرطبة		تصحيح وتكميل وتعليق / محمد بن عبدالرحمن بن قاسم
٣٢	تأويل مختلف الحديث	أبو محمد عبدالله بن مسلم ابن قتيبة (٢٧٦)	دار الكتاب العربي		
٣٣	التبصير في معالم الدين	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠)	دار العاصمة	الطبعة الأولى	تحقيق وتعليق / علي بن عبدالعزيز الشبل
٣٤	تحفة الأحوذي	محمد المباركفوري (١٣٢٣)	دار الفكر		محمد عبدالرحمن محمد عثمان
٣٥	تذكرة الحفاظ	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨)	دار إحياء التراث العربي		تصحيح / عبدالرحمن بن يحيى المعلمي

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الدار	الطبعة	المحقق
٣٦	تفسير القرآن العظيم	إسماعيل بن عمر بن كثير (٧٧٤)	دار طيبة	الطبعة الأولى	تحقيق/ سامي بن محمد السلامة
٣٧	التلخيص للمستدرك	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٤٥٦)	دار المعرفة		إشراف/يوسف عبدالرحمن المرعشلي
٣٨	التوحيد وإثبات صفات الرب ﷻ	أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة (٣١١)	دار الرشد	الطبعة الأولى	دراسة وتحقيق / د.عبدالعزيز بن إبراهيم الشهوان
٣٩	التوحيد	أبو عبدالله بن منده (٣٩٥)	طبعة الجامعة الإسلامية		تحقيق / د.علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
٤٠	التوحيد	محمد بن عبدالوهاب ( )	عالم الكتب	الطبعة الأولى	تصحيح / أحمد محمد شاكر
٤١	توضيح المقاصد وتحقيق القواعد-شرح النونية	أحمد بن عيسى ( )	المكتب الإسلامي	الطبعة الثالثة	تحقيق/ زهير الشاويش
٤٢	تيسير الكريم الرحمن	عبدالرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦)	دار المدني		تقديم / محمد زهدي النجار
٤٣	الثبات والشمول في الشريعة الإسلامية	د.عابد بن محمد السفياني	مكتبة المنارة	الطبعة الأولى	
٤٤	جامع الأصول	محمد بن الأثير الجزري (٦٠٦)	دار الفكر	الطبعة الثانية	تحقيق وتخريج/ عبدالقادر الأرناؤوط
٤٥	جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله	أبو عمر يوسف بن عبدالبر القرطبي (٤٦٣)	دار الكتب الإسلامية	الطبعة الثانية	تقديم الأستاذ / عبدالكريم الخطيب
٤٦	جامع البيان في تأويل القرآن	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠)	دار الكتب العلمية	الطبعة الثانية	
٤٧	الجامع الصحيح المسند من حديث رسول الله ﷺ وسننه وأيامه	أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦)	المطبعة السلفية	الطبعة الأولى	تحقيق / محب الدين الخطيب وترقيم / محمد فؤاد عبدالباقي
٤٨	الجامع لأحكام القرآن	أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي (٦٧١)	دار الكتب العلمية		
٤٩	الجامع لسيرة شيخ الإسلام ابن تيمية	جمع ووضع محمد عزيز شمس وعلي بن محمد العمران	دار عالم الفوائد	الطبعة الأولى	تقديم / بكر بن عبدالله أبو زيد
٥٠	حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح	محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١)	دار المدني	الطبعة الثالثة	
٥١	الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة	أبو القاسم إسماعيل بن محمد الأصبهاني (٥٣٥)	دار الراية	الطبعة الثانية	تحقيق ودراسة / محمد بن ربيع بن هادي المدخلي
٥٢	خلق أفعال العباد	محمد بن إسماعيل البخاري (٢٥٦)	الدار السلفية	الطبعة الأولى	تخريج وتعليق / بدر البدر
٥٣	درء تعارض العقل والنقل	أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (٧٢٨)	مكتبة ابن تيمية		تحقيق / د.محمد رشاد سالم

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الدار	الطبعة	المحقق
٥٤	دراسة عن الفرق في تاريخ المسلمين – الخوارج والشيعة–	د/ أحمد محمد أحمد جلي	مركز الملك فيصل	الطبعة الثانية	
٥٥	الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة	أحمد بن علي بن محمد ابن حجر (٨٥٢)	دار الكتب العلمية	الطبعة الأولى	ضبطه وصححه / عبدالوارث محمد علي
٥٦	الدرة البهية شرح القصيدة التائية	عبدالرحمن بن ناصر السعدي (١٣٧٦)	مكتبة المعارف		
٥٧	الدرة فيما يجب اعتقاده	أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦)	مكتبة التراث		تحقيق / د.أحمد الحمد
٥٨	رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد	أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (٢٨٠)	دار الكتب العلمية		تصحيح / محمد حامد فقي
٥٩	الرد على البكري	أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (٧٢٨)	مكتبة الغرباء الأثرية	الطبعة الأولى	تحقيق وتخريج وتعليق / أبي عبدالرحمن محمد بن علي عجال
٦٠	الرد على الجهمية	أبو سعيد عثمان بن سعيد الدارمي (٢٨٠)	المكتب الإسلامي	الطبعة الرابعة	تحقيق / زهير الشاويش وتخريج / الألباني
٦١	الرد على الجهمية والزنادقة	الإمام أحمد بن حنبل (٢٤١)	رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد		تصحيح وتعليق الشيخ / إسماعيل الأنصاري
٦٢	الرد على الجهمية	أبو عبدالله محمد بن إسحاق ابن يحيى بن منده (٣٩٥)	مكتبة الغرباء	الطبعة الثالثة	تحقيق / د.علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
٦٣	الرد على المنطقيين	أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (٧٢٨)	إدارة ترجمان السنة	الطبعة الثانية	
٦٤	الرد على من قال بفناء الجنة والنار	أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية (٧٢٨)	دار بلنسية	الطبعة الأولى	
٦٥	الرسالة	محمد بن إدريس الشافعي (٢٠٤)	مكتبة دار التراث	الطبعة الثانية	تحقيق وشرح / أحمد شاكر
٦٦	رسالة السجزي إلى أهل زبيد في الرد على من أنكر الحرف والصوت	أبو نصر عبيد الله السجزي (٤٤٤)	دار الراية	الطبعة الأولى	تحقيق ودراسة / محمد با كريم با عبدالله
٦٧	رسالة في أن القرآن غير مخلوق	إبراهيم بن إسحاق الحربي (٢٨٥)	دار العاصمة	الطبعة الأولى	تحقيق / علي بن عبدالعزيز الشبل
٦٨	رسالة إلى أهل الثغر	أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٣٣٠)	مكتبة العلوم والحكم	الطبعة الأولى	تحقيق / عبدالله شاكر الجنيدي
٦٩	رفع الأستار لإبطال أدلة القائلين بفناء النار	محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني	المكتب الإسلامي	الطبعة الأولى	تحقيق / محمد بن ناصر الدين الألباني
٧٠	رفع الملام عن الأئمة الأعلام	أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (٧٢٨)	المطبعة السلفية	الطبعة الثالثة	نشر / قصي مجد الدين الخطيب

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الدار	الطبعة	المحقق
٧١	روضة الناظر وجنة المناظر	أبو محمد عبدالله بن أحمد ابن قدامة المقدسي (٦٢٠)	مكتبة المعارف	الطبعة الثانية	
٧٢	زاد المسير في علم التفسير	أبو الفرج عبدالرحمن بن علي بن محمد الجوزي (٥٩٧)	المكتب الإسلامي	الطبعة الرابعة	
٧٣	سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها	محمد ناصر الدين الألباني (١٤٢٠)	المكتب الإسلامي	الطبعة الرابعة	
٧٤	السنن الواردة في الفتن وغوائلها والساعة وأشراطها	أبو عمرو عثمان الداني (٤٤٤)	دار العاصمة	الطبعة الأولى	تحقيق / د.رضا الله المباركفوري
٧٥	سنن أبي داود	أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (٢٧٥)	دار الحديث	الطبعة الأولى	إعداد وتعليق / عزت الدعاس وعاد السيد
٧٦	سنن الدارمي	عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي (٢٥٥)	دار القلم	الطبعة الثانية	تحقيق / د..مصطفى ديب البغا
٧٧	سنن النسائي	أبو عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي	المكتبة العلمية		حاشية السيوطي حاشية السندي
٧٨	السنة	أبو بكر أحمد بن محمد الخلال (٣١١)	دار الراية	الطبعة الثانية	دراسة وتحقيق / د.عطية بن عتيق الزهراني
٧٩	السنة	عبدالله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠)	دار ابن القيم	الطبعة الأولى	تحقيق ودراسة / د.محمد بن سعيد القحطاني
٨٠	السنة	أبو بكر عمرو بن أبي عاصم (٢٨٧)	المكتب الإسلامي	الطبعة الثانية	تخريج / محمد ناصر الدين الألباني
٨١	سير أعلام النبلاء	محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (٧٤٨)	مؤسسة الرسالة	الطبعة العاشرة	تحقيق وتخريج / شعيب الأرنؤوط
٨٢	سيرة الإمام أحمد بن حنبل	أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل (٢٦٥)	دار السلف	الطبعة الثالثة	دراسة وتحقيق وتعليق/ د.فؤاد بن عبدالمنعم أحمد
٨٣	شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة	أبو القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي (٤١٨)	دار طيبة	الطبعة الرابعة	تحقيق / د.أحمد بن سعد بن حمدان الغامدي
٨٤	شرح الأصول الخمسة	القاضي عبدالمجبار بن أحمد (٤١٥)	مكتبة وهبه	الطبعة الثانية	تحقيق / عبدالكريم عثمان
٨٥	شرح جوهرة التوحيد	إبراهيم الباجوري			تقديم ومراجعة الأستاذ/ عبدالكريم الرفاعي
٨٦	شرح السنة	إسماعيل بن يحيى المزني (٢٦٤)	مكتبة الغرباء الأثرية	الطبعة الأولى	دراسة وتحقيق / جمال عزّون
٨٧	شرح سنن أبي داود	محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١)	المكتبة السلفية	الطبعة الثانية	مع طبعة عون المعبود تحقيق / عبدالرحمن محمد عثمان

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الدار	الطبعة	المحقق
٨٨	شرح صحيح مسلم	أبو زكريا يحيى بن شرف النووي (٦٧٦)	مكتبة قرطبة		
٨٩	شرح العقيدة الطحاوية	محمد بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (٧٩٢)	المكتب الإسلامي	الطبعة الثانية	تحقيق جماعة من العلماء وتخريج الألباني
٩٠	شرح الكوكب المنير	ابن النجار محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي (٩٧٢)	جامعة الملك عبدالعزيز		تحقيق / د.محمد الزحيلي د.نزيه حماد
٩١	شرح مذاهب أهل السنة	أبو حفص عمر بن أحمد بن عثمان بن شاهين (٢٨٥)	مؤسسة قرطبة	الطبعة الأولى	تحقيق / عادل بن محمد
٩٢	الشرح والإبانة على أصول السنة والديانة	عبيد الله محمد بن بطة العكبري (٣٨٧)	درا التوفيق النموذجية		تحقيق وتعليق ودراسة / د.رضا بن نعسان معطي
٩٣	الشريعة	أبو بكر محمد بن الحسين الآجري (٣٦٠)	دار الوطن	الطبعة الثانية	دراسة وتحقيق / د.عبدالله بن عمر الدميجي
٩٤	شفاء العليل	محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١)	دار الكتب العلمية	الطبعة الأولى	
٩٥	الصارم المسلول على شاتم الرسول	أحمد بن عبدالحليم بن تيمية (٧٢٨)	رمادي للنشر	الطبعة الأولى	دراسة وتحقيق / محمد الحلواني ، محمد شودري
٩٦	صحيح ابن خزيمة	أبو بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة النيسابوري (٣١١)	المكتب الإسلامي	الطبعة الثانية	تحقيق / د.محمد مصطفى الأعظمي
٩٧	صحيح مسلم	أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري (٢٦١)	المكتبة الإسلامية	الطبعة الأولى	تحقيق وتصحيح وتعليق / محمد فؤاد عبدالباقي
٩٨	صريح السنة	أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٣١٠)	دار الخلفاء للكتاب الإسلامي	الطبعة الأولى	تحقيق وتعليق / بدر بن يوسف المعتوق
٩٩	الصفات	أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني (٣٨٥)		الطبعة الأولى	تحقيق / د.علي بن محمد بن ناصر الفقيهي
١٠٠	ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة	د.عبدالله بن محمد القرني	دار عالم الفوائد	الطبعة الثانية	
١٠١	طبقات الحنابلة	أبو الحسين محمد بن أبي يعلى (٢٥٦)	دار المعرفة للطباعة والنشر		
١٠٢	ظاهرة الإرجاء	د.سفر بن عبدالرحمن الحوالي	مكتب الطيب	الطبعة الأولى	إشراف الأستاذ / محمد قطب
١٠٣	ظلال الجنة في تخريج السنة	الألباني (١٤٢٠)	المكتب الإسلامي	الطبعة الثانية	
١٠٤	العرش	محمد بن عثمان بن أبي شيبة (٢٩٧)	مكتبة الرشد	الطبعة الأولى	تحقيق / د.محمد بن خليفة التميمي
١٠٥	العظمة	أبو محمد عبدالله بن محمد بن جعفر أبو الشيخ (٣٦٩)	دار العاصمة		تحقيق / رضاء الله بن محمد المباركفوري
١٠٦	العقود الدرية	ابن عبدالهادي (٧٤٤)	مكتبة المؤيد		تحقيق / محمد حامد الفقي
١٠٧	عقيدة السلف وأصحاب الحديث	أبو عثمان إسماعيل بن عبدالرحمن الصابوني (٤٤٩)	دار العاصمة	الطبعة الثانية	دراسة وتحقيق/ د.ناصر بن عبدالرحمن الجديع

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الدار	الطبعة	المحقق
١٠٨	العقيدة الطحاوية	أحمد أبوجعفر الطحاوي (٣٢١)			
١٠٩	عون المعبود مع شرح ابن القيم	أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم الأبادي	مؤسسة قرطبة	الطبعة الثانية	تحقيق / عبدالرحمن محمد عثمان
١١٠	فتح الباري	الحافظ أحمد بن علي بن حجر (٨٥٢)	دار الريان للتراث	الطبعة الأولى	رقمه محمد فؤاد عبدالباقي وحققه محب الدين الخطيب
١١١	فتح البر في الترتيب الفقهي لتمهيد ابن عبدالبر	أبو يوسف بن عبدالبر القرطبي (٤٦٣)	مجموعة التحف النفائس الدولية	الطبعة الأولى	رتبه واختصر تخريجه / محمد بن عبدالرحمن المغراوي
١١٢	فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير	محمد بن علي الشوكاني (١٢٥٠)	دار الفكر		
١١٣	الفتن	أبو علي حنبل بن إسحاق بن حنبل الشيباني (٢٧٣)	دار البشائر الإسلامية	الطبعة الأولى	تحقيق / د.عامر حسن صبري
١١٤	الفرق بين الفرق	عبدالقاهر بن طاهر بن محمد البغدادي (١٠٣٧)	دار المعرفة	الطبعة الأولى	تعليق / إبراهيم رمضان
١١٥	فرق معاصرة تنتسب إلى الإسلام وبيان موقف الإسلام منها	د/ غالب بن علي العواجي	مكتبة لية	الطبعة الثانية	
١١٦	الفصل في الملل والأهوال والنحل	أبو محمد علي بن أحمد بن حزم الظاهري (٤٥٦)	دار المعرفة		
١١٧	القاموس المحيط	محمد بن يعقوب الفيروزأبادي (٨١٧)	مؤسسة الرسالة		إشراف / محمد نعيم العرقسوسي
١١٨	القول المفيد على كتاب التوحيد	محمد بن صالح العثيمين (١٤٢١)	دار العاصمة	الطبعة الأولى	ترتيب وتخريج د.سليمان بن عبدالله أبا الخيل د.خالد بن علي بن محمد المشيقح
١١٩	القيروانية	أبو محمد عبدالله بن أبي زيد القيرواني (٣٨٦)	دار الفتح	الطبعة الأولى	شرح/ د.محمد الخميس
١٢٠	الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (النونية)	محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١)	دار ابن خزيمة		عُني به / عبدالله بن محمد العمير
١٢١	الكشاف	أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (٥٣٨)	مطبعة الحلبي		تحقيق / محمد الصادق قمحاوي
١٢٢	كشف الأستار لإبطال ادعاء فناء النار	علي بن علي بن جابر الحربي	دار طيبة	الطبعة الأولى	
١٢٣	كشف الشبهات	محمد بن عبدالوهاب (١٢٠٦)	دار المعالي	الطبعة الأولى	شرح الشيخ / محمد بن صالح العثيمين

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الدار	الطبعة	المحقق
١٢٤	لسان العرب	محمد بن مكرم بن علي الأنصاري بن منظور (٧١١)	دار العاصمة	الطبعة الثالثة	
١٢٥	مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية	أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (٧٢٨)	الرئاسة العامة لشئون الحرمين الشريفين		جمع وترتيب / عبدالرحمن بن محمد ابن قاسم وساعده ابنه
١٢٦	المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز	أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عطية (٥٤٦)			تحقيق / المجلس العلمي بفاس
١٢٧	المحلى	أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم (٤٥٦)	دار التراث		تحقيق / أحمد محمد شاكر
١٢٨	مختصر التحرير	ابن النجار محمد بن أحمد بن عبدالعزيز الفتوحي (٩٧٢)	مكتبة الإمام الشافعي	الطبعة الثانية	
١٢٩	المختصر في أصول الدين	القاضي عبدالجابر بن أحمد (٤١٥)			
١٣٠	المدخل إلى مذهب الإمام أحمد	عبدالقادر بن بدران الدمشقي (١٣٤٦)	مؤسسة الرسالة	الطبعة الثالثة	تصحيح وتعليق / د.عبدالله بن عبدالمحسن التركي
١٣١	مراتب الإجماع	علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (٤٥٦)	دار ابن حزم	الطبعة الأولى	عناية / حسن أحمد إسبر
١٣٢	مسائل الإمام أحمد بن حنبل رواية ابنه صالح	أبو الفضل صالح بن أحمد بن حنبل (٢٦٦)	دار الوطن	الطبعة الأولى	إشراف / طارق بن عوض الله
١٣٣	مسائل الإمام أحمد رواية ابنه عبدالله	عبدالله بن أحمد بن حنبل (٢٩٠)	المكتب الإسلامي	الطبعة الثالثة	تحقيق/ زهير الشاويش
١٣٤	المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد بن حنبل في العقيدة	د. عبدالله بن سليمان بن سالم الأحمدي	دار طيبة	الطبعة الثانية	
١٣٥	المستدرك على الصحيحين	أبو عبدالله الحاكم النيسابوري	دار المعرفة		إشراف/ يوسف عبدالرحمن المرعشلي
١٣٦	المستدرك على مجموع الفتاوي	أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (٧٢٨)	الطبعة الأولى		جمع وترتيب / محمد بن عبدالرحمن ابن محمد بن قاسم
١٣٧	المستصفى	أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (٥٠٥)	شركة المدينة المنورة للطباعة		دراسة وتحقيق / د.حمزة بن زهير حافظ
١٣٨	مسند الإمام أحمد بن حنبل	أحمد بن حنبل (٢٤١)	مؤسسة التاريخ العربي	الطبعة الأولى	
١٣٩	المسوَّدة في أصول الفقه	جمع أحمد الحراني المشقي (٧٤٥)	دار الكتاب العربي		تحقيق/ محمد محيي الدين عبدالحميد
١٤٠	مصنف ابن أبي شيبة	أبو بكر بن أبي شيبة (٢٣٥)	إدارة القرآن والعلوم الإسلامية		تصحيح / مختار أحمد النووي
١٤١	معالم السنن	أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم الخطابي (٣٨٨)	دار الحديث	الطبعة الأولى	طبع مع سنن أبي داود إعداد وتعليق عزت الدعاس وعادل السيد

م	اسم الكتاب	اسم المؤلف	الدار	الطبعة	المحقق
١٤٢	معجم مقاييس اللغة	أبو الحسين أحمد بن فارس الرازي (٣٩٥)			
١٤٣	مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين	أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (٣٣٠)	مكتبة النهضة	الطبعة الثانية	تحقيق / محمد محيي الدين عبدالحميد
١٤٤	الملل والنحل	أبو الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني (٥٤٨)	دار الفكر	الطبعة الأولى	
١٤٥	مناقب الإمام أحمد	أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي (٥٩٧)	مكتبة الخافجي		تحقيق وتعليق / د.عبدالله التركي وتصحيح / د. علي حمد عمر
١٤٦	مناقشة الاستدلال بالإجماع	د.فهد السدحان	شركة العبيكان	الطبعة الأولى	
١٤٧	منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية	أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (٧٢٨)	مطبعة جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية	الطبعة الأولى	تحقيق / د.محمد رشاد سالم
١٤٨	منهج الأشاعرة في العقيدة	د.سفر بن عبدالرحمن الحوالي	الدار السلفية	الطبعة الأولى	
١٤٩	المواقف في علم الكلام	القاضي عبدالرحمن بن أحمد الأيجي	مكتبة المتنبي		
١٥٠	الموجز في الأديان والمذاهب المعاصرة	د/ ناصر بن عبدالله الغفاري د/ ناصر بن عبدالكريم العقل	دار الصميعي	الطبعة الأولى	
١٥١	النبوات	أبو العباس أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (٧٢٨)	أضواء السلف	الطبعة الأولى	تحقيق / د. عبدالعزيز بن صالح الطويان
١٥٢	نزهة الخاطر العاطر	عبدالقادر بن بدران ( )	مكتبة المعارف	الطبعة الثانية	
١٥٣	النهاية في غريب الحديث	محمد بن الأثير الجزري (٦٠٦)	الباز للنشر والتوزيع		تحقيق / طاهر الزاوي ، محمود الطناحي
١٥٤	الوابل الصيب	محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (٧٥١)	دار الكتب العلمية		

الفهارس العامة

فهرس الآيات

تسلسل	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٢٩) -	النساء	(٤٠)	١٨٤
٣٠) -	النساء	(٥٧-٥٨)	١٤١
٣١) -	النساء	(٥٩)	٤٩
٣٢) -	النساء	(٦٤)	٩٨
٣٣) -	النساء	(٦٥)	١٢٥ ، ١٣٨
٣٤) -	النساء	(٦٦-٦٨)	٦٤
٣٥) -	النساء	(٧٧)	١٨٤
٣٦) -	النساء	(٧٩)	١٢١
٣٧) -	النساء	(٨٠)	٩٨ ، ١٠٢
٣٨) -	النساء	(٨٧)	٢٠٧
٣٩) -	النساء	(١١٥)	٥ ، ٤٩ ، ٥٧ ، ٢٢٨
٤٠) -	النساء	(١٢٢)	٩٦ ، ٢٥٢
٤١) -	النساء	(١٢٤)	١٨٤
٤٢) -	النساء	(١٥٠ ، ١٥١)	١١١
٤٣) -	النساء	(١٥٢)	١١١
٤٤) -	النساء	(١٦٥)	١٩٧
٤٥) -	النساء	(١٦٨)	٢٥٧
٤٦) -	النساء	(١٧٠)	١٢١
٤٧) -	المائدة	(٣)	١
٤٨) -	المائدة	(٨)	٦٣
٤٩) -	المائدة	(١٥)	٢
٥٠) -	المائدة	(١٦)	١٩٢
٥١) -	المائدة	(٣٧)	٢٥٧
٥٢) -	المائدة	(٥٠)	١٣٨
٥٣) -	المائدة	(٦٥ ، ٦٦)	٢
٥٤) -	المائدة	(٧٢)	٢٥٧
٥٥) -	المائدة	(٨٧)	
٥٦) -	الأنعام	(١٩)	١٢٨ ، ١٣٥
٥٧) -	الأنعام	(٣٩)	١٨٨

تسلسل	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٥٨) -	الأنعام	(٥٩)	١٦٣ - ١٦٨
٥٩) -	الأنعام	(٦٥)	١٥٥
٦٠) -	الأنعام	(٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧)	٩٤
٦١) -	الأنعام	(١١٢)	١٧٣
٦٢) -	الأنعام	(١٢٤)	٩٣ ، ١٠٨ ، ١٠٩
٦٣) -	الأنعام	(١٢٨)	١٩٦
٦٤) -	الأنعام	(١٤٨)	١٩٦
٦٥) -	الأعراف	(٨ ، ٩)	٢٣٧
٦٦) -	الأعراف	(٣١)	
٦٧) -	الأعراف	(٤٣)	٩٩ ، ١٩٢
٦٨) -	الأعراف	(٥٤)	٥٣
٦٩) -	الأعراف	(٥٧)	١٩٢
٧٠) -	الأعراف	(١٠٢)	
٧١) -	الأعراف	(١٥٨)	١٢١ ، ١٢٨ ، ١٣٥
٧٢) -	الأنفال	(٥٨)	
٧٣) -	الأنفال	(٦٣)	٣٤
٧٤) -	التوبة	(٦١)	١٣٢
٧٥) -	التوبة	(٦٣)	١٣٢
٧٦) -	التوبة	(٦٥ ، ٦٦)	١٣٣
٧٧) -	التوبة	(١٠٣)	٣٠٠
٧٨) -	يونس	(١٨)	٦٢
٧٩) -	يونس	(٤٤)	١٨٤
٨٠) -	يونس	(٦٢)	٦١
٨١) -	يونس	(٧١)	١٩
٨٢) -	يونس	(٩٩)	١٨٩
٨٣) -	هود	(١٠٨)	١٥١ ، ٢٥٢
٨٤) -	يوسف	(٣)	١١٦
٨٥) -	يوسف	(١٠٨)	٨٤
٨٦) -	الرعد	(٣٨)	١٠٥

تسلسل	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
٨٧) -	إبراهيم	(١١)	١٠٥
٨٨) -	إبراهيم	(٢٧)	٢١٤
٨٩) -	الحجر	(٩)	٢
٩٠) -	الحجر	(٤٧ ، ٤٨)	٢٥٢
٩١) -	النحل	(٣٥)	١٩٦
٩٢) -	النحل	(٣٦)	١١٠
٩٣) -	النحل	(٣٨)	٢١٠
٩٤) -	النحل	(٧٨)	١٩٩
٩٥) -	الإسراء	(١٣ ، ١٤)	٢٣٩
٩٦) -	الإسراء	(١٥)	١٩٦
٩٧) -	الإسراء	(٤٩ ، ٥٠)	٢٠٣
٩٨) -	الإسراء	(٥٥)	١٢٣
٩٩) -	الإسراء	(٧٩)	٢٢٢
١٠٠) -	الإسراء	(٨٨)	١٢١
١٠١) -	الكهف	(٢٩)	١٨٠
١٠٢) -	الكهف	(٤٩)	١٨٤
١٠٣) -	الكهف	(٦١)	١٠٦
١٠٤) -	الكهف	(٨٤)	١٩٢
١٠٥) -	الكهف	(١٠٥)	٢٣٧
١٠٦) -	الكهف	(١١٠)	١٠٦
١٠٧) -	مريم	(١٩)	٢٥٣
١٠٨) -	مريم	(٥٨)	٩٥ ، ٩٧
١٠٩) -	مريم	(٧١ ، ٧٢)	٢٤٦
١١٠) -	طه	(٤٨)	٣٠١
١١١) -	طه	(٩٨)	١٦٣
١١٢) -	طه	(١١٥)	١٠٦
١١٣) -	طه	(١٢١)	١٠١
١١٤) -	طه	(١٢٢)	١٠١
١١٥) -	طه	(١٣٤)	١٩٧

تسلسل	السـورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١١٦) -	الأنبياء	(٢٨)	٢٢٩
١١٧) -	الأنبياء	(٤٧)	٢٣٧
١١٨) -	الأنبياء	(٦٩)	١٩٢
١١٩) -	الأنبياء	(٨٣)	١٠٥
١٢٠) -	الأنبياء	(١٠٤)	٢٣٢
١٢١) -	الأنبياء	(١٠٧)	١٢٨
١٢٢) -	الحج	(٦ ، ٧)	٢٠٧
١٢٣) -	الحج	(٧٠)	١٦٨
١٢٤) -	الحج	(٧٥)	١٠٨
١٢٥) -	المؤمنون	(١٠٠)	١٩٩ ، ٢١٩
١٢٦) -	المؤمنون	(١٠٢ ، ١٠٣)	٢٣٦
١٢٧) -	النور	(٤٧ ، ٤٨ ، ٤٩)	١٢٦
١٢٨) -	النور	(٥١)	١٢٦
١٢٩) -	النور	(٥٤)	٩٩
١٣٠) -	الفرقان	(٢)	١٥١ - ١٧٧
١٣١) -	الفرقان	(٢٠)	١٠٦
١٣٢) -	الفرقان	(٣٧)	١١٢
١٣٣) -	الشعراء	(١٠٥)	١١٢
١٣٤) -	الشعراء	(١٢٣)	١١٢
١٣٥) -	القصص	(٥٦)	١٨٨
١٣٦) -	النمل	(٣٨)	٢٠٨
١٣٧) -	الروم	(٢٧)	٢٠٤
١٣٨) -	الأحزاب	(٢٧)	١٥٦
١٣٩) -	الأحزاب	(٤٠)	١٢١
١٤٠) -	الأحزاب	(٦٤)	٢٥٧
١٤١) -	الأحزاب	(٧٠ ، ٧١)	١
١٤٢) -	سبأ	(٣)	١٦٣ ، ٢١٠
١٤٣) -	سبأ	(٢٨)	١٢٨
١٤٤) -	فاطر	(١١)	١٦٨

تسلسل	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٤٥) -	فاطر	(٣٦)	٢٥٧
١٤٦) -	فاطر	(٤٤)	١٥٦
١٤٧) -	يس	(٧٨ ، ٧٩)	٢٠٤
١٤٨) -	الصافات	(١٦ ، ١٧ ، ١٨)	٢٠٤
١٤٩) -	الصافات	(٩٦)	١٧٧
١٥٠) -	ص	(١٤)	١٠٥
١٥١) -	الزمر	(٦)	١٩٩
١٥٢) -	الزمر	(٦٢)	١٧٧
١٥٣) -	غافر	(٤٥ ، ٤٦)	٢١٨
١٥٤) -	فصلت	(١٠)	١٤٥
١٥٥) -	فصلت	(٣٥)	٦٢
١٥٦) -	فصلت	(٤١ ، ٤٢)	٢
١٥٧) -	الشورى	(١٣)	٣٥ ، ١١٠
١٥٨) -	الشورى	(٥٢)	١١٦ ، ١٨٩
١٥٩) -	الجاثية	(٢٦)	٢٠٢
١٦٠) -	الأحقاف	(٢٩-٣١)	١٢٨
١٦١) -	محمد	(١٧)	٦٤
١٦٢) -	الفتح	(٢٩)	١٢٠
١٦٣) -	الحجرات	(٩ ، ١٠)	٣٠٧
١٦٤) -	ق	(٢٩)	١٨٤
١٦٥) -	الذاريات	(٥٦)	١٢٧ ، ١٩٩
١٦٦) -	القمر	(٤٩)	١٤٤ ، ١٥١
١٦٧) -	القمر	(٥٤ ، ٥٥)	٨٧
١٦٨) -	الواقعة	(٣٢ ، ٣٣)	٢٥٣
١٦٩) -	الحديد	(٢٥)	١٠٩ ، ١٢١
١٧٠) -	التغابن	(٩)	٢٥٢
١٧١) -	الجن	(١-١٣)	١٢٨
١٧٢) -	المزمل	(١٩)	١٣٨
١٧٣) -	المزمل	(٢٠)	٣٠٠

تسلسل	السورة	رقم الآية	رقم الصفحة
١٧٤) -	المدثر	(٣١)	١٨٨
١٧٥) -	المدثر	(٣٧)	١٨٠
١٧٦) -	القيامة	(٤)	١٥٥
١٧٧) -	القيامة	(٣٢)	٣٠١
١٧٨) -	الإنسان	(١)	١٩٩
١٧٩) -	الإنسان	(٣٠)	١٧٣
١٨٠) -	التكوير	(١٠)	٢٣٨
١٨١) -	الانشقاق	(٧ ، ٨)	٢٤١
١٨٢) -	الأعلى	(١-٣)	١٥١
١٨٣) -	الليل	(١٦)	٣٠١
١٨٤) -	الضحى	(٧)	١١٦
١٨٥) -	البيِّنة	(٧ ، ٨)	٢٥٢
١٨٦) -	الكوثر	(١)	٢٤٣

فهرس الأحاديث

تسلسل	طرف الحديث	اسم الراوي	الصفحة
٢٢)	[إن أول ما خلق الله تبارك وتعالى القلم ...]	عبادة بن الصامت	١٥٢ ، ١٦٨
٢٣)	[ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه ...]	أبو هريرة	١٦٤
٢٤)	[ما منكم من نفسٍ إلا وقد علم منزلها من الجنة ...]	علي بن أبي طالب	١٦٤
٢٥)	[كتب الله مقادير الخلائق قبل أن ...]	عبدالله بن عمرو بن العاص	١٦٨
٢٦)	[إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً ...]	عبدالله بن مسعود	١٦٨
٢٧)	[لا يقل أحدكم اللهم اغفر لي إن شئت ...]	أبو هريرة	١٧٣
٢٨)	[إن الله يصنع كل صانعٍ وصنعته]	حذيفة	١٧٨
٢٩)	[يا عبادي إني حرَّمت الظلم على نفسي ...]	أبو ذر	١٨٥
٣٠)	[عذاب القبر حق ...]	عائشة	٢١٩
٣١)	[إنهما يعذبان ، وما يعذبان في كبير...]	ابن عباس	٢١٩
٣٢)	[أسعد الناس بشفاعة النبي ﷺ ...]	أبو هريرة	٢٢١
٣٣)	[إن الناس يصيرون يوم القيامة جثياً كل أمةٍ تتبع نبيها ...]	ابن عمر	٢٢٢
٣٤)	[يجمع الله الناس يوم القيامة ...]	أنس	٢٢٢
٣٥)	[يجمع الله تبارك وتعالى الناس فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة ...]	أبو هريرة وحذيفة	٢٢٤
٣٦)	[اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته ...]	أم سلمة	٢٢٥
٣٧)	[ما من مسلم يموت فيقوم على جنازته ...]		٢٢٦
٣٨)	[أما أهل النار الذين هم أهلها ...]	أبو سعيد الخدري	٢٣٠ ، ٢٥٨
٣٩)	[إنكم محشورون حفاةً عراةً غرلاً ...]	ابن عباس	٢٣٣
٤٠)	[تدنى الشمس يوم القيامة من الخلق ...]	المقداد بن الأسود	٢٣٤
٤١)	[كلمتان خفيفتان على اللسان ...]	أبو هريرة	٢٣٧
٤٢)	[ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا هلك ...]	عائشة	٢٤١
٤٣)	[أتيت على نهرٍ حافتاه قباب اللؤلؤ مجوَّف ...]	أنس	٢٤٣
٤٤)	[حوضي مسيرة شهر ...]		٢٤٤
٤٥)	[يؤتى بالجسر فيُجعل بين ظهري جهنم ...]	أبو سعيد الخدري	٢٤٦
٤٦)	[إذا خَلَص المؤمنون من الصراط ...]	أبو سعيد الخدري	٢٤٨

فهرس الآثار

تسلسل	طرف الأثر	صاحب الأثر	الصفحة
١)	من قال بما تقول به جماعة المسلمين فقد لزم جماعتهم	الشافعي	٣٤
٢)	أمر الله تعالى المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة	ابن عباس	٣٥
٣)	اقضِ بما في كتاب الله ، فإن لم يكن في كتاب الله فبسنة رسول الله	عمر بن الخطاب	٣٧
٤)	من عرض له منكم قضاء بعد اليوم فليقض بما في كتاب الله ...	ابن مسعود	٣٧
٥)	سن رسول الله ﷺ وولاة الأمر من بعده سنناً...	عمر بن عبدالعزيز	٣٧
٦)	الأساس الذي تُبنى عليه الجماعة وهم أصحاب محمد ﷺ ورحمهم أجمعين	أبو محمد البربهاري	٣٨
٧)	ما أجمعوا عليه -أي السلف- هو العيان الذي لا شك فيه	ابن قتيبة	٣٩
٨)	فانظر رحمك الله كل من سمعت كلامه من أهل زمانك خاصةً فلا تعجلن ، ولا تدخلن في شيءٍ منه حتى تسأل وتنظر : هل تكلم به أصحاب رسول الله ﷺ	أبو محمد البربهاري	٤٢
٩)	اصبر نفسك على السنة ، وقف حيث وقف القوم	الأوزاعي	٤٣
١٠)	من قال في دين الله برأيه وقياسه وتأويله من غير حجةٍ من السنة والجماعة فقد قال على الله ما لا يعلم	أبو محمد البربهاري	٤٣
١١)	عليك بلزوم السنة فإنها لك بإذن الله عصمة	عبدالعزيز بن سلمة	٤٣
١٢)	أصول السنة عندنا التمسك ...	أحمد بن حنبل	٤٤

تسلسل	طرف الأثر	صاحب الأثر	الصفحة
١٣)	أيها الناس إنكم ستحدثون ويحدث لكم ...	ابن مسعود	٤٥
١٤)	والله ما أحب أن يتسارعوا يومهم هذا	ابن عباس	٤٥
١٥)	من تكلف ما جَهِل وما لم تثبته معرفته ...	الشافعي	٤٧
١٦)	أمر رسول الله ﷺ بلزوم جماعة المسلمين	الشافعي	٥٢
١٧)	من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل	عمر بن عبدالعزيز	٦٢
١٨)	يا عبدالله : بعث الله محمداً ﷺ بدينٍ واحد وأراك تنتقل من دينٍ إلى دين	مالك بن أنس	٦٢
١٩)	اعلم أن أول الإسلام : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله	أبو محمد البربهاري	١١٩
٢٠)	ما هي لأحدٍ بعد رسول الله ﷺ	أبو بكر	١٣٠
٢١)	أدركت أناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون كل شيءٍ بقدر	طاووس	١٤٤
٢٢)	يا بني إنك لن تطعم الإيمان ولن تبلغ حق حقيقة العلم بالله تعالى حتى تؤمن بالقدر	عبادة بن الصامت	
٢٣)	هو نهر أعطيه نبيكم ﷺ	عائشة	٢٤٣
٢٤)	هو الخير الذي أعطاه الله إياه	ابن عباس	٢٤٣
٢٥)	كنا نخير بين الناس في زمن النبي ﷺ	ابن عمر	٢٨١

فهرس الأعلام المترجم لهم

اسم العلم | الصفحة

اسم العلم | الصفحة

اسم العلم الصفحة

فهرس الموضوعات

الموضوع — الصفحة

الموضوع

الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع الصفحة

الموضوع | الصفحة